



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم علوم القرآن والحديث

قواعد التدبر البلاغيَّة عند الشَّيخ عبد الرَّحمن حَبْنَكَة الميدانيِّ
وأثرها في تفسيره "معارج التَّفكُّر ودقائق التدبُّر"

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

صفاء حسين حامد الفلاح

إشراف الدكتور:

حازم زكريّا محي الدين

العام الدراسي

١٤٤٠ هـ - ١٤٤١ هـ

٢٠١٩ م - ٢٠٢٠ م

الإهداء

هذا من الله وإلى الله

وأسأل المولى جلّ وعلا أن يجعلنا من أهل الفلاح

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١٦٢) ﴿ [الأنعام]

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره، أتوجّه بالشُّكر الجزيل إلى كلّ من أثار دربي بفكره وعلمه وإرشاده، وأخصُّ بذلك أستاذي المشرف على هذا البحث: الدكتور حازم زكريّا محي الدين؛ جزاه الله عني كلّ خير، وأتقدّم بالشُّكر الجزيل للجنة المناقشة والحكم:

الأستاذ الدكتور علي أسعد

والدكتور عجاج برغش

الذين تفضّلاً بقراءة الرسالة وتصحيح الرُّلّ فيها.

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

المقدِّمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمة للعالمين سيِّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ البلاغة العربيَّة تأتي في مقدِّمة العلوم التي اهتمَّت واشتغلت بتدبُّر القرآن الكريم، والكشف عن معانيه وأسراره ومكوناته، فكانت وسيلةً لخدمة كتاب الله ﷻ، استعملها العلماء والمفسِّرون، ومنهم الشَّيخ "عبد الرَّحْمَن حسن حبَّكة الميداني" المتوفَّى سنة (١٤٢٥هـ) رحمه الله، الذي وضع قواعد تدبُّريَّة تتعلَّق ببلاغة القرآن الكريم، وذلك في كتابه "قواعد التَّدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ، تأمُّلات"، فأردت في هذا البحث عرضها ومناقشتها، ثمَّ تتبَّع أثرها في تفسيره "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر".

أولاً: أهميَّة البحث:

ترجع أهميَّة البحث إلى عدَّة أمورٍ، أهمُّها أنَّه:

- يتعلَّق بعلم هو أشرف العلوم وأجلُّها، وهو "علم التَّفسير".
- يدرس قضايا تتعلَّق بأصول التَّفسير وقواعده، يحتاج إليها كلُّ المشتغلين في تفسير كتاب الله ﷻ.
- يسلِّط الضَّوء على أحد مفسِّري القرآن الكريم البارزين في العصر الحديث، والذي ترك لنا تراثاً علمياً فذاً في مجال التَّفسير والأصول والقواعد المتعلِّقة به.

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

- افتقار المكتبة الإسلاميَّة إلى دراسة علميَّة محكمة حول هذا الموضوع تظهر قيمته العلميَّة، وينتفع بها المسلمون عامَّة وطلَّاب العلم خاصَّة.
- زيادة الاطِّلاع على كتب البلاغة العربيَّة، وزيادة استيعاب بعض المصطلحات البلاغيَّة التي تعين على دراسة وتذوُّق الجوانب البلاغيَّة العالية والمعجزة في القرآن الكريم.

ثالثاً: أهداف البحث:

- دراسة جميع قواعد التدبُّر البلاغية التي ذكرها الميداني في كتابه "قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ ، تأملاتٍ وتحليلها.
- معرفة مدى أصالة الميداني في عرض وبيان قواعد التدبُّر البلاغية التي تطرَّق إليها البحث.
- بيان أثر قواعد التدبُّر البلاغية في تفسير "معارج التَّفَكُّر ودقائق التدبُّر".

رابعاً: منهج البحث والطريقة العامة فيه:

المناهج المتبعة في هذه الدراسة هي: المنهج الوصفي، والمقارن، والاستقرائي، حيث قمت بعرض ومناقشة المادة العلمية المتعلقة بقواعد التدبُّر البلاغية، ومقارنة جهود الميداني في هذا المجال مع جهود غيره من العلماء والباحثين الذين اعتنوا بدراسة هذه القضايا.

وقمت أيضاً - من خلال الاستقراء - بتتبع تطبيقه لتلك القواعد في تفسيره "معارج التَّفَكُّر ودقائق التدبُّر" وبيان أثرها في هذا التفسير.

وطريقة الباحثة في الدراسة النظرية والتطبيقية لقواعد التدبُّر البلاغية: تلخص بالآتي:

- ١- عرض القاعدة وبيائها عند الميداني: وتتضمن ترتيب القاعدة في كتاب "قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملاتٍ"، والمطلوب من المتدبر في هذه القاعدة، وبيان الميداني للقاعدة، والأمثلة التي ذكرها للقاعدة، وقد اكتفت الباحثة بعرض مثالٍ واحدٍ أو مثالين منها حسب الحاجة.
 - ٢- مناقشة القاعدة: وتتضمن دراسة نظرية تحليلية للقاعدة، حيث عرضت الباحثة من خلالها جهود عددٍ من العلماء والباحثين فيها، ووضعت الملاحظات والانتقادات التي أتيحت لها.
 - ٣- بيان أثر القاعدة في تفسير "معارج التَّفَكُّر ودقائق التدبُّر": قامت الباحثة بتتبع تطبيق الميداني للقاعدة في تفسيره؛ واجتهدت في معرفة مدى التزام الميداني بالقاعدة، ودقته في هذا الالتزام.
- أمَّا نوعية الأثر وتحديد ماهيته فقد تكفَّلت الأمثلة المدروسة من تفسيره ببيان ذلك، توم في هذا السياق مقارنة كثيرٍ من تطبيقات الميداني على القاعدة مع مفسرين آخرين.

خامساً: الدراسات السابقة:

١- "منهج الشيخ عبد الرحمن حنّكة الميداني في تفسيره "معارج التفكر ودقائق التدبر"، دراسة أعدت لنيل درجة الماجستير من قبل الباحث: نادي صبرا، بإشراف الدكتور: محمد خازر المجالي، في الجامعة الأردنية بتاريخ ٢٠٠٦م.

وقد اطلعت على هذه الرسالة، وكان من المتوقع من الباحث أن يوسّع البحث قليلاً عن قواعد التدبر التي تمثل أصول المنهج الأقوم للمفسّر - كما قال الميداني^(١) - ولكنّه اكتفى بالإشارة إليها عند حديثه عن منهج الميدانيّ دون التعرّض لتحليلها ومناقشتها، ومدى التزامه بتطبيقها - وهذا ما سيتمّ التّوسّع بدراسته من قبل الباحثة. وقد أفدت من هذه الرسالة الاطلاع على منهج الميدانيّ في التفسير.

٢- "الشيخ عبد الرحمن حنّكة الميداني وآرؤه في العقيدة الإسلامية"، دراسة أعدت لنيل درجة الماجستير من قبل الباحث: مازن عطية إبراهيم مسالمة، بإشراف الأستاذ الدكتور حافظ محمد حيدر الجعبري، في جامعة الخليل بفلسطين عام ٢٠١٣م، إذ تعرّفت من خلالها على بعض الآراء العقديّة عند الشيخ الميدانيّ، التي ساعدتني في فهم بعض القضايا المتعلقة بدراسة المنهج عنده.

٣- قواعد التدبر القرآني بين التّظير والتّطبيق عند عبد الرحمن حنّكة الميدانيّ "قواعد التدبر الأمثل" و"معارج التفكر" أنموذجاً، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من قبل الباحث: رشيد إبراهيم بوعافية، بإشراف الأستاذ الدكتور: منصور كافي في جامعة باتنة في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيّة بتاريخ ٢٠١٩م.

ويُشار هنا إلى أنّ هذه الدراسة تناولت القواعد الأربعين تنظيراً وتطبيقاً، أمّا رسالة الباحثة فقد اقتصرّت على الجزء الأبرز منها، وهو قواعد التدبر البلاغيّة، وقامت بمناقشتها والتّوسّع في بيان أثرها التّطبيقيّ في تفسير الميدانيّ، وهي أمور لم يلتفت إليها الباحث بوعافية في عمله الذي اتّسم بطابع العرض والوصف العامّ في أغلب رسالته.

ومن إيجابيّات هذه الدّراسة أنّ الباحث درس القواعد الأربعين مجتمعةً، وفق ترتيبٍ منطقيّ من قبله، وقد أفادت الباحثة من دراسته النظريّة والتّطبيقيّة لباقي القواعد التي لم تدرسها، فكوّنت نظرةً جامعةً لكافة قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ.

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حنّكة الميداني، (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٥/١

سادساً: صعوبات البحث:

- لم تواجه الباحثة أيّة صعوبات تُذكر، باستثناء تنوّع الموضوعات البلاغيّة التي تطرّقت إليها قواعد التّدبرّ الأمثل، الأمر الذي تطلّب من الباحثة بذل جهدٍ أكبر في فهم بعض الفنون البلاغيّة التي كانت خبرتها بها مزجاة.

سابعاً: خطّة البحث:

تمّ تقسيم البحث إلى مقدّمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

- المقدّمة: تضمّنت بيان إشكاليّة البحث، وأهميّة البحث، وأسباب اختيار البحث، وأهداف البحث، ومنهج البحث والطريقة العامّة فيه، والدّراسات السابقة، وصعوبات البحث، وخطّة البحث.

- الفصل التمهيدى: مدخل إلى البحث وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: تعريف "قواعد التّدبرّ" والمصطلحات ذات الصّلة.

المطلب الأوّل: تعريف "قواعد التّدبرّ".

المطلب الثّاني: تعريف المصطلحات ذات الصّلة (قواعد التّفسير - ضوابط

التّفسير - أصول التّفسير).

المبحث الثّاني: حياة الشّيخ عبد الرّحمن حبّكة الميدانيّ وجهوده العلميّة.

المطلب الأوّل: اسم الشّيخ وعائلته.

المطلب الثّاني: ولادته ونشأته وبيئته ومسيرته العلميّة.

المطلب الثّالث: شيوخه وطلّابه وثناء العلماء عليه ووفاته.

المطلب الرّابع: منهجه العلميّ في التّأليف، ومؤلفاته.

المبحث الثّالث: التعريف بكتاب "قواعد التّدبرّ الأمثل لكتاب الله ﷻ، تأمّلات".

المطلب الأوّل: وصف الكتاب.

المطلب الثّاني: مصادر الكتاب.

المطلب الثّالث: نبذة عن منهج المؤلّف في الكتاب وطريقة عرضه.

المطلب الرّابع: القيمة العلميّة للكتاب.

المبحث الرّابع: التعريف بكتاب "معارج التّفكر ودقائق التّدبرّ".

المطلب الأوّل: التعريف بالكتاب وأهمّ ميّزاته.

المطلب الثّاني: مصادر التّفسير.

المطلب الثّالث: نبذة عن منهج التّفسير.

– الفصل الأول: قواعد التدبر البلاغية المتعلقة بالكلمة القرآنية وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفروق الدلالية

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

المبحث الثاني: الجمع بين الدلالات.

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

– الفصل الثاني: قواعد التدبر البلاغية المتعلقة بالدراسة البلاغية للأساليب النحوية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستثناء المنقطع

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

المبحث الثاني: القسم في القرآن الكريم

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

المبحث الثالث: مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

– الفصل الثالث: قواعد التدبر البلاغية المتعلقة ببلاغة الأسلوب القرآني وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خصائص الأسلوب القرآني

درست العناوين الآتية: – "حول النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه"

– "حول التنويع في أساليب الأداء البياني"

- "حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص"

- "حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفة
موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرده استعمالها في سائرهما"

- "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن"

- "حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من

الصُور البلاغية في القرآن المجيد"

- "حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها"

- "حول النظر في توجيه الخطاب الرباني"

- "حول أوجه النص التي يهدف إليها"

وفق المطالب الآتية: المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

المبحث الثاني: الإيجاز

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

المبحث الثالث: التكرير

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

- الفصل الرابع: قواعد التدبر البلاغية المتعلقة بالتناسب القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وحدة موضوع السورة القرآنية

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر"

المبحث الثاني: الرّبط بين الآيات وخواتيمها

المطلب الأوّل: القاعدة وبيانها عند الميدانيّ

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر"

المبحث الثالث: الفاصلة القرآنيّة

درست قاعدة: "حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنّسق اللفظي" وفق المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: القاعدة وبيانها عند الميدانيّ

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر"

– الخاتمة:

تضمّ النتائج والتّوصيات.

الفصل التمهيدى: مدخل إلى البحث

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف "قواعد التدبّر" والمصطلحات ذات الصلة.

المبحث الثانى: حياة الشيخ عبد الرحمن حنّكة الميدانيّ وجهوده العلميّة.

المبحث الثالث: التعريف بكتاب "قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله ﷻ".

المبحث الرابع: التعريف بكتاب "معارج التّفكّر ودقائق التدبّر".

المبحث الأول: تعريف "قواعد التدبُّر" والمصطلحات ذات الصلة

سيتمُّ في هذا المبحث تعريف "قواعد التدبُّر"، والمصطلحات ذات الصلة (قواعد التفسير - ضوابط التفسير - أصول التفسير)، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف "قواعد التدبُّر":

قواعد التدبُّر مركَّبٌ إضافيٌّ، يتألَّف من جزأين هما: (قواعد)، و(التدبُّر)، وفيما يلي بيانٌ للمقصود منهما، للتَّوصُّل إلى تعريف "قواعد التدبُّر".

أولاً: تعريف "القواعد":

أ- القواعد لغة: جمعٌ مفردُه قاعدةٌ؛ من قَعَد، والقاعدةُ هي أصلُ الأسِّ، والقواعدُ الأساسُ، وقواعد البيتِ أساسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة/١٢٧]، وقواعد الهودج خشباتٌ أربعٌ معترضةٌ في أسفلهِ تُركَّبُ عيدانُ الهودج فيها، وقواعد السحابُ أصولُها المعترضةُ في آفاق السماء شُبَّهت بقواعد البناء. ^(١) من ذلك يتَّضح لنا أنَّ القواعد تُشكِّلُ أسَّ الشَّيْء - فبدونها لا يقومُ الشَّيْء - وتضمَّنُ له الثَّبات والاستقرار، هذا في الأمور الحسِّيَّة، لكن يُكثِرُ العلماءُ استخدامَ هذا اللَّفظ مجازاً ^(٢) في الأمور المعنويَّة، كقواعد النَّحو والفقه والتفسير وغيرها من العلوم.

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، باب (العين والقاف والدال)، ١/١٧٢، الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، (لبنان، دار العلم للملايين ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م)، (باب الدال فصل القاف) ٣/١٩٧، لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، (بيروت، دار صادر، د.ت)، مادة (قَعَد) ٣/٣٥٧.

(٢) المجاز: هو "الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التَّخاطب على وجه يصحّ، مع قرينة عدم إرادة المعنى الأصليّ."

الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدّين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ط ٤، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٨م)، ٢٥٠. مثل: رأيت أسداً في الدّار، فالجواز واقع في كلمة (أسد)، الدّالة في الأصل أو الوضع اللُّغوي على (الحيوان المفترس)، ولكنها استعملت في مسمّى آخر مجازاً وهو (الرجل الشَّجاع)، والقرينة أو الأمر الذي صرف الدّهْن عن إرادة المعنى الأصليّ لكلمة (أسد) أي الحيوان المفترس في هذا المثال هي قرينة لفظيَّة (قوله: في الدّار)، وإذا قال المتكلِّم: رأيت أسداً، فينظر السّامع، ولكنه لا يرى سوى رجلٍ فتكون القرينة عندئذٍ عقليَّة أو حاليَّة. انظر: المفصل في علوم البلاغة العربيَّة، عيسى علي العاكوب، (حلب، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ٤٤٧.

ب- القواعد اصطلاحاً:

تُعرَّف القواعد عموماً بعد تجريدتها عن ارتباطها بأيِّ علمٍ من العلوم بتعريفات عدّةٍ منها:

- تعريف تاج الدين ابن السُّبكيّ (ت ٧٧١هـ)^(١) بأنّها: "الأمر الكلّي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة، تُفهم أحكامها منها."^(٢)

- تعريف السَّعد التَّفْتَازانيّ (ت ٧٩٢هـ)^(٣) بأنّها: "حكمٌ كلّي ينطبق على جزئياته لِيُتعرَّفَ أحكامها منه."^(٤)

- تعريف الجرجانيّ (ت ٨١٦هـ)^(٥) بأنّها: "قضيةٌ كليةٌ منطبقة على جميع جزئياتها."^(٦)

في ضوء التعريفات السابقة يتبين أنّ مفهوم "القاعدة" من حيث إنّها: "حكمٌ كلّي ينطبق على جزئيات كثيرة." يقتضي وجود العناصر الثلاثة الآتية مجتمعةً: (الحكم، الكلّي، الجزئيات).

(١) هو عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري الشافعي المؤرّخ، الملقّب بتاج الدين، ولد عام ٧٢٧هـ، وتولّى القضاء والتدريس والخطابة في أماكن عدّة في الشّام ومصر، وتوفّي رحمه الله سنة ٧٧١هـ. ومن تصانيفه: "طبقات الشافعية الكبرى"، و "الأشباه والنظائر" في الفقه. انظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحيّ ابن العماد الحنبليّ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ١/٦٦-٦٧، **الأعلام**، خير الدين الزركلي، ط ١٥٥، (د.ب، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٤/١٨٤-١٨٥.

(٢) **الأشباه والنظائر**، تاج الدين ابن السُّبكيّ، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ٢١/١.

(٣) هو مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي، ولد بتفّازان (من بلاد خراسان) عام ٧١٢هـ، وكان عالماً بالنحو والتّصريف والمعاني والبيان والمنطق وغيرها، وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق، وتوفّي رحمه الله سنة ٧٩٢هـ، ومن كتبه: "تهذيب المنطق"، و "شرح التلويح على التّوضيح لمُتن التّفقيح" في أصول الفقه. انظر: **الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمّد عبد المعيد ضان، ط ٢، (صيدر اباد/الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ٦/١١٢، **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة**، السيوطي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان، المكتبة العصريّة، د.ت)، ٢/٢٨٥.

(٤) **شرح التلويح على التّوضيح لمُتن التّفقيح في أصول الفقه**، سعد الدين التّفْتَازاني، تحقيق زكريّا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٣٥/١.

(٥) هو علي بن محمّد بن علي الجرجاني الحسبي الحنفي، المعروف بالسيد الشّريف، ولد بجرّان وإليها تُسبب، برع في علوم كثيرة لاسيّما الفلسفيّة والعربيّة والأصوليّة، وتوفّي رحمه الله في شيراز سنة ٨١٦هـ، له نحو خمسين مصنّفاً، منها: "التعريفات"، و "شرح السّراجيّة" في الفرائض، انظر: **الصّوّء اللامع لأهل القرن التاسع**، السّخاوي، (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت)، ٩/٢٢، **الأعلام**، الزركلي، ٨-٧/٥.

(٦) **معجم التعريفات**، علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ)، ٢١٩.

١- الحُكم: اختار بعض العلماء إطلاق لفظ "القضيّة" أو "الأمر"، لكنّ التعبير عنها بـ "الحُكم" هو الأنسب والأدقُّ، فـ "القضيّة" تطلق على أركانها الأربعة (المحكوم عليه والمحكوم به والنسبة الحكميّة والحُكم)^(١)، لكنّ الجزء الأهمّ والمقصود منها هو "الحُكم"، فهو الذي ينصبُّ عليه التّصديق والتّكذيب. إذاً "القضيّة" لفظٌ عامٌّ وتتضمّن حكماً بالضرورة، وهو المقصود منها لذا ابتعدنا عن اللفظ العامّ، واكتفينا باللفظ المقصود.

وأما التّعبير عن القاعدة بـ "الأمر" ففيه من التّعميم ما ليس في "القضيّة" و "الحُكم"؛ "وذلك لشموله المفردات الكلّية التي لا تكون قواعد، كقضايا ومسائل الكون والعالم الخارجيّ ممّا لم يُحكّم فيها."^(٢) وبالتالي فإنّ كلمة "الأمر" كلمةٌ عامّةٌ في مقابل كلمة "الحُكم" التي تتصف بالدقّة في التعبير هنا.

٢- الكلّي^(٣): بدون هذا الوصف لا تكون قاعدة، مع العلم أنّ القواعد في سائر العلوم لا تخلو عن المستثنيات، لكنّ هذا لا يُخرجها عن مقتضى الكلّي، لذا فإنّ هذه الكلّيّة كليّةٌ نسبيّةٌ لا شموليّةٌ. ٣- الجزئيات: المراد من جزئيات القاعدة جزئيات موضوعها، وتبرز وظيفة القاعدة بالتعرّف على أحكام هذه الجزئيات، بما أنّها تنطبق عليها، وليس بالضرورة على جميعها بل أكثرها بما أنّ كليتها نسبيّةٌ لا شموليّةٌ كما أُشير سابقاً.

ثانياً: تعريف "التدبّر"

أ- التدبّر لغةً: من الدبّر، وهو آخر الشّيء وخلفه^(٤)، ودبّر الأمر وتدبّره نظّر في عاقبته^(٥).
ب- التدبّر في اصطلاح المفسّرين: وافق استعمال المفسّرين للتدبّر معناه اللّغويّ، فقد عرّفه الرّخّشريّ (ت ٥٣٨هـ)^(٦) بأنّه: "التّفكّر فيها [أي: الآيات]، والتّأمّل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبّر ظاهرها من

(١) الكلّيّات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٧١٢.

(٢) القواعد الفقهيّة، يعقوب بن عبد الوهاب الباسين، (الرياض، مكتبة ابن رشد، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٣٣.

(٣) عرّفه الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بأنّه: "ما لا يمنع نفس تصوّره من وقوع الشّركة فيه." كالإنسان. معجم التعريفات، الجرجاني، ٢٣٩ ومن التعريفات الواردة في كتاب موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب: "نعني بالكلّي ما هو مقول على كثيرين." موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، فريد جبر وسميح دغيم وغيرهما، الطبعة الأولى، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م)، ٧٣٨
(٤) انظر: معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، (باب الدال والألف وما يثلثهما) ٣٢٤/٢.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (دبّر) ٢٦٨/٤.

(٦) هو محمود بن عمر بن محمّد بن عمر، أبو القاسم الخوارزمي الرّخّشريّ المعتزلي، ولد عام ٤٦٧هـ برّخشّر، وهي قرية من قرى خوارزم، =

من التّأويلات الصّحيحة والمعاني الحسنة.^(١)

وعرّفه أبو حيّان (ت ٧٤٥ هـ)^(٢) بأنّه: "التّفكّر في الآيات، والتّأمّل الذي يُفضي بصاحبه إلى النّظر في عواقب الأشياء."^(٣)

وعرّفه ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)^(٤) بأنّه: "تعقّب ظواهر الألفاظ ليُعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتّأويلات اللائقة."^(٥)

وعرّفه الميدانيّ (ت ١٤٢٥ هـ)^(٦) بأنّه: "التّفكّر الشّامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلّم ومراميهِ البعيدة"^(٧). وتدلّ جميع هذه التعريفات على أنّ التّدبّر لا يتوقّف عند فهم المعاني الظّاهرة فقط من الألفاظ أو الآيات، إنّما يدعو أيضاً إلى إمعان النّظر والتّفكّر فيما يكمن وراء تلك المعاني.

ولا بدّ هنا من بيان أنّ التّدبّر ليس مقصوراً على فئة معيّنة من النّاس دون فئة^(٨)، فالله ﷻ دعا جميع عباده إلى تدبّر القرآن الكريم، مع اختلاف فهمهم وإدراكهم، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

= لقّب بـ (جار الله)، عالم في التفسير والحديث والتّحقيق واللّغة، وتوفي رحمه الله سنة ٥٣٨ هـ، ومن كتبه: "الكشاف عن حقائق التّنزيل غوامض وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل"، و"أساس البلاغة في اللغة". انظر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (د.ب، دار الثقافة، ١٩٦٨ م)، ٣٢٣/٦، طبقات المفسّرين، السيوطي، تحقيق: علي محمّد عمر، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٦ هـ)، ١٠٤.

(١) **الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**، الزّمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ٩٢/٤.

(٢) هو محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي الأندلسي النّفري (نسبة إلى نفرة وهي قبيلة من البربر)، ولد عام ٦٥٤ هـ، ويُعدّ من كبار العلماء بالعربية والحديث والتفسير والقراءات والتّراجم واللّغات، وتوفي رحمه الله سنة ٧٤٥ هـ، ودفن بمقبرة الصوفيّة في القاهرة، ومن كتبه: "البحر المحيط" في تفسير القرآن، و"تحفة الأريب" في غريب القرآن. انظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ٢٥١/٨، **طبقات المفسّرين**، الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزري، (السّعودية، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م)، ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) **البحر المحيط**، أبي حيّان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م)، ٣٧٩/٧.

(٤) هو محمّد الطّاهر بن عاشور، ولد عام ١٢٩٦ هـ، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وتوفي رحمه الله سنة ١٣٩٣ هـ، من كتبه: "مقاصد الشريعة الاسلاميّة"، و"التحرير والتّنوير" في تفسير القرآن. انظر: **الأعلام**، الزركلي، ١٧٣/٦-١٧٤.

(٥) **التحرير والتّنوير**، ابن عاشور، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م)، ٢٣/٢٥٢.

(٦) انظر المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٧) **قواعد التّدبّر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات**، الميداني، ط ٤، (دمشق، دار القلم، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م)، ١٠.

(٨) مع العلم أنّ هناك شروطاً يجب توافرها في المتدبّر، وهي: - أن يكون المتدبّر حيّ القلب؛ لذا نجد أنّ القرآن الكريم أشار إلى أنّ أففال القلوب مانع رئيس من التّدبّر، فقال موجّهاً المنافقين: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) [محمّد]. - أن يمتلك =

وَلْيَتَذَكَّرْ أَوَّلُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴿[ص].

ثالثاً: تعريف "قواعد التدبُّر"

لم يبيّن الميدانيُّ المراد من "قواعد التدبُّر"، واكتفى بوصفها أنَّها: ذات نفعٍ عظيمٍ للمتدبِّر، وتصلحُ منهجاً يحتذيه المتدبِّرون للقرآن الكريم، فقد أراد منها أن تكون فاتحة لبناء ما سمّاه: "علم التدبُّر".^(١) ولم يرد تعريف "قواعد التدبُّر" عند أحد من العلماء - حسبما اطلعت عليه الباحثة - لكن باحثٌ معاصرٌ فقال: "تلك القواعد الكلية التي يتمُّ عبرها حسنُ إمعان النظر، والتفكير الشامل الذي يوصل إلى ملامسة العمق القرآني، وإدراك مقاصد الآيات ومراميها البعيدة، في النفس والمجتمع والحياة".^(٢) ولا يستقيم تعرّف الباحث للقواعد بأنّها قواعد، كما يُلاحظ أنّه بعد ما ذكر النعت الأساسي للقواعد (وهو الكلية)، والهدف المرجو منها، بيّن وجهتها (النفس والمجتمع والحياة)، ويريد بذلك الإشارة إلى الآثار الفكرية التعليمية أو العملية التربوية أو الإصلاحية الحضارية التي تعمُّ كلاً من الفرد، والمجتمع، والحياة، نتيجة الأخذ بهذه القواعد والعمل بها.^(٣)

وترى الباحثة وضع التعريف الآتي لقواعد التدبُّر بناءً على تعريف "القواعد" السابق، وتعريف "التدبُّر": قواعد التدبُّر: هي أحكامٌ كليةٌ منضبطة، يُتوصَّل من خلالها إلى الفهم الدقيق للقرآن الكريم.

القول بأنّها: "أحكامٌ كليةٌ منضبطة" قيد يُخرج الأحكام الكلية التي لا تتسم بالدقة والتي لا تنطبق بوضوح على أفراد جزئياتها.

والقول بأنّها: "يُتوصَّل من خلالها إلى الفهم الدقيق للقرآن الكريم" قيد يُخرج القواعد التي يُتوصَّل بها إلى مرامي دلالات الكلم غير القرآني.

وبما أنّ هذه البحث سيركّز على دراسة قواعد التدبُّر البلاغية، دون غيرها من القواعد التدبُّرية عند الميداني؛ لذا لا بُدّ من تعريف البلاغة.

= المتدبِّر الأسباب المعينة على التدبُّر، ومنها معرفة اللسان العربي. - أن يجتنب المتدبِّر الأمور التي تصرف عن التدبُّر، كالإصرار على المعاصي والدنوب، والانشغال بالدنيا، وغير ذلك. انظر: تدبُّر القرآن الكريم، عبد اللطيف التّويجري، (الرياض، دار المنهاج، ١٤٣٦هـ)، ١٠٠-١٠٥.

(١) انظر: قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ١٢، ٨٠١.

(٢) قواعد التدبُّر القرآني بين التنظير والتطبيق، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الباحث رشيد بوعافية، إشراف الأستاذ الدكتور منصور كافي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩م، ٤٥.

(٣) انظر: قواعد التدبُّر القرآني بين التنظير والتطبيق، رشيد بوعافية، ٣٥.

البلاغة لغةً: الباء واللام والغين أصل واحد، وهو الوصول إلى الشيء^(١)، ويُقال: رجلٌ بليغٌ: حسنُ الكلام فصيحُهُ يبلُغُ بعبارةٍ لسانه كُنْهَ ما في قلبه^(٢).

أمَّا البلاغة اصطلاحاً: فتقع صفة لمعنيين: أحدهما الكلام، والثاني: المتكلم. وبلاغة الكلام: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"^(٣).

والمقصود بـ (مقتضى الحال): "كيفيةً كلاميةً يعرفُها المتكلم، ويعرف الحال التي تقتضيها عند المخاطب، وتبقى في ذهنه في صورة فكرةٍ كامنةٍ وتصوُّرٍ عقليٍّ، حتَّى إذا جاءت الحال التي تقتضيها أثناء التَّخاطب أخرج كلامه وفقاً لها. وقانونها العامُّ: لكلِّ كلمةٍ مع صاحبها مقامٌ."^(٤)

أمَّا عبارة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) فتعني: "ظهور كلام المتكلم وفق الصُّورة التي تقتضيها الحال التي يُقال فيها؛ أي تطبيق المتكلم في كلامه ما تفرضه عليه حال مخاطبهِ من مقتضى؛ أي كيفيةٍ خاصَّةٍ."^(٥) و(فصاحته) تعني: "فصاحةً مفرداته، وسلامته من تنافر كلماته مجتمعةً، ومن ضعف التَّأليف، وتعقيد الألفاظ، والمعاني، ونأيه عن كثرة التَّكرار، وتلاحق الإضافات."^(٦)

وفصاحة المفردة تكون بسلامتها من العيوب كتنافر الحروف (مثل: الغُھُغْخ)^(٧)، والغرابة (مثل: رَخاخ)^(٨)، والكراهة في السَّمع (مثل: التَّقاخ)^(٩)، وغير ذلك من العيوب.

أمَّا بلاغة المتكلم: فهي "ملكةٌ يُقْتَدَرُ بها على تأليف كلامٍ بليغٍ."^(١٠)

أي: صفة راسخة في النَّفس تجعل صاحبها قادراً على تأليف الكلام والتَّصَرُّف في فنونه بما يطابق مقتضى الحال.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (باب الباء واللام وما يثلاثهما في الثلاثي) ٣٠١/١.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (بَلَّغ) ٤١٩/٨.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ١٣.

(٤) المفصل في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب، ٥٠.

(٥) المرجع السابق، ٥٠.

(٦) المرجع السابق، ٤٧.

(٧) قيل: هي شجرة يتداوى بها وبورقها. انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (الغُھُغْخ) ٤٠/٣.

(٨) أي: الرِّخو من الأرض. انظر: المرجع السابق، مادة (رَخَخ) ١٨/٣.

(٩) أي: الماء العذب. انظر: المرجع السابق، مادة (نَفَخ) ٦٢/٣.

(١٠) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ١٥.

المطلب الثاني: تعريف قواعد التفسير - ضوابط التفسير - أصول التفسير

لمصطلح "قواعد التدبر" علاقة وثيقة بكل من المصطلحات الآتية:

"قواعد التفسير"، و"ضوابط التفسير"، و"أصول التفسير"، لذا كان من الضروري التعريف بها بدايةً، ثم بيان تلك العلاقة.

أولاً: "قواعد التفسير"

- يتألف مصطلح "قواعد التفسير" من جزأين زكياً تركيباً إضافياً، وللوقوف على هذا المصطلح المركب لا بُدَّ من تعريف جزئيه قبل الإضافة ليتبين المراد منه، وهما: "القواعد" و"التفسير".

أ- تعريف "القواعد"

تمَّ بيان المقصود بها سابقاً^(١).

ب- تعريف "التفسير"

- التفسير لغة: مأخوذ من الفسر وهو البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم فسرّاً، وفسره أبانه، والتفسير مثله ... ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان/ ٣٣] والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل^(٢).

- التفسير اصطلاحاً: من أهم التعاريف وأجمعها تعريف الزركشي (ت ٧٩٤هـ)^(٣): "التفسير علمٌ يُعرف به فهمُ كتاب الله المنزل على نبيِّنا محمدٍ ﷺ وبيانُ معانيه واستخراجُ أحكامه وحِكَمه، واستمدادُ ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"^(٤).

(١) انظر الصفحة (٣-٤).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (فسر) ٥/٥٥٥.

(٣) هو محمد بن بهادر بن عبد الله، المعروف ببدر الدين الزركشي المصري الشافعي، كان فقيهاً أصولياً أديباً، ولد عام ٧٤٥هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٧٩٤هـ، ومن كتبه: "البحر المحيط" في أصول الفقه، و"البرهان في علوم القرآن". انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ١٣٣/٥-١٣٥، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٥٧٢/٨-٥٧٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار التراث، د.ت)، ١/١٣، علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ط ٦، (دمشق، مطبعة الصبّاح، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٧٢.

ويمكن الاستغناء عن ذكر مصادر هذا العلم في التعريف مع إضافة قيد: بقدر الطاقة الإنسانية؛ إذ إنه "لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات"^(١) ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر."^(٢) وعلى هذا فإنَّ التعريف المختار للتفسير هو أنه علمٌ يُعرف به فهم القرآن الكريم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، بقدر الطاقة الإنسانية.

- تعريف "قواعد التفسير"

لم يرد تعريف لمصطلح "قواعد التفسير" - حسبما توصّلت إليه الباحثة - بشكل مستقل في كتب المتقدمين؛ لأنَّ اتجاه العلماء آنذاك كان إمّا إلى القواعد اللغوية والبلاغية بوصفها عمود التفسير وقوامه، وإمّا إلى البحث في علوم القرآن بوصفها القاعدة المتينة التي يجب أن ينطلق منها المفسر في تفسيره.

بينما ذكرت بعض كتب المعاصرين تعاريف عدّة، لهذا المصطلح، ومنها:

١- قواعد التفسير: هي "الأحكام الكلية العامة، التي يتوصّل بها إلى إيضاح تفسير القرآن الكريم."^(٣) ويُلحظ أنَّ هذا التعريف ذكر حقيقة القواعد، وهي أمّا: "أحكام"، ووصفها بوصفين "كلية" و "عامة"، مع العلم أنَّ لفظ "كلية" يُغني عن لفظ "عامة"، ولعله أتى به للتأكيد على كلية القاعدة، ولكن بما أنه قد تمّت الإشارة إلى أنَّ كلية القاعدة نسبية لا شمولية فلا يفيد التأكيد هنا.

كما ذكر ثمرّة تطبيق القاعدة وهي التّوصّل إلى إيضاح معاني القرآن الكريم.

٢- قواعد التفسير: هي "الأحكام الكلية التي يتوصّل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها."^(٤)

زاد هذا التعريف على التعريف السابق ثمرّة أخرى من ثمرات تطبيق القاعدة، وهي "معرفة كيفية الاستفادة

(١) قال الزّاغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) إنّ المتشابه على ثلاثة أضرب: "ضرب لا سبيل للوقوف عليه كوقت الساعة،... وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة... وضرب متردّد بين الأمرين يجوز أن يختصّ بمعرفة حقيقته بعض الرّاسخين في العلم، ويخفى على من دوّهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله عليه السّلام في علي عليه السّلام: "اللهمّ فقهه في الدين وعلمه التأويل". المفردات في غريب القرآن، الزّاغب الأصفهاني، تحقيق: محمّد سيّد الكيلاني، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ٦.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزّرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م)، ٥/٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، علي بن سليمان العبيد، (الرياض، مكتبة التّوبة، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م)، ١٢٥.

(٤) قواعد التفسير جمعاً ودراسةً، خالد السّبت، (الرياض، دار ابن عقّان، د.ت)، ٣٠/١.

منها" كالترجيح عند اختلاف أقوال المفسرين، فهذا قيدٌ يُدخل القواعد التَّرجيحية^(١) ضمن مفهوم قواعد التفسير، وهذه الإضافة جيدة لكنه لو أفصح عن معرفة كيفية الاستفادة منها لكان أفضل.

٣- "قواعد التفسير هي القضايا الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم."^(٢) من الملاحظ أنَّ هذا التعريف موافقٌ للتعريف الذي سبقه لكنه اختير هنا التعبير عن حقيقة القاعدة بالقضية، كما اقتصر على ذكر وظيفة واحدة للقاعدة، وهي التوصل إلى استنباط معاني القرآن الكريم، وهذا لا يضرُّ بالتعريف.

٤- عرّفها أحد الباحثين بتعريفين، الأول: "قواعد التفسير هي الأمور الكلية المنضبطة التي يستخدمها المفسر في تفسيره، ويكون استخدامها لها إمّا ابتداءً، وبني عليها فائدة في التفسير أو ترجيحاً بين الأقوال."^(٣) والثاني: "قواعد التفسير هي الأحكام والضوابط الأغلبية التي يُتوصل بها إلى معرفة معاني القرآن الكريم معرفة صحيحة."^(٤)

ويُلاحظ أنَّ التعريف الأول - لهذا الباحث - أقرب التعريفات التي سبق بيانها إلى المقصود من قواعد التفسير، مع تقييده الأمور الكلية بالمنضبطة أي: الدقيقة والمحددة بعناصر معينة، مما يجعل استخدامها أسهل أثناء العملية التفسيرية، وهو قيد مهمٌ ومميّز، وذكر أيضاً وجهي الاستفادة منها (وهما: الوصول إلى المعنى ابتداءً والترجيح بين المعاني الموجودة مسبقاً)، كما يخصُّ المفسر باستخدامه لقواعد التفسير دون غيره. أمّا التعريف الثاني : فيبين أنَّ القاعدة حكمٌ وضابطٌ أغلبيٌّ، فلم يميّز بذلك بين القاعدة والضابط وإنَّ نعتَه بالأغلبِيّ يقتضي أنَّ التعرّف يكون على حكم أغلب الجزئيات لا على جميعها، كما ركّز على المعرفة الصحيحة لمعاني القرآن الكريم المستنبطة، وهذا يتطلب مزيداً من الحذر والانتباه في تطبيق القواعد.

وبناءً على ما سبق من التعريفات، فإنَّ المختار في تعريف "قواعد التفسير" أمّا:
أحكامٌ كليةٌ منضبطةٌ يُتوصل بها إلى فهم القرآن الكريم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه،
بقدر الطاقة الإنسانية، والترجيح بين الأقوال التفسيرية المختلفة.

(١) هي: "ضوابط وأمور أغلبية يُتوصل بها إلى معرفة الرّاجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله." قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحري، (دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ٣٩/١.

(٢) علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حمّاد، (القاهرة، دار السلام، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ١٤٦، وهذا ما ذهب إليه محمد فاكّر المبيدي في كتابه "قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة"، (طهران، الجمع العلمي للتقريب بين المذاهب، د.ت)، ٣٣.

(٣) فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيّار، (الرياض، دار النشر الدولي، ١٤١هـ-١٩٩٣م)، ٨٧.

(٤) التحرير في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيّار، (السعودية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، =

القول بأنّها: "الأحكام الكلّية المنضبطة" قيدٌ يُخرج الأحكام الكلّية غير المنضبطة بذكر عناصر معيّنة. والقول بأنّها: "يتوصّل بها إلى فهم القرآن الكريم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه" قيدٌ يُخرج القواعد التي يتوصّل بها إلى معاني العلوم الأخرى مثل قواعد الفقه والمنطق وغيرها.

ثانياً: "ضوابط التفسير"

- يتألف مصطلح "ضوابط التفسير" من جزأين رُكّباً تركيباً إضافياً، وللوقوف على هذا المصطلح المركّب لا بُدّ من تعريف جزئيه قبل الإضافة ليتبيّن المراد منه، وهما: "الضوابط" و "التفسير".

أ- تعريف "الضوابط":

الضابط لغةً: مأخوذٌ من الضبط الذي هو لزوم الشيء وحَبْسه، وضَبَطُ الشيء حِفْظُهُ بالحزم.^(١) وضَبَطَ الكتاب ونحوه أصلح خلّله.^(٢) وللضبط معانٍ أخرى، ولكنّ أغلب معانيه لا تعدو الحصرَ والحبسَ والقوّة.

ب- تعريف "التفسير":

تمّ بيانه سابقاً^(٣)

- تعريف "ضوابط التفسير":

هناك محاولات قليلة جداً من قِبل الباحثين في العصر الحديث لتحديد المراد من "ضوابط التفسير"، ونذكر من هذه المحاولات: تعريف صاحب كتاب "تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه"، إذ يقول: "أعني بضوابط التفسير الشروط التي وضعها العلماء في كيفية تفسير القرآن الكريم والكشف عن معانيه".^(٤)

ويُفهم من هذا التعريف أنّه لا يُفسّر القرآن الكريم إلّا بوجود ضوابط لتفسيره.

أمّا صاحب كتاب "أصول التفسير وقواعده" فعرّف ضوابط التفسير بأنّها: "الميزان الصّحيح الذي يسمح بمعرفة ما هو مطابقٌ أو غير مطابقٍ للقصد".^(٥)

= ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ٢٩٢.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ضبط) ٣٤٠/٧.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، تحقيق: مجمع اللغة العربيّة، (د.ب، دار الدّعوة، د.ت)، ١/٥٣٣.

(٣) انظر الصّفحة (٩).

(٤) تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، علي بن سليمان العبيد، ٩٥.

(٥) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرّحمن العك، ط ٢، (بيروت، دار النَّفائس، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ١٣٣.

ويُلاحظ أنَّ هذا التعريف عامٌ يصلح أن يكون تعريفاً لضوابط أيِّ علمٍ من العلوم، وكما نعلم يُشترط في التعريف أن يكون مانعاً، لهذا لا يستقيم كلامه تعريفاً لضوابط التفسير.

هذا ما اطلعت عليه الباحثة من تعاريف لضوابط التفسير، وترى أنَّها لا تعبر عن مفهومها بشكلٍ دقيقٍ. لذلك تقترح التعريف الآتي تعريفاً لضوابط التفسير:

هي القواعد التي تُوجَّه المفسر عند تفسيره للآية، وتحفظه من الخروج عن منهج التفسير القويم. مع ملاحظة أنَّ كثيراً من ضوابط التفسير يتمُّ تداولها في كلِّ نوعٍ تفسيريٍّ على حدة؛ أي: إنَّ المفسرين وجدوا ضوابط خاصةً بكلِّ نوعٍ تفسيريٍّ، والهدف من هذه الضوابط هو توجيه عمل المفسر أثناء عمله، وإبعاده عن الخطأ في التفسير والخروج عن أصول التفسير وقواعده المرعية.^(١)

ثالثاً: "أصول التفسير"

- يتألف مصطلح "أصول التفسير" من جزأين زُكِّباً تركيباً إضافياً، وللوقوف على هذا المصطلح المركَّب لابدَّ من تعريف جزئيه قبل الإضافة ليتبيَّن المراد منه، وهما: "الأصول" و "التفسير".

أ- تعريف "الأصول":

الأصل في اللغة: أسفل كلِّ شيءٍ^(٢) والأساس الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه^(٣)، ويقال: أَصَلْتُهُ تَأْصِيلاً، أي: جَعَلْتُ لَهُ أَصْلاً ثَابِتاً يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ.^(٤)

وفي الاصطلاح: "الأصل عبارةٌ عمَّا يُبْنَى عليه غيره ولا يُبْنَى هو على غيره." ^(٥) وهذا موافقٌ للمعنى اللُّغويِّ.

(١) وأمثلة ذلك: - من ضوابط التفسير العلمي: ألا يخرج حدَّ التفسير إلى عرض النظريات العلمية المتضاربة.

- من ضوابط التفسير اللغوي: يجب اجتناب لفظ الزائد في كتاب الله ﷻ.

- من ضوابط التفسير بالمأثور: عدم اعتماد الإسرائيليات إلا ما صحَّ شاهده.

- من ضوابط التفسير الموضوعي: عدم الاكتفاء بجمع الآيات المتضمنة للألفاظ الحاكية للموضوع.

- من ضوابط التفسير الإشاري: ألا يدعى أنَّ التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر.

(٢) انظر: قاموس العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.ب، دار ومكتبة الهلال، د.ت)، (باب الصَّاد واللام) ١٦٠/٧.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ٢٠/١.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد الملقَّب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ب، دار الهداية، د.ت)، (فصل القاف مع الدال المهمله) ٤٥٢/٢٧.

(٥) معجم التعريفات، علي الجرجاني، ٤٥.

وأطلقه الفقهاء والأصوليون أيضاً على معانٍ منها: الدليل والقاعدة والزَّاجِح والمستصحب، إذ يُقال: الأصل في هذه المسألة الكتاب والسُّنَّة؛ أي: الدليل فيها. والأصل أنَّ النَّصَّ مقدَّم على الظاهر؛ أي: القاعدة في ذلك. والأصل عدم الحذف؛ أي: الزَّاجِح أو الأولى والأخرى. ومن تيقَّن الطَّهارة وشكَّ في زوالها فالأصل الطَّهارة؛ أي المتيقَّن المستصحب.^(١)

ب- تعريف "التفسير":

تمَّ بيانه سابقاً^(٢)

- تعريف "أصول التفسير":

قدَّم بعض الباحثين المعاصرين تعريفاتٍ متنوِّعةً لأصول التفسير، منها:

١- "القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير، وتشمل ما يتعلَّق بالمفسِّر من شروطٍ وآدابٍ، وما يتعلَّق بالتفسير من قواعدٍ وطرقٍ ومناهجٍ وما إلى ذلك."^(٣)

٢- "الأسس والقواعد التي يُعرَّف بها تفسير كلام الله، ويُرجعُ إليها عند الاختلاف فيه."^(٤)

ويظهر من هذين التعريفين أنَّ مصطلح أصول التفسير عامٌّ؛ إذ يطلق على شروط وآداب المفسِّر، وقواعد التفسير وقواعد الترجيح، وطرق ومناهج التفسير، وغيرها.

٣- "علمٌ يحدّد مصادر التفسير لكتاب الله تعالى، ويضع قواعده، ويحدّد شروط المفسِّر لبيان الطَّريقة المثلى في التفسير وفق مقاصد المفسِّر."^(٥)

وعدَّ هذا التعريف أصول التفسير علماً قائماً بحدِّ ذاته - بخلاف ما جاء في التعريفين السابقين - وقواعد التفسير تمثِّل جزءاً من هذا العلم وليست هي أصول التفسير.

ومن مسائل هذا العلم: (التعريفُ بالتفسير والتأويل والفرق بينهما - شروط المفسِّر وآدابه - مصادر

(١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد علي التَّهَانُوي، تحقيق: علي دحروج، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م)، ٢١٣.

(٢) انظر الصَّفحة (٩).

(٣) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرُّومي، ط ٤، (مكتبة التَّوْبَة، الرياض، ١٤١٩هـ)، ١١، ووافق علي بن سليمان العُبيد، فهد الرُّومي في هذا التعريف، ونقله عنه في كتابه "تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه"، ٢٦.

(٤) فصول في أصول التفسير، مساعد الطَّيَّار، ١١.

(٥) علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي حمّاد، ٥٤.

التفسير - طرق التفسير - أسباب اختلاف المفسرين - قواعد الترجيح...^(١)

والتعريف المقترح لأصول التفسير أنها:

الأمور الكلية التي يستخدمها المفسر للوصول إلى بيان معاني القرآن الكريم، وتحديد الرّاجح منها. ويدخل تحت الأمور الكلية مصادر التفسير، وقواعده وضوابطه.

وبعد تعريف "قواعد التفسير" و"ضوابط التفسير" و"أصول التفسير" نجد الآتي:

- كل قاعدة تفسيرية أو تدبرية هي أصل تفسيري، وليس العكس.

- كل ضابط تفسيري هو أصل تفسيري، وليس العكس.

- التقارب بين مصطلحي "قواعد التدبر" و"قواعد التفسير"؛ فكلاهما يتعلّق بفهم المعنى القرآني بمستوياته المتعددة، ويندرج هذان المصطلحان تحت أصول التفسير.

مع ملاحظة فرق دقيق بينهما؛ وهو أنّ قواعد التدبر تهدف إلى الكشف عن المعاني العميقة والدقيقة في القرآن الكريم، بالإضافة إلى الأغراض والحكم المرادة من ذكرها؛ فهذا المعنى تُضيفه الدلالة اللغوية لكلمة (التدبر).

(١) بحوث محكمة في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد الطيّار، ط ٢، (الرياض، مكتبة الملك فهد، ١٤٣٥هـ)، ١١٥-١١٦.

(٢) معارج التفكير، الميداني، ٥/١.

المبحث الثاني: حياة الشيخ عبد الرحمن حنكة الميداني وجهوده العلمية

ويضُم المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمُ الشيخ وعائلته:

- هو "عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق بن عرابي بن غنيم حنكة الميداني".^(١)
- والدّه: المجاهد المعروف الشيخ حسن بن مرزوق بن عرابي بن غنيم حنكة، الشهير بالميداني - نسبة إلى حيّ الميدان^(٢) في دمشق - والمعروف بمواقفه الجريئة الصّامدة ضدّ الاستعمار الفرنسيّ، وعضو المجلس التأسيسيّ لرابطة العالم الإسلاميّ.^(٣)
- جدّه لأبيه: "الحاجّ مرزوق بن عرابي بن غنيم، كان من الأتقياء الصّالحين الورعين، المحبّين للعلم والعلماء، المحافظين على الجمعة والجماعات في المسجد الأثريّ القريب من مسكنه ويدعى (جامع منجك)^(٤)".^(٥)
- والدته: نظميّة بنت إبراهيم السّودان، وهي من أسرة ميدانيّة أصيلة، وكانت محبةً لطلاب العلم الشرعيّ، ومتفانية في خدمتهم، وكانت تخطط لهم الجُنب^(٦)، وتطهو لهم الطّعام في كثير من الأحيان.^(٧)
- إخوته: ستة ذكور (عبد الله - عبد الرزاق - محمّد - محمود - إبراهيم - حسين)، وخمسة إناث (طفلة

(١) عبد الرحمن حنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، (دمشق، دار القلم، ٢٠٠١م)، ١١.

(٢) "هو أكبر أحياء دمشق مساحةً وسكاناً، وهو إلى ذلك أقدم أحياء المدينة خارج السّور، إذ تعود بداياته الأولى إلى العصر الأموي".
حي الميدان الدمشقيّ تاريخه وتطوّره، أحمد بوبس، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠١٤م)، ٩.

(٣) انظر: الوالد الدّاعية المربّي الشيخ حسن حنكة الميداني، عبد الرحمن حسن الميداني، (دمشق، دار القلم، ٢٠١٢م)، ٣٥، ٢٠٤.

(٤) "هو جامع مملوكي، يقع في محلة الجزماتية بالميدان الوسطاني، على الجانب الغربي من شارع الميدان، وكان مكان هذا الجامع مسجد صغير متواضع، فقام الأمير إبراهيم بن منجك بإعادة بنائه عام (٧٦٣هـ/١٣٦١م)". حي الميدان، أحمد بوبس، ٧٥.

(٥) عبد الرحمن حنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١١.

(٦) جبب: مفردتها جبّة، وهي ثوب سابغ، واسع الكمين، مشقوق المقدم، يلبس فوق الثّياب والدّرع. انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ١٠٤/١.

(٧) انظر: عبد الرحمن حنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١٢، حديث الذّكريات مع الشيخ عبد الرحمن حنكة، حلقة خاصة حاوره فيها الدكتور جاسم المطوع المشرف العام على شبكة العلماء الإلكترونية - أضيفت في

٢٠١١/١٠/٣٠. انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=aX1KORDfdcU>

توفيت في سن الرضاع - خديجة - أمينة - عفاف - عاطفة).^(١)

- زوجته: عائدة راغب الجراح، توفيت قبله بسنتين تقريباً^(٢) وعملت أستاذة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة^(٣).
- أولاده: للميداني ثلاثة أبناء وبنات، وهم: حسن - أكبر أولاده - وهو طبيب، ووائل وهو طبيب أيضاً وشاعر، ومحمد الذي حاز على درجة الدكتوراه في مجال العقيدة الإسلامية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وصفاء وهي بنت الوحيدة، وقد حصلت على درجة الدكتوراه في الفقه الإسلامي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.^(٤)

المطلب الثاني: ولادة الشيخ ونشأته وبيئته ومسيرته العلمية

- ولد الشيخ عبد الرحمن حنكة الميداني في عام ١٣٤٥ هـ، الموافق لعام ١٩٢٧ م في حي الميدان بدمشق^(٥)، ونشأ فيه، ويصف ابنه البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها والده بأنها: "بيئة تتسم بجهل يصاحب التدنن الفطري الذي يعيشه أبناء تلك المرحلة، ... ولم تكن القضايا الفكرية والعقائدية مما يهتم به العامة والخاصة، بل ولا حتى المدارس الدينية التي كانت تقوم على مشايخ تلك الفترة، بل كان أكثر التركيز على الجوانب الفقهية المتصلة بالعبادات وبعض السلوكيات. في حين كان الفكر التحرري العلمي الاشتراكي يتسلل على استحياء عبر المثقفين الجامعيين، الذين حملوا شهادات اختصاصهم من الدول الأوروبية بتوجيه عالمي هدفه تنحية الفكر الديني، وتقزيم قامات رجال الدين وحصر الدين في حدود المسجد."^(٦)

ثم يبين أثر تلك البيئة عليه، إذ يقول: "وقد ساعدت الظروف التي أحاطت بالعلامة عبد الرحمن والتي كان شاهداً عليها على تأسيس فكره العقلي فأصبح من أهم مفكرين قرنه، وانتبه منذ نعومة أظفاره إلى خطورة العداء الفكري التطبيقي لأعداء الإسلام، فتتبعهم دراسة وتمحيصاً واستنتاجاً ومقارنةً وتوثيقاً، فكانت كتبه

(١) انظر: عبد الرحمن حنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١١

(٢) في يوم ١٤/٥/١٤٢٣ هـ الموافق لـ ٢٤/٧/٢٠٠٢ م. انظر: معارج التفكر، الميداني، ٧٩٩/١٢

(٣) هكذا كتب على غلاف كتاب "عبد الرحمن حنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته"

(٤) حصلت على هذه المعلومات من خلال التواصل مع ابن الميداني (وائل) المقيم بجدة حالياً على بريدي الالكتروني الخاص بتاريخ ١٢/٩/٢٠١٨ م.

(٥) انظر: عبد الرحمن حنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، ١١، علماء و مفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ط ٤، (الرياض، دار الشواف، ١٩٩٢ م)، ٥٩ / ٣

(٦) محادثة مع ابن الميداني (وائل عبد الرحمن حنكة الميداني) المقيم بجدة حالياً على بريدي الالكتروني الخاص بتاريخ ١٢/٩/٢٠١٨ م.

التي جاءت في (سلسلة أعداء الإسلام) والتي كشف فيها مخططاتهم وأساليبهم ومكرهم، ودعم ما توصّل إليه بشواهد من الواقع والتاريخ، فحاز بذلك شرف السّبق إلى تأسيس منهاج الغزو الفكريّ الدّينيّ في جامعات المملكة ولذا لُقّب بـ: (أبو الغزو الفكريّ الدّينيّ).^(١)

- بدأ الميدانيّ حياته العلميّة في مدرسة أبيه (وهي مدرسة داخليةً مجانيةً تقوم على مساعدات جمعيّة خيريّة سمّاها الشّيخ حسن: "جمعية التّوجيه الإسلاميّة"، ثمّ سُمّيَت المدرسة باسمها: "معهد التّوجيه الإسلاميّ")^(٢) التي خرّجت كثيراً من العلماء، مثل: حسين خطّاب^(٣)، مصطفى الخنّ^(٤)، محمّد سعيد رمضان البوطيّ^(٥)، كريم راجح^(٦)، وغيرهم.^(٧)

- ولما تخرّج من هذا المعهد تهيّأ لتدريس علوم شرعيّة ولغويّة وعقليّة فيه.^(٨) انتسب إلى كلية الشريعة في الأزهر في سنة ١٣٧١ هـ، حصل على الشهادة العالية (ليسانس في الشريعة) في سنة ١٣٧٣ هـ، من

(١) محادثة مع ابن الميداني (وائل عبد الرحمن حبّكة الميداني) المقيم بجدة حالياً على بريدي الالكتروني الخاص بتاريخ ١٢/٩/٢٠١٨ م.
(٢) انظر: عبد الرحمن حبّكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١٥، حديث الذكريات مع الشّيخ عبد الرحمن حبّكة، لقاء تلفزيوني، ٣٠/١٠/٢٠١١ م

(٣) هو حسين بن رضا بن حسين خطّاب أحد خطباء دمشق البارزين، ولد بدمشق في حي الميدان سنة ١٩١٨ م، كان له مجالس علميّة في بيته وفي المسجد؛ في التفسير والتّوحيد والتّجويد والفقه والحديث والصّرف وعلوم البلاغة وغيرها، وبعد وفاة الشّيخ محمّد سعيد الحلواني رحمه الله تعالى، أسندت للشّيخ مشيخة القراء في دمشق، ومن مؤلّفاته: "إتحاف حرز الأمان برواية الأصبهاني" في القراءات، و"رسالة البيان في رسم القرآن"، توفي رحمه الله سنة ١٩٨٨ م. انظر: الوالد الدّاعية المرّي الشّيخ حسن حبّكة الميداني، الميداني، ١١٣-١١٧ (٤) هو مصطفى سعيد الخن، وعائلة الخن من عوائل حي الميدان بدمشق، عالم أصوليّ مرّي، درّس في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة ثمّ في جامعة دمشق، ومن أهمّ مؤلّفاته: "أثر الاختلاف في القواعد الأصوليّة في اختلاف الفقهاء". انظر: المرجع السّابق، ١٢٢-١٢٣

(٥) ولد عام ١٩٢٩ م في قرية جيلكا التي تقع على ضفاف نهر دجلة، من أهمّ العلماء والمفكرين في العصر الحديث، وكان لوالده الدور الأبرز في تعليمه، درّس في جامعة دمشق لسنوات، واختير عضواً لرابطة علماء العالم الإسلاميّ، واستشهد رحمه الله تعالى سنة ٢٠١٣ م، ومن أبرز مؤلّفاته: "شرح وتحليل الحكم العطائيّة" (لابن عطاء الله السكندري)، "فقه السيرة النبويّة"، "كبرى اليقينيات الكونيّة". انظر: https://www.naseemalsham.com/ar/Pages.php?page=mufthy&pg_id=1992

(٦) هو محمّد كريم بن سعيد بن كريم راجح، ولد في دمشق الشّام عام ١٩٢٦ م، تلقّى العلوم في مدرسة الشّيخ حسن حبّكة الميداني، وأتقن القراءات وتصدّر للإقراء، استلم مشيخة قراء دمشق بعد وفاة الشّيخ حسين خطّاب رحمه الله، وله تفسير "قبس من القرآن الكريم"، ومختصر "تفسير ابن كثير". انظر: https://islamsyria.com/site/show_cvs/81

(٧) انظر: عبد الرحمن حبّكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١٧، حديث الذكريات مع الشّيخ عبد الرحمن حبّكة، لقاء تلفزيوني، ٣٠/١٠/٢٠١١ م. (٨) انظر: عبد الرحمن حبّكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١٨، علماء ومفكرون عرفتهم، محمّد مجذوب، ٣/٥٩-٦٠.

الكلية المذكورة ، ثم حاز على شهادة العالمية مع إجازة في التدريس (ماجستير في التربية وعلم النفس) في ١٣٧٤ هـ . وبعد عودته إلى دمشق عمل مدرّساً في الثانويات العامّة والمعاهد الشرعيّة لمدة ستّ سنوات، واستمرّ موظّفاً ضمن هيئة التدريس حتّى عام ١٩٦٠م، ومن هناك انتقل إلى وزارة الأوقاف، حيث تولّى إدارة التّعليم الشرعيّ.^(١)

- وفي عام (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) سافر إلى السّعوديّة وتعاقد مع كليّة الشريعة (جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة) بالرياض، ثمّ انتقل إلى مكّة المكرّمة، وصار أستاذاً في كليّة الدّعوة وأصول الدّين في جامعة أمّ القرى ثلاثين سنة.^(٢)

- ولما بلغ عمره سبعين عاماً تقاعد، واختير عضواً في المجلس التّأسيسيّ لرابطة العالم الإسلاميّ، كما أنّه تفرّغ لتدبّر كتاب الله عزّ وجلّ.^(٣)

- ومن نشاطاته العلميّة مشاركته في العديد من المؤتمرات والندوات العلميّة والأدبيّة في مكّة المكرّمة والهند والمدينة المنورة، ومن تلك المؤتمرات والندوات: مؤتمر التّعليم الإسلاميّ، ومؤتمر الاقتصاد الإسلاميّ، ومؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الأدب الإسلاميّ، وندوة الأدب الإسلاميّ.^(٤) وكان للميدانيّ مشاركاتٌ يوميّة في الإذاعة السّعوديّة:

- ١- برنامجٌ باسم "أعداء الإسلام" تحدّث فيه عن دسائس الغزو الفكريّ في السّبعينيات من القرن الماضي، واستمرّ لمدة أربع سنوات. ٢- برنامجٌ حواريّ "الإسلام هو الطّريق"، استمرّ خمس سنوات.
 - ٣- برنامجٌ "آمنت بالله"، استمرّ دورتين إذاعيّتين، تخلّلتها قصائد شعريّة إيمانيّة نظمها لهذا الغرض.
- بالإضافة إلى برنامج أسبوعيّ "حول تدبّر القرآن وفق ترتيب النّزول"، واستمرّ أكثر من خمسة عشر عاماً.
- وللميدانيّ الكثير من المقالات والقصائد التي أسهم بها في ميدان الصّحافة.^(٥)

(١) انظر: علماء ومفكّرون عرفتهم، محمّد مجذوب، ٦٠ / ٣.

(٢) حديث الذّكريات مع الشّيخ عبد الرّحمن حبّكة، لقاء تلفزيوني، ٣٠ / ١٠ / ٢٠١١م.

(٣) انظر: عبد الرّحمن حبّكة الميداني العالم المفكّر المفسّر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١٩.

(٤) انظر: علماء ومفكّرون عرفتهم، محمّد مجذوب، ٦٢ / ٣. وللتوسّع يُنظر: "جهود الشّيخ عبد الرّحمن حبّكة الميداني (رحمه الله) الدّعويّة والثّقافيّة وأثرها في ميدان الثّقافة الإسلاميّة ١٣٤٥هـ-١٤٢٥هـ"، رسالة مقدّمة إلى قسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة ضمن متطلّبات الحصول على درجة الماجستير، إعداد الباحثة: أمل بنت سليم بن سالم العتيبي، بإشراف الدّكتورة: أحلام محمّد سعيد باحمدان، المملكة العربيّة السّعوديّة، جامعة أمّ القرى، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة، للعام الدّراسي ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٥) انظر: عبد الرّحمن حبّكة الميداني العالم المفكّر المفسّر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ٤٥.

المطلب الثالث: شيخ الميداني وطلابه وثناء العلماء عليه ووفاته

- أوّل شيوخه وأبرزهم أبوه الشيخ حسن مع الإشارة إلى أنّ الطّالاب الذين درسوا معه في معهد التّوجيه كانوا زملاءه وشيوخاً له في آنٍ واحدٍ؛ لأنّ التعليم في هذا المعهد كان على الأسلوب القديم (الحلقات العلميّة) فكان يقرأ عليهم ويقرؤون عليه.^(١)

- كما تأثّر بفكر الإمام الغزاليّ (ت ٥٠٥ هـ)^(٢) في تحريره للمسائل، ومدحه بقوله: "له فكرٌ نادرٌ محمودٌ في التّاريخ الإسلاميّ، يقيس الحرف والكلمة بمقياس الفكر، وينظر الآخرين بمنظارٍ فكريّ".^(٣) وتأثّر في الجوانب الأدبيّة بكتب الأدب، حيث قرأ عدداً كبيراً منها قراءةً متأنّيّةً، فأعطته ملكةً بيانيّةً.^(٤)

- ونال الميدانيّ ثناء المقرّبين منه وكثيرٍ ممّن قرأ كتبه، وتحدّث زوجته عن ذلك بقولها: "ثمّ إنّ طائفةً من زملائه من أساتذة الجامعة كانوا ينادونه بـ (شيخنا)، ويُجلّونه لعلمه وسعة أفقه، ويلقّبونه بألقابٍ علميّة، وتربويّة وتوجيهيّة قلّ ممّن أُطلقت عليه حتّى إنّ بعضهم دعاه بـ (غزاليّ عصره)، وآخرين بأنّه: (أبو الغزو الفكريّ والثّقافة الإسلاميّة) ... ، وقال بعضهم عنه أيضاً: من يقرأ كتبه يتعلّم كيف يفكر، ويصاغ صياغةً على أسس دينيّةٍ حكيمةٍ وعقليّةٍ منطقيّةٍ سليمةٍ".^(٥)

- وفاته: توفّي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنّاته في صباح يوم الأربعاء الموافق لـ ٢٥ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.

وقد عانى في سنواته الأخيرة من مرضٍ شديدٍ، لم يمنعه عن متابعة تفسيره للقرآن الكريم، إذ يقول: "مع وخزات الإبر بكرةً وعشيّاً وكثرة انطراحي على الأرض أو على السرير؛ قضى الله ربّي بفضله ومنّته أن يُنهي

(١) انظر: عبد الرحمن حبّكة الميداني العالم المفكر المفسّر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ١٦.

(٢) هو محمّد بن محمّد بن أحمد، زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، المعروف بأبي حامد الغزالي، والملقب بحجّة الإسلام، ولد عام ٤٥٠ هـ، فيلسوف، متصوّف، وتوفّي رحمه الله سنة ٥٠٥ هـ، وله نحو مئتي مصنف، منها: "إحياء علوم الدّين"، و"تهافت الفلاسفة" و"الاقتصاد في الاعتقاد". انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلّكان، ٢٣٧/٥، الأعلام، الزّركلي، ٢٢/٧-٢٣.

(٣) حديث الذّكريات مع الشيخ عبد الرحمن حبّكة، لقاء تلفزيوني، ٣٠/١٠/٢٠١١ م.

(٤) المصدر السابق.

(٥) عبد الرحمن حبّكة الميداني العالم المفكر المفسّر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ٤٦.

لي كتابة هذا المجلد. ^(١) وهذا إنما يدل على إخلاص الميداني وهمة العالية رحمه الله. وشيعة جنازته عصر يوم الأربعاء، وخرج فيها آلاف المشيعة من العلماء والكبراء والعامة، وصلي عليه في جامع منجك، ووري في مثواه الأخير بمقبرة الجورة ^(٢).

المطلب الرابع: منهج الميداني العلمي في التأليف، ومؤلفاته

أولاً: منهجه العلمي في التأليف:

صرح الميداني بأن أصول منهجه العلمي في كل ما ألف يعتمد على: "القرآن والسنة والفكر" ^(٣)، ولخصت زوجته منهجه العلمي في التأليف بالنقاط التالية، أنقل أهمها باختصار:

- بعد أن يحدد الهدف من الكتاب، يسير بخطواته المنطقية بتعريف موضوع كتابه، ثم يجزئ صعوباته، ويجمع متفرقات الأفكار والنصوص جمعاً تلاؤمياً ليصوغ منها مخططاً عاماً للكتاب وأسس، ثم يتناول جزئياته من أبواب أو فصول أو مواضيع، ويهتم ببعض الرسوم الإيضاحية إذا لزم الأمر.
- يرجع إلى الكتب الأصول لأخذ المعلومات المتعلقة ببحثه، لا سيما في كتبه التي تتناول بعض العلوم الدنيوية، كما يتحرى بدقة معاني الألفاظ ويبين استخداماتها المختلفة - إذا اقتضى الأمر - ويؤكد مع حرصه الشديد على استخدام ألفاظ القرآن والسنة ما استطاع في كتاباته.
- في كتبه التي تتعلق بأحكام فقهية، يلجأ إلى ما يترجح لديه بالدليل الشرعي دونما تعصب لمذهبه الفقهي.
- ومنهجه في مناظرة الآخرين أن يحترم آراءهم، ويناقشها بموضوعية وجدية، وإذا رأى عند المناظر جواباً مقنعاً أعلن صحته، ولو كان مخالفاً لما كان يعتقده.
- يحرص باستمرار على استخراج ما لم يسبق إليه في كل بحث يعالجه.
- يتحرى في مؤلفاته المواءمة التحليلية بين المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وبين الحقائق التي توصلت إليها العلوم الكونية المختلفة، والأسس العقلية السليمة. ^(٤)

(١) معارج التفكير، الميداني، ١٤/٧٠٤.

(٢) "تقع على الطرف الشرقي من شارع الميدان قبالة زقاق الموصلي، وسبب تسمية المقبرة بهذه التسمية أن أرضها كانت منخفضة عن الأراضي المحيطة بها." حي الميدان الدمشقي تاريخه وتطوره، أحمد بوبس، ١٨٧.

(٣) حديث الذكريات مع الشيخ عبد الرحمن حبنكة، لقاء تلفزيوني، ٣٠/١٠/٢٠١١ م.

(٤) انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، ٢٥-٢٩.

ثانياً: مؤلفاته:

للميداني قرابة أربعين مؤلفاً مطبوعاً في شتى مجالات العلوم الشرعيّة والأدبيّة والعقليّة، أثرى بها المكتبة الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ.

قسّمها حسب الموضوعات التي تناولتها:

القسم الأول: الكتب المختصّة بالدراسات القرآنيّة

- ١- تفسير سورة الرّعد دراسة أدبيّة وفكريّة ولغويّة.^(١)
- ٢- أمثال القرآن وصور من أدبه الرّفيّع.^(٢)
- ٣- قواعد التّدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات.^(٣)
- ٤- صفات عباد الرّحمن في القرآن الكريم دراسة في طريق التّفسير الموضوعيّ.^(٤)
- ٥- نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد.^(٥)
- ٦- تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع.^(٦)
- ٧- معارج التّفكر ودقائق التّدبر.^(٧)

القسم الثاني: سلسلة في طريق الإسلام، وتتضمّن مجموعة من الكتب المختصّة بالعتيدة وأصول الدّين، وهي:

- ١- أسس الحضارة الإسلاميّة ووسائلها.^(٨)
- ٢- الأخلاق الإسلاميّة وأسسها.^(٩)
- ٣- براهين وأدلة إيمانيّة.^(١٠)

(١) مطبوع، (د.ب، د.ن، ١٩٧١م)، ٢٩٥ صفحة.

(٢) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٠)، ١٧٦ صفحة.

(٣) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٠م)، ١٧٧ صفحة.

(٤) مطبوع، (مكة المكرمة، مكتبة الطّالب الجامعي، ١٩٨٧م)، ٩١ صفحة.

(٥) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٠م)، ٣٧٣ صفحة.

(٦) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٩١م)، ٤٥٢ صفحة.

(٧) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ٢٠٠٠م)، عدد الأجزاء: ١٥

(٨) مطبوع، (دمشق، د.ن، ١٩٧٠م)، ٤١٦ صفحة.

(٩) مطبوع، (بيروت، دار القلم، ١٩٧٩م)، عدد الأجزاء: ٢، (١٤٣٩ صفحة).

(١٠) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٧م)، ٥١٥ صفحة.

- ٤ - العقيدة الإسلامية وأسسها.^(١)
- ٥ - ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة.^(٢)
- ٦ - لا يصح أن يُقال: الإنسان خليفة عن الله في أرضه، فهي مقولة باطلة.^(٣)
- ٧ - الوجيزة في العقيدة الإسلامية (ملخص من كتاب العقيدة).^(٤)
- ٨ - الوجيزة في الأخلاق الإسلامية (ملخص من كتاب الأخلاق).^(٥)
- ٩ - توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية.^(٦)

القسم الثالث: الأدب والبلاغة

- ١ - ديوان "ترنيمات إسلامية".^(٧)
- ٢ - ديوان "آمنت بالله".^(٨)
- ٣ - البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها.^(٩)
- ٤ - ديوان "أقباس" في منهج الدعوة وتوجيه الدعاة.^(١٠)
- ٥ - مبادئ في الأدب والدعوة.^(١١)

القسم الرابع: سلسلة أعداء الإسلام، وتتضمن ما يتعلق بالفكر وكشف أعداء الإسلام.

- ١ - صراع مع الملاحدة حتى العظم.^(١٢)

(١) مطبوع، ط ٥، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٨م)، ٨٢١ صفحة.

(٢) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٥م)، ٤٢٤ صفحة.

(٣) مطبوع، (د.ب، مؤسسة الريان، ١٩٩٦م)، ١١٢ صفحة.

(٤) مطبوع، (د.ب، مؤسسة الريان، ١٩٩٦م)، ٢١٧ صفحة.

(٥) مطبوع، (السعودية، المكتبة المكية، ١٩٩٧م)، ٥٠٩ صفحة.

(٦) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٨م)، ١٣٤ صفحة.

(٧) مطبوع، ط ٤، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٠)، ١٢٨ صفحة.

(٨) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٠م)، ١١٢ صفحة.

(٩) مطبوع، ط ٣، (دمشق، دار القلم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(١٠) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م)، ٢٦٠ صفحة.

(١١) مطبوع، ط ٢، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٧م)، ١٨٣ صفحة.

(١٢) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٧٤م)، ٥٠٤ صفحة.

- ٢- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، والاستشراق، الاستعمار).^(١)
- ٣- مكاييد يهودية عبر التاريخ.^(٢)
- ٤- غزو في الصميم (دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي في مجالات التعليم المنهجي والتثقيف العام).^(٣)
- ٥- الكيد الأحمر (دراسة واعية للشوعية).^(٤)
- ٦- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة.^(٥)
- ٧- ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ مع دراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين.^(٦)

القسم الخامس: يتعلّق بالدعوة والدعاة، وفيه:

- ١- فقه الدعوة إلى الله تعالى وفقه النصّح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.^(٧)
- ٢- الأمة الربّانية الواحدة.^(٨)
- ٣- الالتزام الدينيّ منهجٌ وسطٌ.^(٩)
- ٤- تصحيح مفاهيم حول التوكّل والجهاد ووجوه النصر.^(١٠)
- ٥- بصائر للمسلم المعاصر.^(١١)

القسم السادس: ما يتعلّق بالفقه والأحكام

- ١- الصّيام ورمضان في السّنة والقرآن دراسة في طريق بحوث الكتاب والسّنة.^(١٢)

(١) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٧٥م)، ٦٤٠ صفحة.

(٢) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٢م)، ٤٥٦ صفحة.

(٣) مطبوع، ط٣، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٠م)، ٣٣٤ صفحة.

(٤) مطبوع، ط٣، (دمشق، دار القلم، ١٩٩١م)، ٤٠٣ صفحة.

(٥) مطبوع، ط٢، (دمشق، دار القلم، ١٩٩١م)، ٧٦٤ صفحة.

(٦) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٣م)، ٧٢٨ صفحة.

(٧) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٦م)، عدد الأجزاء: ٢، ويمكن أن يُضاف هذا الكتاب إلى كتب القسم الأول.

(٨) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٣م)، ١٢٢ صفحة.

(٩) مطبوع، (د.ب، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٤م)، ١٢٨ صفحة.

(١٠) مطبوع، (د.ب، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٧م)، ١٧٦ صفحة.

(١١) مطبوع، ط٢، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٨م)، ٤٥٥ صفحة.

(١٢) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٧م)، ٥٩٠ صفحة.

٢- تيسير فقه فريضة الزكاة. ^(١)

القسم السابع: كتب في موضوعاتٍ متنوّعةٍ

- ١- روائع من أقوال الرسول ﷺ دراسةً فكريةً ولغويةً وأدبيةً. ^(٢)
- ٢- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. ^(٣)
- ٣- الثقافة الإسلامية. ^(٤)
- ٤- الوالد الداعية المريي، الشيخ حسن حبنكة الميداني، قصّة عالم مجاهدٍ حكيمٍ شجاع. ^(٥)
- ٥- المنتقى للاستشفاء بالتلاوات والأدعية والرُقى. ^(٦)

(١) مطبوع، ط٢، (السعودية، جمعية بيت الخير، ٢٠٠٠م)، ١٠٩ صفحة.

(٢) مطبوع، (د.ب، د.ن، ١٩٧١م)، ١٣٩ صفحة.

(٣) مطبوع، (دمشق، دار القلم، ١٩٧٥م)، ٤٧٢ صفحة.

(٤) مطبوع، ط١٣، (السعودية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٩٠م)، عدد الأجزاء ٤.

(٥) مطبوع، (د.ب، الناشر مؤلف الكتاب، ٢٠٠٢م)، ٤٠٦ صفحة.

(٦) مطبوع، (د.ب، دار خدمات القرآن، ١٩٩٣)، ٦٢ صفحة.

المبحث الثالث: التعريف بكتاب "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ".

ويضمُّ المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب:

كتاب "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات" من أهم مؤلفات الشيخ عبد الرحمن حنكة الميداني، ومن أنفس الكتب المعاصرة في المكتبة الإسلامية في مجال علم التفسير، إذ يعدُّ من الكتب المهمة التي تعين على تدبر كتاب الله ﷻ.

وغاية الميداني من تأليف الكتاب وضع قواعد بمثابة منهج قويم لمن أراد أن يتدبر كتاب الله ﷻ، كما أشار في مقدمة الطبعة الأولى^(١)، وكما يُستفاد أيضاً من اسم الكتاب.

وقد ألقه بعد ممارسته الطويلة للتدبر في كتاب الله ﷻ "دامت قرابة ثلث قرن أو أكثر"^(٢)، ومطالعته لتفسير المفسرين على اختلاف مناهجهم، إذ يقول: "وخلال ممارستي الطويلة للتدبر في القرآن العظيم، ومطالعتي لتفسير المفسرين^(٣) على اختلاف مناهجهم، تكتشفت لي جملة قواعد هادية لمن أراد أن يتدبر كلام الله بصورة أفضل، فأنا أكتبها لمن شاء أن ينتفع بها، فقد وجدت بالممارسة أنها ذات نفع عظيم للمتدبر وتصلحُ منهجاً يحتذيه المتدبرون للقرآن."^(٤)

والطبعة الأولى من "قواعد التدبر الأمثل": عبارة عن كتاب من القطع الصغير الذي يوضع كدفتر في الجيب في (١٧٧) صفحة - كما وصفه الميداني - وقد أنهى تأليفه في مكة المكرمة، بتاريخ ٢ رمضان ١٣٩٩ هجرية / ٢٦ تموز ١٩٧٩ ميلادية، وقامت دار القلم (دمشق - بيروت) بنشر هذه الطبعة بتاريخ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.^(٥)

(١) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ط ١، (دار القلم، دمشق، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ٧.

(٢) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ط ٤، (دار القلم، دمشق، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ٦.

(٣) لم يشر الميداني إليها صراحةً، لكن تبين في ثنايا كتابه اطلاعه على تفاسير منها: تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وتفسير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وتفسير الرازي (ت ٦٠٦هـ) (مفاتيح الغيب)، انظر، قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٦٤، ٢٩٦، ٣٢٠ على الترتيب.

(٤) المرجع السابق، ١٢.

(٥) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ط ١، ١٧٤.

وقد تَضَمَّنَتْ هذه الطَّبعة سبعةً وعشرين قاعدةً، ختمها الميدانيُّ بطلبه التَّوفيق من الله وَجَّكَ لما قَدَّمَ، وأن يكون عمله هذا فاتحةً لبناء ما سَمَّاه "علم التَّدبُّر"^(١).

وبناءً على طلب بعض أهل العلم قام بتزويد تلك القواعد (في الطَّبعة الأولى) بأمثلة تطبيقية من القرآن الكريم، واستخراج قاعدة حول القراءات العشر، ثمَّ قام بتقديم الطَّبعة الثَّانية من هذا الكتاب، والتي تميَّزت باحتوائها على مزيدٍ من القواعد، ووفرة من الأمثلة التَّطبيقية لها، ويحدِّثنا عن ذلك، فيقول: "وصحَّ عندي العزم على متابعة تدوين ما يلهمني الله وَجَّكَ من ملاحظاتٍ، خلال تدبُّري لهذا الكتاب العظيم، الذي لا تفنى أعاجيبه، ولا يَخْلُق على كثرة الرَّدِّ، وتجميع ما أراه منها صالحاً لأن يُضمَّ بعضه إلى بعض ليكون قاعدة، فأضيفها إلى القواعد التي قدَّمتها في الطَّبعة الأولى من هذا الكتاب، وعلى متابعة تجميع الأمثلة التي تؤيِّد القاعدة المستخرجة، حتَّى تجمَّع لديَّ هذا الكمُّ الذي أقدمه لطلَّاب العلم في هذه الطَّبعة الثَّانية."^(٢)

فأصبح عدد صفحات الكتاب في هذه الطَّبعة (٨٣٩) صفحة، وكان الانتهاء من تأليفه في مكَّة المكرمة، بتاريخ ١٤٠٨/٤/٢١ هجرية، الواقع في ١٢/١٢/١٩٨٧ ميلادية، ونشرته دار القلم (دمشق - بيروت) بتاريخ ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م.^(٣)

أمَّا حصيلة نتاجه العلميِّ من القواعد في هذه الطَّبعة فبلغ أربعين قاعدةً.

- وفيما يلي عرضٌ لتلك القواعد في الطَّبعين الأولى والثَّانية، مع إظهار أهمِّ الفروقات بينهما بدقَّة، وتظليلٌ للقواعد الجديدة التي أضافها على قواعد الطَّبعة الأولى^(٤):

(١) انظر: قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ط ١، ١٧٤.

(٢) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٨٠٢.

(٤) تمَّ اعتماد الطَّبعة الرَّابعة في هذه الدِّراسة، وهذه الطَّبعة لا تختلف عن الطَّبعين الثَّانية والثَّالثة.

م	قواعد التدبُّر الأمثل في الطبعة الأولى	قواعد التدبُّر الأمثل في الطبعة الثانية (والطبَّعات التي تليها)
١	القاعدة الأولى: "حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السُّورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرَّق في القرآن".	القاعدة الأولى: "حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السُّورة وارتباطها الموضوعي - أضاف مثالين للقاعدة.
٢	القاعدة الثانية: "حول وحدة موضوع السُّورة القرآنية".	القاعدة الثانية: "حول وحدة موضوع السُّورة القرآنية" - أضاف إلى بيان القاعدة لفت النظر إلى إحدى خصائص البيان الإلهي، وطريقته المتمثلة في استغلال النص الواحد للمطالب البيانية والتعليمية والتربوية وكلّ ما لا يتهيأ استغلاله عند عمليات التصنيف العلمي لمختلف المطالب. - زوّد القاعدة بثلاثة أمثلة موضحة للقاعدة.
٣	القاعدة الثالثة: "حول أوجه النص التي يهدف إليها".	القاعدة الثالثة: "حول أوجه النص التي يهدف إليها" - أضاف ثلاثة أمثلة موضحة للقاعدة.
٤	القاعدة الرابعة: "حول بيئة نزول النصّ البشريّة والزمانية والمكانية".	القاعدة الرابعة: "حول بيئة نزول النصّ البشريّة والزمانية والمكانية والفكرية الفردية والاجتماعية" - عدّل عنوان القاعدة. - أضاف إلى بيان القاعدة: التكلّم عن الأسلوب القرآنيّ في بيئة العهد المدني، والأسلوب القرآنيّ في بيئة العهد المكّي، مع ملاحظة صور التلاؤم بين النصّ القرآني والبيئة التي نزل فيها.
٥	القاعدة الخامسة: "حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلّي".	القاعدة الخامسة: "حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلّي" - أضاف ثلاثة أمثلة إلى المثالين الموجودين سابقاً.
٦	القاعدة السادسة: "حول البحث في معاني الكلمات القرآنية".	القاعدة السادسة: "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التكرير لمجرّد التأكيد ما أمكن" - وهي القاعدة السابعة في الطبعة الأولى. - أضاف إلى بيان القاعدة فقرة مستقلة تكلّم فيها عن التوزيع في القصص القرآني، وخصائصه والأغراض المتكشّفة عنه. - أضاف إلى الأمثلة الثلاثة الموجودة سابقاً سبعة أمثلة.

٧	القاعدة السابعة: "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن".	القاعدة السابعة: "حول تتبع التفسير المأثور لمعنى النص" - وهي القاعدة الثانية عشرة في الطبعة الأولى. - أضاف مثالين موضحين للقاعدة.
٨	القاعدة الثامنة: "حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسخها بقاطع ولزوم الجمع بينها".	القاعدة الثامنة: "حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسخها بقاطع ولزوم الجمع بينها". - دمج الميداني في هذه القاعدة: مضمون القاعدتين الثامنة والخامسة والعشرين في الطبعة الأولى؛ ربما لتكامل المعلومات في القاعدة الخامسة والعشرين مع ما جاء في القاعدة الثامنة، فجمع بينهما. - أضاف إلى أمثلة قضية تكافؤ النصوص القرآنية وضرورة الجمع بينها الموجودة سابقاً أمثلة على ما يدعى النسخ فيه وهو محكم غير منسوخ.
٩	القاعدة التاسعة: "حول تتبع مراحل التنزيل".	القاعدة التاسعة: "حول تتبع مراحل التنزيل" - أضاف قول الزركشي (ت ٧٩٥هـ) في ترتيب نزول السور. - وضّح المثال الرابع وأضاف مثلاً خامساً إلى تلك الأمثلة الموجودة سابقاً. - أضاف جدول المكي والمدني لسور القرآن المجيد.
١٠	القاعدة العاشرة: "حول البحث عن المحاذيف للإيجاز".	القاعدة العاشرة: "حول الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سور مكية، ووضع آيات مكية التنزيل في سور مدنية"
١١	القاعدة الحادية عشرة: "حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض".	القاعدة الحادية عشرة: "حول النظر في أسباب النزول" - وهي القاعدة الرابعة عشرة في الطبعة الأولى. - توسّع قليلاً في بيان القاعدة.
١٢	القاعدة الثانية عشرة: "حول تتبع التفسير المأثور لمعنى النص".	القاعدة الثانية عشرة: "حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها"
١٣	القاعدة الثالثة عشرة: "حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف".	القاعدة الثالثة عشرة: "حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية" - وهي القاعدة الحادية عشرة في الطبعة الأولى.

	النصوص".	– عدّل عنوان القاعدة. – توسّع في شرح المقولة الثانية من القاعدة، وقَدّم منهجاً ينبغي اتباعه حول ما توصّلت إليه البحوث العلميّة الإنسانيّة.
١٤	القاعدة الرَّابِعة عشرة: "حول النظر فيما ورد من أسباب النزول".	القاعدة الرَّابِعة عشرة: "حول اقتضاءات النّصّ ولوازمه وروابطه الفكريّة ومحاذيفه التي حُذفت للإيجاز والتّضمينات التي يضمّنها" – دمج الميداني في هذه القاعدة مضمون القواعد (العاشرة والعشرين والرّابعة والعشرين) في الطّبعة الأولى؛ فكلّها تدور في فلكٍ واحدٍ، فجمع بينهما.
١٥	القاعدة الخامسة عشرة: "حول التّكرير وأغراضه".	القاعدة الخامسة عشرة: "حول التّكرير وأغراضه" – وضّح أنّ من أغراض التّكرير متابعة الواقع في أحداثه وصياغة النّصوص بطريقة تدلّ عليه. وأنّ من أغراضه أيضاً تجزئة الأفكار المراد بيانها حول موضوع واحد. – وأضاف إلى أغراض التّكرير تحقيقه لجوانب بلاغيّة في النّصّ، وهي لا تتحقّق إلّا بالتّوزيع.
١٦	القاعدة السّادسة عشرة: "حول التّظر فيما توصّلت إليه البحوث العلميّة الإنسانيّة في موضوع النّصّ القرآنيّ".	القاعدة السّادسة عشرة: "حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنيّة بحثاً علمياً لغوياً" – وهي القاعدة السّادسة في الطّبعة الأولى. – عدّل عنوان القاعدة هنا. – وقَدّم هنا الخطوة السّادسة من خطوات البحث العلميّ اللّغويّ على الخطوة الرّابعة، كما أضاف الخطوة السّابعة. – وزاد في بيان الخطوة الأولى والخامسة. – وأضاف سبعة أمثلة موضّحة للقاعدة.
١٧	القاعدة السّابعة عشرة: "حول الرّبط بين الآيات وخواتيمها".	القاعدة السّابعة عشرة: "حول الرّبط بين الآيات وخواتيمها" – أضاف مثالين إلى المثالين الموجودين سابقاً.
١٨	القاعدة الثامنة عشرة: "حول التّظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة".	القاعدة الثامنة عشرة: "حول التّظر في الألفاظ المتقاربة المترادفة" – أضاف مثالين إلى الأمثلة الثلاثة الموجودة سابقاً.
١٩	القاعدة التاسعة عشرة: "حول تردّد النّصّ القرآنيّ بين دلالتين أو أكثر".	القاعدة التاسعة عشرة: "حول تردّد النّصّ القرآنيّ بين دلالتين أو أكثر" – حذف المثال الخامس من أمثلة الطّبعة الأولى.

	داليتين أو أكثر".	
القاعدة العشرون: "حول القسم في القرآن الكريم"	القاعدة العشرون: "حول مراعاة ظاهرة التضمن".	٢٠
القاعدة الحادية والعشرون: "حول النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه"	القاعدة الحادية والعشرون: "حول النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه".	٢١
القاعدة الثانية والعشرون: "حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد"	القاعدة الثانية والعشرون: "حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن".	٢٢
القاعدة الثالثة والعشرون: "حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفة موزعة على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطردها استعمالها في سائرهما"	القاعدة الثالثة والعشرون: "حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية".	٢٣
القاعدة الرابعة والعشرون: "حول التنوع في أساليب الأداء البياني"	القاعدة الرابعة والعشرون: "حول النص واقتضائه".	٢٤
القاعدة الخامسة والعشرون: "حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص"	القاعدة الخامسة والعشرون: "حول كون النص محكماً أو منسوخاً".	٢٥
القاعدة السادسة والعشرون: "حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية، ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر"	القاعدة السادسة والعشرون: "حول النظر في توجيه الخطاب".	٢٦
القاعدة السابعة والعشرون: "حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي"	القاعدة السابعة والعشرون: "حول التعليل بعد التهي أو النفي أو الأمر"	٢٧

٢٨	القاعدة الثامنة والعشرون: "حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً"
٢٩	القاعدة التاسعة والعشرون: "حول التعليل بأن المصدرية وما بعدها في الآيات القرآنية، وفي لزوم تقدير المحذوفات قبلها" - وهي القاعدة السابعة والعشرون في الطبعة الأولى. - عدل عنوان القاعدة. - أضاف ثمانية أمثلة إلى المثالين الموجودين سابقاً.
٣٠	القاعدة الثلاثون: "حول استعمال الفعل الماضي فيما له الكينونة الدائمة وفيما حصل فعلاً، وفيما هو مقضيٌّ مقدّر، فهو متحقق الوقوع في المستقبل وينتظر الزمن الذي يكون فيه واقعاً منجزاً، وفيما هو معلوم لله ﷻ وقوعه في المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه، إنما له به علم وتمكين وتسخير"
٣١	القاعدة الحادية والثلاثون: "حول النظر في توجيه الخطاب الرباني" - وهي القاعدة السادسة والعشرون في الطبعة الأولى. - عد ما قاله في الطبعة الأولى مقولةً أولى، ثم أضاف المقولتين الثانية والثالثة.
٣٢	القاعدة الثانية والثلاثون: "حول كلمة (لعل) الواردة في القرآن في مثل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾"
٣٣	القاعدة الثالثة والثلاثون: "حول لفظة ﴿بَلَى﴾ في القرآن"
٣٤	القاعدة الرابعة والثلاثون: "حول عبارة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا﴾ في القرآن"
٣٥	القاعدة الخامسة والثلاثون: "حول تعدية فعل (أراد - يريد) في القرآن"
٣٦	القاعدة السادسة والثلاثون: "حول تعبيرات (من بين يديه ومن خلفه، ونحوهما - الأمام - الراء)"
٣٧	القاعدة السابعة والثلاثون: "حول إسناد الفعل أو ما في معناه إلى فاعله، أو من قام به، أو مسببه، أو الأمر به والداعي له، أو المتهم أو الحاكم أو القاضي به، أو واجده والعائر عليه والواصل إلى العلم به، أو غير ذلك"
٣٨	القاعدة الثامنة والثلاثون: "حول ما يُسمّى بالاستثناء المنقطع"
٣٩	القاعدة التاسعة والثلاثون: "حول لفظة ﴿كَذَلِكَ﴾ في القرآن"
٤٠	القاعدة الأربعون: "حول القراءات العشر"

ومن الملحوظات التي يمكن وضعها بعد قراءة الجدول السابق:

- لم يرتَّب الميدانيُّ القواعد في الطَّبعة الأولى ترتيباً منطقياً وفق نمطيَّة معيَّنة، وكان من المتوقَّع منه وهو الذي كتب هذه القواعد كمقدِّمة منهجيَّة لنفسيره "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر" حسب ترتيب النُّزول أن يراعي ترتيبها، أو يستدرك ذلك بشكلٍ كافٍ مع قواعد الطَّبعة الثَّانية.

- أضاف إلى القواعد في الطَّبعة الأولى سبع عشرة قاعدةً فأصبح عدد القواعد في الطَّبعة الثَّانية أربعين قاعدةً، واعتنى بوضع بعض هذه القواعد المضافة بجوار القواعد التي تتقارب في موضوعها، فمثلاً وضع القاعدة العاشرة: "حول الحكمة من وضع آيات مدنيَّة التَّنزيل في سورٍ مكِّيَّة، ووضع آياتٍ مكِّيَّة التَّنزيل في سور مدنيَّة" بعد القاعدة الثَّاسعة: "حول تتبع مراحل التَّنزيل"، وكلتاها تتعلَّقان بالآثار.

واختار أن يكون مكان القاعدتين (الثَّالثة والعشرين، والرَّابعة والعشرين) بجوار القواعد (الحادية والعشرين، والثَّانية والعشرين، والخامسة والعشرين) حيث تتعلَّق جميعها بخصائص الأسلوب القرآنيِّ.

- دمج بعض القواعد في الطَّبعة الأولى.

- زاد في بيان بعض القواعد في الطَّبعة الأولى، كما أضاف إليها أمثلة توضيحيَّة، وإنَّ تعديله في عناوين بعض تلك القواعد إمَّا يدلُّ على اعتنائه بأن يكون عنوان القاعدة دالًّا على مضمونها.

نستنتج: أنَّ كلَّ التَّغييرات التي أجراها الميداني على بنية الطَّبعة الأولى ميَّزت الطَّبعة الثَّانية، وجعلتها أفضل من الطَّبعة الأولى، ولو أنَّ الميدانيَّ اعتنى أكثر بترتيب تلك القواعد وتقديم بعضها على بعض، كتقديم القاعدة التي تتعلَّق بالقراءات، والقواعد التي تتعلَّق بالكلمة القرآنيَّة لكان أفضل.

ومع أنَّ الميداني دمج بعض القواعد في الطَّبعة الأولى إلَّا أنَّ التَّدخل في قواعد الطَّبعة الثَّانية لا يزال موجوداً مثل القواعد (السَّادسة، والخامسة عشرة، والخامسة والعشرين)، وكذلك القاعدة الثَّانية التي تندرج تحت القاعدة الأولى، ولعلَّه أراد من فصلها عن بعضها تسليط الضُّوء على جزئيَّاتٍ معيَّنة فيها.

- وأخيراً: لم ينسَ الميدانيُّ في ختام قواعد حمد الله ﷻ على ما أعطاه وأفاض، وسأله أن يُمَنَّ عليه بأن يجعله من الشَّاكرين المحسنين، ودعائه بدعوة رسول الله سليمان عليه السَّلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

[النمل/١٩] ^(١)

(١) انظر: قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٨٠٢.

المطلب الثاني: مصادر الكتاب:

- في حقيقة الأمر لم يذكر الميداني أسماء المصادر والمراجع التي استقى منها قواعده غالباً، وقد أشار إلى أنها قواعدٌ جديدةٌ الاستخراج قد هدّت إليها ممارسة تدبُّر كتاب الله بعمقٍ وأناةٍ^(١)، وربما قصد بذلك أنه أوّل من ضمّها وأكسبها حلّةً قواعديّةً في كتابٍ من كتب أصول التفسير القرآنيّ.
- مع العلم أنّه قد أشار في مقدّمة الطّبعة الأولى للكتاب أنّه قد يكون مسبوقاً إلى كتابتها أو الإشارة إليها^(٢). فأضاع بذلك على قراء هذا الكتاب فرصة الاطّلاع على مصادره ومراجعته في تأليفه والتي يبدو أنّها غزيرة؛ نظراً لغزارة المعلومات الموجودة فيه.
- لكن لا يخلو الأمر أحياناً من إشارته إلى بعض الكتب - إمّا في المتن^(٣) أو في هامش الصّفحة^(٤) - التي استفاد منها أو طلب من القارئ الرجوع إليها، وذكره لأسماء بعض العلماء واستعانت به بأقوالهم في بعض ما جاء في القاعدة، والتّقل عنهم^(٥)، وكثيراً ما يُبدي رأيه في المسألة غير مكتفٍ بعرض أقوالهم^(٦).
- وقد يحيل القارئ إلى أحد مؤلفاته لاستكمال فكرة أو للتوسع فيها^(٧) أو يُرجّعه إلى قاعدة سبق وشرّحها^(٨).

(١) انظر: قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٢.

(٣) منها: "البرهان في علوم القرآن" للزركشي، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام، "تفسير الكشاف" للزخشري، "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، "البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة" لعبد الفتاح القاضي، "المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر" لمحمد سالم محيسن، المرجع السابق، ١٥٣، ٢٥٢، ٢٩٦، ٥٥٨، ٧٦٤، ٧٦٤ على الترتيب.

(٤) منها: "نيل الأوطار" للشوكاني، "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" للعز بن عبد السلام، "قصص القرآن الكريم" لابن كثير، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني، "الدّر المصون" للستمين الحلبي، المرجع السابق، ٢٠٤، ٢٥٢، ٤٦٩، ٧١٧، ٧٣٩ على الترتيب.

(٥) مثل: ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، المرجع السابق، ٢٥٢، ٥٦٧ على الترتيب.

(٦) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ط ٤، انظر مثلاً: ٦١، ٦٢، ١٥٤، ٢٠٤، ٢١١، ٣٢٠.

(٧) المرجع السابق، انظر مثلاً: إحالته إلى كتاب "الأمة الربانيّة الواحدة"، ٢٧١، ٣٥٤.

(٨) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٣١٣.

المطلب الثالث: نبذة عن منهج المؤلف في الكتاب وطريقة عرضه:

- تنوع منهج الميداني في استخراج قواعد التدبر، فمن جهة صرح بأن تلك القواعد ملاحظات جمّع ما رآه منها صالحاً لأن يُضمّ بعضه إلى بعض؛ ليكون قاعدة، ثمّ تابع جمع الأمثلة التي تؤيّد القاعدة المستخرجة.^(١) ونجده من جهة أخرى قد اعتمد في استخراج بعض القواعد على السّبر الشّامل لآيات القرآن الكريم^(٢)، إذ تيسّر له ذلك بمعونة "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، لوضعيه محمّد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨هـ)^(٣) ويكلّمنا عن ذلك فيقول: "فقد تبين لي أنّ السّبر الشّامل يقدّم رؤى أكثر وضوحاً وبصيرة للمتدبر، على أنّه هو المنهج العلميّ الأمثل لمعرفة حقائق الأشياء، التي لا تخضع للقواعد العقلية الكلية المجردة، المتفق عليها عند أهل العقل والمنطق التجريديّ والرياضيّ."^(٤) ولكنّه اعتمد على الاستقراء الناقص في القاعدة السادسة^(٥).

- أمّا بالنسبة إلى طريقة عرضه لقواعد التدبر الأربعين، فقد سار تقريباً على وتيرة واحدة غالباً في عرضها، وبعد النّظر فيها يمكن استنباط النّقاط الآتية في ذلك:

أ- وضع لكل قاعدة من القواعد الأربعين عنواناً يتضمّن موضوع القاعدة، بصيغة واحدة في كلّ القواعد، وهي: القاعدة كذا (رقم القاعدة) "حول كذا (موضوع القاعدة)..."، مثال ذلك:

القاعدة العشرون: "حول القسم في القرآن الكريم" مع ملاحظة أنّ كثيراً من العناوين لخصّت مضمون القاعدة بإيجاز، كعنوان القاعدة الأولى والثانية والسادسة وغيرها.

ب- صدّر معظم القواعد بما يجب على المتدبر فعله فيها من بحثٍ أو تتبّع أو ملاحظة، مستخدماً عبارة: (على متدبر كتاب الله أن...).

ج- فصل بعض القواعد في أكثر من مقولة، ومثال ذلك:

(١) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، مثلاً: القاعدة الثالثة والثلاثون/٦٣٣، القاعدة الرابعة والثلاثون/٦٣٧، القاعدة الخامسة والثلاثون/٦٤١.

(٣) هو محمّد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمّد، ولد عام ١٢٩٩هـ، مصريّ الأبوين، عالم بتنسيق الأحاديث النبويّة ووضع الفهارس لها، ولآيات القرآن الكريم، وتوفي رحمه الله سنة ١٣٨٨هـ، ومن مصنفاته: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، و"اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشّيخان". انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/٣٣٣.

(٤) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٦-٧.

(٥) المرجع السابق، ٦٨.

القاعدة الرَّابِعة عشرة: "حول اقتضاءات النصِّ ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حُذفت للإيجاز والتَّضمينات التي يضمَّنُها"

وفيها ثلاث مقولات:

"المقولة الأولى: نظرة عامّة حول المعاني التي تُستفاد من النصِّ لزوماً، ويقتضيها النصُّ اقتضاءً، مشروحة بالأمثلة.

المقولة الثانية: حول المحاذيف للإيجاز، من خلال الشواهد القرآنية.

المقولة الثالثة: حول ظاهرة التَّضمين، من خلال الشواهد القرآنية." (١)

د- بيّن كثيراً من القواعد بأسلوبٍ سهلٍ واضحٍ منطقيٍّ، وقد يستخدم عبارات إنشائية تتضمّن صوراً بيانيةً أثناء بيانه لها، ومثال ذلك: قوله في بيان القاعدة الثانية "حول وحدة موضوع السُّورة القرآنية": "واستبان لي أنّ مثل السُّورة من القرآن كمثل الشَّجرة من الأشجار البديعة المثمرة المشبعة بالتَّنسيق الجماليِّ، وبالعناصر الجمالية المعجبة السَّارة الممتعة، أو كمثل كائنٍ حيٍّ من الكائنات الرّاقيات، فالشَّجرة مهما اختلفت صفات أجزائها مجتمعة على أصلٍ واحدٍ، ومشتقّة منه، والكائن الحيُّ مهما اختلفت صفات أعضائه مجتمّع على أصلٍ واحدٍ ومشتقٌّ منه." (٢)

واستعان أحياناً بأمثلة توضيحية من الواقع لإيصال المراد من القاعدة، كما فعل في القاعدة الثامنة والعشرين "حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً" مثلاً، إذ يقول في بيان القاعدة:

"وكان رجلٌ ذو يدين طويلتين حقيقة في مجلسٍ من عليّة قومه، فجاء إلى هذا المجلس طالبٌ معروفٌ ذو حاجةٍ فأدرك ذو اليدين الطويلتين صدق طلبه، فمدَّ يده إلى جيبه، وأخرج صُرَّةً فيها دنانيرٌ، وناولها الرَّجل. فقال له كبير القوم في المجلس: إنّ يدَكَ لَطَوِي تَنْبُلُ نوالها القريب والبعيد.

فضحك المجلساء، إذ أدركوا أنّه قد قصد يَدَه الجسديّة والمعنويّة، وقصد أنّه طویلها في القياس المادّيّ، وطویلها في الجود، وأنّه يُنبِلُ بها نوالاً مادّياً ومعنوياً، القريب منه مجلساً والقريب نسباً، والبعيد منه مجلساً والبعيد نسباً، وأنّه قد أراد أن يدلَّ بكلِّ كلمة قالها دلالة مزدوجة على معنيها معاً." (٣)

(١) قواعد التدبّر الأمثل، ط٤، ٢٤٢، انظر أيضاً: القاعدة الثالثة عشرة والحادية والثلاثين، ٢٥٥، ٦١١.

(٢) المرجع السابق، ٢٧-٢٨.

(٣) المرجع السابق، ٥٦٨.

وقد يستعينُ بمخططٍ توضيحيٍّ^(١) وجداولٍ بيانيَّةٍ^(٢) أثناء عرضه للقاعدة.

ونجده قد خصَّ القاعدة الأربعين: "حول القراءات العشر" بمقدِّمة حول القراءات^(٣) وملحقٍ^(٤).

هـ- تفاوت ذكره لأهميَّة القاعدة، أو ما ينجم عن إغفالها أو إهمالها وعدم تطبيقها.

فمثلاً في القاعدة التاسعة "حول تتبع مراحل التَّنزيل" نَبَّه على أهميَّة تتبع مراحل التَّنزيل بقوله: "إنَّ مراعاة التَّنزيل وأزمانيه، وملاحظتها لدى التَّدبُّر، تحمي من أخطاءٍ تفسيريَّة قد يقع بها بعض المفسِّرين. فبعضهم قد يأتي بقصصٍ مدنيَّة فيضعها شرحاً أو سبباً لنصٍّ مكِّيٍّ، ويحمِّلُ بذلك النصَّ القرآنيَّ ما لا يحمل، وقد يقع من جرَّاء ذلك في خطأ فادح. وقد يأتي بحادثةٍ مكِّيَّة فيجعلها سبباً لنزول نصٍّ مدنيٍّ لا علاقة له بهذه الحادثة."^(٥) وبينما نجده في القاعدة السابعة: "حول تتبع التفسير المأثور لمعنى النصِّ" لم يبيِّن أهميَّة النَّظر في التفسير المأثور، وتأتي أهميَّته من أنَّ التفسير بمجرد الرأْي دون الرَّجوع إلى المأثور حرام، ويوقع المفسِّر بأخطاء كثيرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: "من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوَّأ مقعده من النَّار."^(٦)

و- تحدَّث عن إعجاز القرآن الكريم وخصائصه كلِّما سنحت له الفرصة، ومثال ذلك في القاعدة الثالثة "حول أوجه النصِّ التي يهدف إليها" قوله: "فالقرآن فيه تعليمٌ وتوجيهٌ وتربيةٌ للجميع..."^(٧) وفي القاعدة السادسة "حول تكامل النصوص القرآنيَّة..." قوله: "ومثل هذا لا يكون من بشرٍ، فهو كلام الله حقاً وصدقاً، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً."^(٨)

ي- تفاوتت الأمثلة القرآنيَّة بين العدم^(٩) والكثرة^(١٠)، وفُسِّر - غالباً - الآيات الواردة فيها تفسيراً إجمالياً، كما رتَّب تلك الأمثلة بحسب ترتيب نزول الآيات وموضع الشَّاهد.

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ١٧٨-١٨٤، ٧٦٢-٨٠٠.

(٣) المرجع السابق، ٧٠٩-٧٢٠.

(٤) المرجع السابق، ١٧٨-١٨٤، ٧٥٣-٨٠٠.

(٥) المرجع السابق، ط ٤، ١٥٢-١٥٣.

(٦) سنن التَّسائيِّ الكبرى، التَّسائيِّ، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، (بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، باب من قال في القرآن بغير علم، رقم الحديث (٨٠٨٥)، ٣٠/٥.

(٧) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٤٦.

(٨) المرجع السابق، ٧٠.

(٩) المرجع السابق، انظر مثلاً: القاعدة الرَّابِعة ٥٣، القاعدة الحاديَّة عشرة ٢٠٣، القاعدة الحاديَّة والعشرون ٤٩٩.

(١٠) المرجع السابق، انظر مثلاً: القاعدة السَّادسة ٧١، القاعدة الرَّابِعة عشرة ٢٦٠، القاعدة السَّابعة والعشرون ٥٥٧.

وتختلف طريقة عرض القاعدة عند الميداني عن غيره من الباحثين المعاصرين اختلافاً يسيراً، فمثلاً تتلخّص بعض النّقاط أو العناصر المنهجية في عرض القواعد عند صاحب كتاب "قواعد التّفسير جمعاً ودراسة" بالآتي:

أ- ينقل القاعدة بعبارّة قائلها قدر الإمكان بعبارّة موجزة، وإذا كانت القاعدة كبيرة بحيث يدخل تحتها مجموعة من القواعد يذكرها، ويذكر القواعد الداخلة تحتها.

ب- يحيل القارئ إلى مصادر القاعدة، وقد يُغفل ذكر المرجع في بعض الأحيان - كما أشار - اكتفاءً بما أورده في الشّرح أو التعليق على بعض الأمثلة من كلام لبعض العلماء صرّح فيه بذكر القاعدة.

ج- ثمّ يشرع بتوضيح القاعدة إذا كانت تحتاج إلى الشّرح، أو فيها ما يتطلب ذلك، مع الاختصار ما أمكن، وإذا كان المعنى في القاعدة واضحاً اكتفى بذكرها فقط.

د- وأخيراً يذكر مثلاً أو أكثر، مع الإشارة إلى موضع الشّاهد منه، وهناك قواعد قليلة جداً لا تستدعي تطبيقاً فلا يذكر معها مثلاً. ^(١)

أمّا صاحب كتاب "قواعد التّفسير لدى الشيعة والسّنة" فقد بحث في كلّ قاعدةٍ بحسب الحاجة عن عدّة أمور - كما أشار في مقدّمة كتابه - وهي: "١- صورة القاعدة. ٢- آراء في القاعدة. ٣- دليل القاعدة. ٤- مفاد القاعدة. ٥- مدى سعة القاعدة. ٦- تطبيق القاعدة." ^(٢)

المطلب الرابع: القيمة العلميّة للكتاب:

تبرز القيمة العلمية للكتاب من خلال أمورٍ عدّة، وهي:

أولاً: إنّ كتاب "قواعد التّدبّر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات" كتابٌ جديدٌ يُضاف إلى المكتبة الإسلاميّة التي تفتقر إلى مثل هذه المؤلّفات في علم التّفسير، وقد لاقى انتشاراً كبيراً بين النّاس واستحسان أهل العلم في الثّمانينات، إذ يقول الميداني: "فقد نال بفضل الله ومنّته هذا الكتاب (قواعد التّدبّر الأمثل لكتاب الله ﷻ) في طبعته الأولى المختصرة الموجزة، استحسان أهل الرّأي والفكر، وإعجاب المتخصّصين بالدراسات

(١) انظر: قواعد التّفسير، خالد السّبت، ١١-٦.

(٢) قواعد التّفسير لدى الشيعة والسّنة، محمّد فاكّر المييدي، ١٠.

الشَّرْعِيَّة، لاسيَّما تفسير القرآن الكريم.^(١) وسبب ذلك ينبع من أهميَّة موضوعه الذي يتضمَّن أسساً لفهم كتاب الله ﷻ، وكذلك غزارة معلوماته مع صغر حجمه، وأسلوب الميدانيِّ السَّهل المبسَّط المفهوم لكلِّ قارئٍ شاء أن ينتفع بها، على الرَّغم من أنَّ كثيراً من القواعد يحتاج إلى متخصِّصٍ لفهمها بصورةٍ دقيقةٍ كما سيُبيِّن فيما بعد.

ثانياً: حوى إضافات نوعيَّة لبعض المصطلحات الجديدة في علم التفسير، ومنها: مصطلح "قواعد التَّدْبُر"^(٢)، و"العمق القرآنيِّ"^(٣)، و"الإعجاز التَّكاملي"^(٤)، "التَّدْبُر الاستنباطي"^(٥) و"التَّدْبُر الاستقرائي"^(٦)، و"الإعجاز الفني"^(٧).

ثالثاً: فتح الميدانيُّ الباب أمام الباحثين للقيام بدراسات تحليليَّة ذات نفع، كالدراسة التَّكامليَّة التي قام بها لنصَّين قرآنيين من سورتي "النمل" و"القصص" في القاعدة السَّادسة "حول تكامل النُّصوص القرآنيَّة في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التَّكرير لمجرَّد التأكيد ما أمكن"^(٨) إذ يقول: "هذه دراسةٌ تحليليَّةٌ مقارنةٌ موجزةٌ لنصَّين حول قصَّةٍ واحدةٍ من القصص القرآنيَّة، قدَّمتها نموذجاً أوَّلياً لدراسات مقارنة للقصص القرآنيَّة."^(٩)

وكذلك: "الدراسة التَّحليليَّة للقراءات التي ليست لمجرَّد التيسير على الناطق العربيِّ، الموجودة في سورة البقرة"^(١٠)

رابعاً: اصطلح الميدانيُّ على تسمية تأليفه بـ "قواعد التَّدْبُر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملاتٍ" وأراد من تلك القواعد أن تكون فاتحةً لبناء علمٍ جديدٍ - كما أشرت سابقاً^(١١) - هو: "علم التَّدْبُر" لكنَّه لم يعط

(١) قواعد التَّدْبُر الأمثل، الميداني، ط ٤، ٥.

(٢) المرجع السابق، ٣.

(٣) المرجع السابق، ٢٣٩.

(٤) المرجع السابق، ٦٧.

(٥) المرجع السابق، ٢٤١.

(٦) المرجع السابق، ٦٤٣.

(٧) المرجع السابق، ٧٢٣.

(٨) المرجع السابق، ٦٧.

(٩) المرجع السابق، ١٣١.

(١٠) المرجع السابق، ٧٢٥.

(١١) انظر الصَّفحة (٢٦).

القارئ تصوّراً إجمالياً لهذا العلم، ولم يدخل في تفاصيله.

وقد نظر أحد الباحثين في دلالة كلمة (تأمّلات) في عنوان الكتاب عند الميدانيّ، واختياره لها في عنوانه مؤلفه، فقال: "فهى من جهة تُشعر بِمَ عنى رغبة في الفهم وإمعان النَّظر، وتدقيق الفحص والسَّبر، ورؤية ما في الأعماق، وهذا يكشف عن لونٍ خاصٍّ من الجهد والعناية قام به المؤلّف رحمه الله في هذا الكتاب... ومن جهة أخرى فإنَّ التَّأمُّل يناسبه السُّكون والهدوء، والبعد عن الضَّوضاء والشَّغب الخارجي الذي يشغل الحواس، وبالتالي يشغل الفكر والعقل ويُبعده عن إتقان العمل والغوص في العمق،... ومن جهة ثالثة؛ فإنَّ قوله (تأمّلات) يشرح طريقة المؤلّف في الكتابة، ويفتح للباحث وجه اختيار المؤلّف لطريقة السَّرد دون التَّقيد بالمصادر والمراجع والتَّخريج للمنقولات كما هو معهود في الكتابات الأكاديميّة، وخاصّة أنَّ المؤلّف رحمه الله من كبار الأساتذة الجامعيّين ومن أعلام الأكاديميّين ومن المناقشين للرسائل الجامعيّة طيلة سنوات، فإنَّ طبيعة الكتابة التَّأمُّليّة واختلافها عن الكتابة الأكاديميّة تجعل الباحث يعتدل في الحكم على المؤلّف ويلتمس له العذر في هذا التَّصرُّف والاختيار."^(١)

نعم، نوافق الباحث بأنَّ كلمة "تأمّلات" توحى بجهد فكريّ علميّ أصيلٍ وعميقٍ، قد بذله المؤلّف، مع عدم ادّعائه بأنَّ هذا الجهد قد وصل إلى درجة العمل العلميّ المنضبط بأصول البحث العلميّ وقواعده، لذا فإنّه يمكن النَّظر إلى ما جاء به الميدانيّ على أنّه خطوة كبيرة نحو تأسيس ما سمّاه "علم التَّدبُّر" دون الوصول إلى كامل معالمه وأركانه الدَّقيقة.

كما يُلحظ من كلمة (الأمثل) في عنوان الكتاب أنّه أراد من المتدبّر أن يكون في أعلى درجات التَّدبُّر؛ لينتفع من هذه القواعد.

خامساً: تنوّعت قواعد التَّدبُّر بين قواعد تتعلّق بالدّلالة في القرآن الكريم واللُّغة وعلوم القرآن وبأنواع مختلفة من التَّفسير.

لكنّ هذه القواعد جاءت مبعثرة في الكتاب - كما ذكر سابقاً - لم يضمّها الميدانيّ أو يرتّبها بحيث يظهر للقارئ علاقة واضحة فيما بينها.

(١) قواعد التَّدبُّر القرآني بين التَّنظير والتَّطبيق، رشيد بوعافية، ٧٢، نُقِل النَّص بطوله لأهميّته.

ويرى أحد الباحثين أنَّ: "الكتاب رغم محاولة توسيع مجالات البحث في النصِّ القرآنيِّ إلاَّ أنَّه يفتقد الرؤية المتكاملة والمتخصَّصة والمنهجية، فلا هو بالدراسة الأدبيَّة الصرفة، ولا هو ذو منهج مترابطٍ يحقِّق نتائج قابلة للربط بين فرعٍ وأصلٍ أو مسارٍ وآخر." ^(١)

سادساً: ومن خلال الاطلاع على القواعد الأربعين لوحظ أنَّ قسماً منها يُعدّ ضوابط تفسيرية (أي: قواعد توجّه المفسّر عند تفسيره للآية، وتحفظه من الخروج عن منهج التفسير القويم). وأمثلة ذلك:

القاعدة الرَّابعة: "حول بيئة نزول النصِّ البشريَّة والزَّمنيَّة والمكانيَّة والنَّفسيَّة والفكريَّة الفرديَّة والاجتماعيَّة" ^(٢)

القاعدة التَّاسعة: "حول تتبع مراحل التَّنزيل" ^(٣)

القاعدة الحادية عشرة: "حول النَّظر في أسباب التَّزول" ^(٤)

القاعدة الثالثة عشرة: "حول أنَّ القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنَّه لا تناقضَ بينه وبين الحقائق العلميَّة الثابتة بالوسائل الإنسانيَّة" ^(٥)

والعلم بقواعد اللُّغة العربيَّة نحوها وصرفها في القاعدة السَّادسة والعشرين: "حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربيَّة ومفاهيم الصيغ الصَّرفية، ولزوم البحث عن سرِّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظَّاهر" ^(٦)

سابعاً: لم يخصَّص الميدانيُّ قواعد التَّدبُّر لشريحة معيَّنة من النَّاس فهي كما قال في مقدِّمة الطَّبعة الأولى: "أكتبها لمن شاء أن ينتفع بها" ^(٧) وذلك أثناء تدبُّره للقرآن الكريم، ولكنَّه حدَّد صفاتهم حيث خصَّهم بجملة أمور، وهي:

"١- الأناة والبصيرة النَّفاذة اللَّمَّاحة، مع قدرات تأمُّلٍ بحثيٍّ، لا يقتصرُ على جمع آراء السَّابِقين والوقوف عندها.

(١) النَّسق القرآني دراسة أسلوبيَّة، محمَّد ديب الحاجي، (دار القبله للثقافة الإسلاميَّة، جدَّة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ١٩٦.

(٢) قواعد التَّدبُّر الأمثل، ط٤، ٥٣.

(٣) المرجع السَّابق، ١٥١.

(٤) المرجع السَّابق، ٢٠٣.

(٥) المرجع السَّابق، ٥٢٢.

(٦) المرجع السَّابق، ٥٥١.

(٧) المرجع السَّابق، ١٢.

- ٢- تمكّن الباحث من جملة معارفٍ متنوّعة، عربيّة، وأدبيّة، وعلومٍ إسلاميّة، وأسسٍ وضوابطٍ عقليّةٍ منطقيّة.
- ٣- اطّلاع الباحث على معارفٍ واسعةٍ أخرى من علوم الطّبيعة، والكونيّات، والعلوم الإنسانيّة.^(١)
- وهذا يدلّ على أنّ قواعد التّدبّر عنده تصلحُ لفئةٍ مخصوصةٍ من المتدبّرين الذين يتّصفون بالصّفات السّابقة المذكورة، ولا تصلح لغير المتخصّص (العامّي) أثناء تدبّره للقرآن؛ لأنّه لا يتّصف غالباً بمعظم تلك الصّفات. ومن الواضح أنّ تلك الأمور يحتاجها من أراد أن يفسّر القرآن الكريم أيضاً من باب أولى.

(١) نوح الطيّار وقومه في القرآن المجيد، الميداني، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٠م)، ١٠.

المبحث الرابع: التعريف بكتاب "معارج التفكير ودقائق التدبر"

ويضمُّ المطالب الآتية:

المطلب الأول: وصف الكتاب:

كتاب "معارج التفكير ودقائق التدبر" تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، وفق منهج كتاب "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات" الذي يتضمن أربعين قاعدة تعهد الميداني بالتزامها في هذا التفسير قدر المستطاع، كما أشار في مقدمة تفسيره، إذ يقول: "وقد رأيت من الواجب عليّ أن أقدم ما أستطيع تقديمه من تدبرٍ لسور هذا الكتاب المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ملتزماً على مقدار استطاعتي بمضمون القواعد التي فتح الله بها عليّ، مع الاعتراف بأن التزامها التزاماً دقيقاً وشاملاً عسيرٌ جداً، بل قد يكون بالنسبة إلى متدبرٍ واحدٍ متعذراً، وأسأل الله أن يمدني بعونه وتوفيقه وفتحه المبين." (١)

ويتألف هذا التفسير من خمسة عشر مجلداً، حيث يتراوح عدد صفحات تلك المجلدات بين (٦٨٠ إلى ٨٤٠) صفحة، باستثناء المجلد الخامس عشر فقد توفّي الميداني رحمه الله قبل إتمامه فبلغت عدد صفحاته (٤٤٦) صفحة فقط، وجميع هذه المجلدات مطبوعة (طبعة أولى فقط) من قبل دار القلم بدمشق أو بيروت.

اشتمل هذا التفسير على مقدمة عامة بيّن فيها منهجه الذي سيسير عليه في تدبره للقرآن الكريم.

ويلي تلك المقدمة تدبره للسور المكيّة الموزعة على المجلدات الخمسة عشر، والتي ينتهي كلٌّ منها بخاتمة - باستثناء المجلدين الأول والثاني - ذكر فيها تاريخ انتهائه من تأليف المجلد، والتزامه تطبيق قواعد التدبر قدر المستطاع، ودعاءه وثنائه على الله ﷻ، كما أنّه في خواتيم المجلدات الأخيرة من تفسيره وصف معاناته وصبره على تحمّل المرض الذي أبلى جسده وأنهك قواه، وهوان ذلك المرض عليه أمام لذّة القرب من الله ﷻ، وطرق أبواب فهم كتابه الحكيم، ومن ذلك قوله في خاتمة المجلد السابع: "لقد كنت ألتقط

(١) معارج التفكير، الميداني، ٥/١.

السَّاعات التي أستطيع أن أعمل فيها التقاطاً، من الزَّمن الذي أكون فيه طريحاً على فراشي أو على البساط، في توجُّعٍ أو سباتٍ، وكنت ألجأ إلى الله بالدعاء أن يعينني ويمدِّني بمدده، فأجد نفسي معاناً إعانةً عجيبةً، أعمل في السَّاعة ما يعمل الصَّحيح السَّليم في السَّاعات ذوات العدد.^(١)

وأعان الله وَجَلَكَ الميداني على إتمام العهد المكي، والبدء بمقدمات سورة البقرة أولى سور العهد المدني في المجلد الخامس عشر.

– أهمُّ ميزات الكتاب:

هناك ميّزتان يجدهما قارئ تفسير "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر" وهما الآتي:

- الأسلوب السَّهل الواضح الذي يخاطب جميع العقول ويصلح لجميع المستويات الثَّقافيَّة؛ فقد قصد به الميدانيُّ توسيع دائرة قُرَّاء التَّفسير وعدم الاختصار على شريحةٍ من طلبة العلم المتخصِّصين.^(٢)
- احتواء الكتاب على عددٍ وفيرٍ من المواضيع القرآنيَّة المتنوّعة أثناء تدبُّره التحليلي^(٣) أو في ملحقات السُّورة^(٤)، ولو جمعت في كتاب مستقلٍّ لظهر منها نفع كبير.

أضف إلى ذلك المعلومات واللَّطائف والدَّقائِق والفوائد البحثيَّة المفيدة في بعض الأمور التي تتعلَّق بتلك المعاني، فالكتاب – كما يقول أحد الباحثين – "من خير ما يقدِّم للمسلمين في هذا العصر، ويُعدُّ من الكنوز المدَّخرة."^(٥) حيث إنَّه: "يشتمل على ثروة طيِّبةٍ مصدرها كتب التَّفسير السَّابقة المعتبرة، وكتب الحديث، وكتب اللُّغة والثَّقافة العامَّة والعلوم، ... فلا ينبغي ردُّ هذا التَّفسير وما فيه، أو إطلاق الحكم فيه دون تمحيص."^(٦)

(١) معارج التَّفكُّر، الميداني، ٦٩١/٧.

(٢) انظر: التَّعريف بكتاب معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر، مجد مكي، (دار القلم، دمشق، ١١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٤٥، منهج عبد الرحمن حبَّكة الميداني في التَّفسير، رسالة قدَّمت لنيل درجة الماجستير في التَّفسير وعلوم القرآن، من إعداد الباحث: نادي حسن صبرا، إشراف الدكتور: محمَّد خازر المجالي، كليَّة الدِّراسات العليا، الجامعة الأردنيَّة، للعام الدراسي ٢٠٠٦م، ٢٤٥.

(٣) معارج التَّفكُّر، الميداني، انظر مثال ذلك: (في موضوع تجرَّد الدَّاعي من المصلحة الشَّخصيَّة) ٥٧٣/٦-٥٧٤، (في موضوع النهي عن قتل الأولاد) ٦٠٨/٩-٦١٠.

(٤) المرجع السَّابق، انظر مثال ذلك: (موضوع الاستعاذة في القرآن الكريم) ٥١/٢، (شعيب النَّبِيِّ وقومه في القرآن الكريم) ٣٥١/٥.

(٥) التَّعريف بكتاب معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر، مجد مكي، (دار القلم، دمشق، ١١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٥٦.

(٦) منهج عبد الرحمن حبَّكة الميداني في التَّفسير، نادي صبرا، ٢٤٥.

المطلب الثاني: مصادر التفسير:

توفرت للميداني مادة علمية خصبة من مختلف العلوم فشملت كتب التفسير والقراءات والعقيدة، والحديث والفقه واللغة والعلوم الكونية وغيرها، وقد رجع إليها أثناء تدبره لكتاب الله ﷻ، مع العلم أنه بين طريقته في النقل عنها، بقوله: "... فلا يكون المتدبر حقاً حتى يعرف ما ينتقي من آراء أهل التأويل، ويعرف ما يدع ويعرف ما هو ساقط مردود، وما هو محتمل، ... وأرى أن وفرة العلم إنما تكون باستجلاء ما هو الحق، أو ما هو أقرب إليه إن لم يتيسر معرفة الحق تماماً." (١)

ووصف أحد الباحثين طريقته في التعامل مع تلك المصادر بالآتي: "يهضم ما فيها جيداً، ويقتصر في فهمه واستلهامه على التبصر والتفصيل والتمييز، ثم يوظف بعد ذلك، وقد ينبّه إليها ويذكرها نقلاً، وقد لا ينبّه إليها إلا على سبيل الإجمال، وربما تكلم بأسلوبه مراعيًا لما معه فيها من بيان وإشارة، ولكنه مرتبط بها حتى ولو عبّر بأسلوبه." (٢)

وفيما يلي عرض موجز لأهم المصادر التي صرح بها، واعتمد عليها في تفسيره مع تبين في مقدار ذلك الاعتماد.

١- من كتب التفسير:

- "جامع البيان في تأويل آي القرآن" (٣) للطبري (ت ٣١٠هـ) (٤)
- "تفسير ابن المنذر" (٥) المتوفى (٣١٩هـ)
- "تفسير ابن أبي حاتم" (٦) المتوفى (٣٢٧هـ)، والمسمى أيضاً "تفسير القرآن العظيم".

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ١٣٤.

(٢) قواعد التدبر القرآني بين التنظير والتطبيق، رشيد بوعافية، ١٢٢.

(٣) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٢٢٤/١.

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام أبو جعفر رأس المفسرين على الإطلاق؛ لما له من الأثر في تطور علم التفسير في القرن الثالث، وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ولد في آمل طبرستان عام ٢٢٤هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ، ومن كتبه: "أخبار الرسل والملوك" المعروف بتاريخ الطبري، و"جامع البيان في تفسير القرآن" المعروف بتفسير الطبري. انظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ٨٢، التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، (مصر، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ٣٠.

(٥) معارج التفكير، انظر مثلاً: ٦٣/١، وابن المنذر هو محمد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر التيسابوري الشافعي الحافظ الفقيه، كان شيخ الحرم بمكة، وتوفي رحمه الله سنة ٣١٩هـ، ومن مؤلفاته: "المبسوط" في الفقه، و"تفسير القرآن الكريم". انظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ)، ٣٠/٨، الأعلام، الزركلي، ٢٩٤/٥.

(٦) معارج التفكير، انظر مثلاً: ٢٢٠/٤، هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرّازي، أبو محمد الإمام ابن الإمام الحافظ أبو حاتم، =

- "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ^(١) لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ^(٢)
- "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ^(٣) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)
- "أحكام القرآن الكريم" ^(٤)، لابن العربي (ت ٥٤٣هـ) ^(٥)
- "التفسير الكبير" (مفاتيح الغيب) ^(٦) للرازي (ت ٦٠٦هـ) ^(٧)
- "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" ^(٨)، للقرطبي (ت ٦٧١هـ) ^(٩)
- "البحر المحيط" ^(١٠) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)
- "تفسير القرآن العظيم" ^(١١) لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ^(١٢)

= ولد عام ٢٤٠هـ، أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بجرأ في العلوم ومعرفة الرجال، وتوفي رحمه الله سنة ٣٢٧هـ، ومن كتبه: "التفسير" و "الجرح والتعديل". انظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ٥٣/٢، طبقات المفسرين، السيوطي، ٥٢.

(١) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ٩٥/٢.

(٢) هو عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، نحوياً لغوياً أديباً، ولد عام ٤٨١هـ، وتوفي رحمه الله سنة ثنتين - وقيل إحدى، وقيل ست - وأربعين وخمسمائة، من كتبه: "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" بغية الوعاة، السيوطي، ٧٣/٢، الأعلام، الزركلي، ٢٨٢/٣.

(٣) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ٥٥٨/١.

(٤) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٧٧٠/٨.

(٥) هو محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الأندلسي المالكي الحافظ القاضي، ولد عام ٤٦٨هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٥٤٣هـ، صنف كتباً في الحديث والتفسير والاصول والفقه، وغير ذلك منها: "أحكام القرآن" و"عارضه الأحوذ في شرح الترمذي". انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ٦١/٤، طبقات المفسرين، السيوطي، ٩٠.

(٦) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ٥٩٩/٤.

(٧) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، وينسب إلى مدينة الري، شافعي مفسر متكلم، ولد عام ٥٤٤هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٦٠٦هـ، ومن كتبه: "التفسير الكبير" و "المحصل في أصول الفقه". انظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ١٠٠، التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، ٦٨-٧٠.

(٨) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ١١٣/١.

(٩) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الحزرجي المالكي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، توفي رحمه الله سنة ٦٧١هـ، ومن كتبه: "الجامع لأحكام القرآن" المعروف بتفسير القرطبي، و "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة". انظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ٧٩، الأعلام، الزركلي، ٣٢٢/٥.

(١٠) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ٥٣٠/٣.

(١١) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٦٥٠/١.

(١٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي الشافعي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، ولد =

- "الدَّر المنثور"^(١) للسيوطي (ت ٩١١هـ)^(٢)
- "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"^(٣) للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)^(٤)
- "التحرير والتنوير"^(٥) للطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)
- ٢- من كتب العقيدة الإسلامية:
- كتاب "الملل والنحل"^(٦) لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)^(٧)
- "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة"^(٨) للقرطبي (ت ٦٧١هـ)
- "شرح المقاصد"^(٩) لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)
- "إظهار الحق"^(١٠) لرحمة الله الهندي (ت ١٣٠٦هـ)^(١١)

= عام ٧٠١هـ، وتوفي رحمه الله بدمشق سنة ٧٧٤هـ، تناقل الناس تصانيفه في حياته، ومنها: "البداية والنهاية" و "تفسير القرآن الكريم".
انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ٤٤٥/١، الأعلام، الزركلي، ٣٢٠/١.

(١) معارج التفكير، الميداني، ٦٢٨/٣.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان، المعروف بجلال الدين السيوطي الأصل، شافعي إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد عام ٨٤٩هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٩١١هـ، وله نحو ٦٠٠ مصنف، منها: "الإتقان في علوم القرآن"، "المزهر في علوم اللغة".
انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٦٥/٤، الأعلام، الزركلي، ٣٠١/٣.

(٣) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٢٩٨/٥.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد عام ١١٧٣هـ بهجرة شوكان (من بلاد حولان، باليمن)، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٥٠هـ، له مائة وأربعة عشر مؤلفاً، منها: "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار"، و "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ٢١٤/٢-٢١٥، الأعلام، الزركلي، ٢٩٨/٦.

(٥) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ١٠٢/١.

(٦) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٥٤٧/٧.

(٧) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم: "الحزمية"، ولد بقرطبة عام ٣٨٤هـ، فقيه، حافظ، متكلم، أديب، وزير، توفي رحمه الله سنة ٤٥٦هـ، من أشهر مصنفاته: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و "جمهرة الأنساب". انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، (بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت)، ١٦٦/٣٥، الأعلام، الزركلي، ٢٥٤/٤.

(٨) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٢٠٣/٥.

(٩) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٢٩٤/١.

(١٠) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٦٢٢/٤.

(١١) هو رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي، نزيل الحرمين: باحث، عالم بالدين والمناظرة، جاور بمكة وتوفي رحمه الله بها =

"العقيدة الإسلامية وأسسها"^(١) لعبد الرحمن حنكة الميداني
"ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة"^(٢) لعبد الرحمن حنكة الميداني

٣- من كتب الحديث وشروحه:

- "الموطأ"^(٣) للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)^(٤)
- "مصنّف ابن أبي شيبة" المتوفّى (٢٣٥هـ)^(٥)
- "مسند الإمام أحمد بن حنبل" المتوفّى (٢٤١هـ)^(٦)
- "سنن الدارمي" المتوفّى (٢٥٥هـ)^(٧)
- "الجامع الصّحيح"^(٨) للإمام محمّد بن إسماعيل البخاريّ (ت ٢٥٦هـ)^(٩)

= سنة ١٣٠٦هـ، من كتبه: "التّنبّهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والمليقات"، و"إظهار الحق". انظر: الأعلام، الزّركلي، ١٨/٣

(١) معارج التّفكّر، الميداني، انظر مثلاً: ٦٢٢/٤.

(٢) المرجع السّابق، انظر مثلاً: ٢٩٨/١.

(٣) المرجع السّابق، انظر مثلاً: ١٥/١.

(٤) هو مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث، الحميريّ الأصبحي، المدني، حليف بني تيم من قريش، ولد على الأصحّ في عام ثلاث وتسعين، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمّة الاربعة عند أهل السنّة، وإليه تنسب المالكيّة، وتوفّي رحمه الله في المدينة سنة ١٧٩هـ، ومن كتبه: "الموطأ" و"تفسير غريب القرآن". انظر: سير أعلام التّبايع، الدّهبي، ٤٣/١٥، الأعلام، الزّركلي، ٢٥٧/٥.

(٥) معارج التّفكّر، الميداني، انظر مثلاً: ٣١٤/١. وابن أبي شيبة هو عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر: حافظ للحديث، ولد عام ١٥٩هـ، وتوفّي سنة ٢٣٥هـ، من كتبه: "المسند" و"المصنّف في الأحاديث والآثار". انظر: تذكرة الحفاظ، الدّهبي، ١٦٧-١١٧/٤، الزّركلي، ١١٨.

(٦) معارج التّفكّر، الميداني، انظر مثلاً: ٢٧٤/١. وأحمد ابن حنبل هو أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشّيباني، أبو عبد الله المروزي ثمّ البغدادي، شيخ الإسلام، وأحد الأئمّة الأعلام، مناقبه عديدة، ولد عام ١٦٤هـ، وتوفّي رحمه الله سنة ٢٤١هـ، ومن تصانيفه: "المسند" و"فضائل الصّحابة" و"العلل ومعرفة الرّجال". انظر: تهذيب الكمال، يوسف بن الزّكي أبو الحجّاج المرّي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (بيروت، مؤسسة الرّسالة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ٤٣٧/١-٤٧٠، سير أعلام التّبايع، الدّهبي، ٢٣/٢٦.

(٧) معارج التّفكّر، الميداني، انظر مثلاً: ٢٨٥/١. والدارمي هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الله، الحافظ، الإمام، أحد الأعلام، أبو محمّد التّميمي، ثمّ الدارمي، السّمّرقندي، ودارم هو ابن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، ولد عام ١٨١هـ، وتوفّي رحمه الله سنة ٢٥٥هـ، ومن تصانيفه: "سنن الدارمي". انظر: تهذيب الكمال، المرّي، ٢١٠/١٥، ٢١٦، سير أعلام التّبايع، الدّهبي، ٢١٦/٢٣.

(٨) معارج التّفكّر، الميداني، انظر مثلاً: ٦٤٩/١.

(٩) هو محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، المعروف بأبو عبد الله البخاري الحافظ صاحب الصّحيح، إمام هذا الشّأن، والمقتدى به فيه، والمعوّل على كتابه بين أهل الإسلام، ولد عام ١٩٤هـ، وتوفّي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ، من كتبه: "الصّحيح" و"الأدب" =

- "صحيح مسلم" ^(١) للإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) ^(٢)
- "سنن أبي داود" المتوفى (٢٧٥هـ) ^(٣)، و"سنن ابن ماجه" المتوفى (٢٧٥هـ) ^(٤)، و"سنن الترمذي" المتوفى (٢٧٩هـ) ^(٥)، و"سنن النسائي" المتوفى (٣٠٣هـ) ^(٦)
- "مسند أبي يعلى" المتوفى (٣٠٧هـ) ^(٧)
- "صحيح ابن حبان" المتوفى (٣٥٤هـ) ^(٨)

= المفرد". انظر: تهذيب الكمال، المزي، ٢٤/٤٣٠، ٤٦٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣١/٧٦.

(١) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ٢٧٣/١.

(٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين الإمام الحافظ، أحد أعلام المحدثين، ولد عام ٢٠٤هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٢٦١هـ، ومن تصانيفه: "الصحيح" و"الأسامي والكنى". انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٤/٦٤-٨٤، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ٣/٢٧٠.

(٣) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ١/٢٨٢. وأبو داود هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرة بن عمران الأزدي، أبو داود السجستاني، شيخ السنة، مقدم الحفاظ، الإمام في زمانه، ولد عام ٢٠٢هـ، وتوفي سنة ٢٧٥هـ، ومن تصانيفه: "السنن" و"المراسيل". انظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، ١/١٥٨، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥/٢٠٢، ٢١٩.

(٤) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ١/٢٧٥.

وابن ماجه هو محمد بن يزيد الربيعي مولاهم، الحافظ، الكبير، الحجة، المفسر، أبو عبد الله بن ماجه القزويني، وحافظ قزوين في عصره، ولد عام ٢٠٩هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٢٧٣هـ، ومن مصنفاته: "السنن" و"التاريخ" و"التفسير". انظر: تهذيب الكمال، المزي، ٢٧/٤٠-٤١، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥/٢٧٦.

(٥) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ١/١٢٧.

والترمذي هو محمد بن عيسى بن سورة، الحافظ، العلم، الإمام، البار، ابن عيسى السلمي، الترمذي الضري، ولد عام ٢١٠هـ، وتوفي رحمه الله بترمذ سنة ٢٧٩هـ، من تصانيفه: "جامع الترمذي" وكتاب "العلل". انظر: تهذيب الكمال، المزي، ٢٦/٢٥٠-٢٥٢، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥/٢٧١.

(٦) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ١/٢٨٢. والنسائي هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والأعلام المشهورين، ولد بنسأ عام ٢١٥هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٣٠٣هـ، ومن كتبه: "السنن" و"كتاب الضعفاء". انظر: تهذيب الكمال، المزي، ١/٣٢٨-٣٢٩، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٧/١٣٢.

(٧) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ٣/٥٩٣. وأبو يعلى هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي، الموصل، المحدث الحافظ، ولد عام عشر ومائتين، فهو أكبر من النسائي بخمس سنين، وأعلى إسناداً منه، وتوفي رحمه الله سنة ٣٠٧هـ، ومن مصنفاته: "المسند" و"المعجم" في الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٧/١٩٠، الأعلام، الزركلي، ١/١٧١.

(٨) معارج التفكر، الميداني، انظر مثلاً: ٤/٤٠٠. وابن حبان هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي، أبو حاتم البستي الشافعي، كان حافظاً رأساً في معرفة الحديث، عارفاً بالطب والتجويد والكلام والفقه، توفي رحمه الله سنة ٣٥٤هـ، ومن تصانيفه: "المسند الصحيح" في الحديث، و"روضة العقلاء" في الأدب. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ١/٣٤-٣٥، لسان =

- "المستدرك على الصحيحين" ^(١) للحاكم (ت ٤٠٥هـ) ^(٢)

- "شعب الإيمان" ^(٣) للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) ^(٤)

- "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ^(٥) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ^(٦)

٤- من كتب السيرة والتاريخ:

"السيرة النبوية" ^(٧) لابن هشام (ت ٧٦١هـ) ^(٨)، و"قصص الأنبياء" ^(٩) لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، و"أطلس تاريخ الإسلام" ^(١٠)

= الميزان، ابن حجر العسقلاني، ٨٦/٥-٨٧.

(١) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٥٥٦/١.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، أبو عبد الله الحافظ النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، ولد في عام ٣٢١هـ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، وتوفي رحمه الله سنة ٤٠٥هـ، من تصانيفه: "المستدرك على الصحيحين"، و"معركة أصول الحديث وعلومه وكتبه". انظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شعبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ)، ١٩٤/١، الأعلام، الزركلي، ٢٢٧/٦.

(٣) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٢٧٩/١.

(٤) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الحافظ الفقيه أبو بكر الخراساني البيهقي، وبيهق: عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها، تفقه على ناصر العمري، وأخذ علم الحديث عن أبي عبد الله الحاكم، ولد عام ٣٨٤هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٤٥٨هـ، ومن تصانيفه: "السنن الكبرى" و"معركة السنن والآثار". انظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شعبة، ٢٢٠/١-٢٢٢، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٤٥/٣٥.

(٥) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٨٩/١.

(٦) هو أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، القاضي شهاب الدين أبو الفضل، المصري، الشافعي، الحافظ المؤرخ الكبير، كان بارعاً في الفقه والعربية والقراءات، ولد عام ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ، ومن تصانيفه: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" و"الإصابة في أسماء الصحابة". انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٣٦/٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ٧٤/١.

(٧) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٩٧/١.

(٨) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، أبو محمد جمال الدين الحنبلي النحوي، ولد عام ٧٠٨هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٧٦١هـ، ومن تصانيفه: "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" و"عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب". انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ٦٨/٢-٦٩، الأعلام، الزركلي، ١٤٧/٤.

(٩) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٨٥/٨.

(١٠) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٣٩٩/٤.

هو موسوعة تاريخية جغرافية مصرية قامت بإجازها لجنة من العلماء المختصين بإشراف الدكتور حسين مؤنس، تم إنجازها عام ١٩٨٦م، في دار الزهراء للإعلام العربي، ويتألف الكتاب من ٥٣٠ صفحة، أكثرها خرائط وفيها الكثير من النصوص كذلك.

٥- من كتب اللُّغة:

"إعراب القرآن" ^(١) للزَّجَّاج (ت ٣١١هـ) ^(٢)، و"الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة" ^(٣) للجوهري (ت ٣٩٣هـ) ^(٤)، لسان العرب ^(٥) لابن منظور (ت ٧١١هـ) ^(٦)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ^(٧) لابن هشام (ت ٧٦١هـ)، "البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها" ^(٨) لعبد الرَّحمن حَبْنَكَة الميْدانيّ.

٥- من كتب القراءات:

ذكر الميْدانيّ كتابين من كتب القراءات التي نقل منها، وذلك في كتابه "قواعد التَّدْبُر الأَمثل" ^(٩)، وهي: كتاب "البدور الزَّاهرة في القراءات العشر المتواترة" للمقرئ الشَّيخ "عبد الفَتَّاح القاضي" ^(١٠). وكتاب "المهذَّب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيِّبة النُّشر"، تأليف "محمَّد سالم محيسن" ^(١١).

(١) معارج التَّفكُّر، الميْداني، انظر مثلاً: ٥٢/٤.

(٢) هو إبراهيم بن السَّري بن سهل، أبو إسحاق الزَّجَّاج عالم بالنَّحو واللُّغة، كان في فتوته يخرط الزَّجاج، ولد عام ٢٤١هـ، وتوفيَّ رحمه الله في بغداد سنة ٣١١هـ، ومن كتبه: "معاني القرآن" و"إعراب القرآن". انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٤١١/١-٤١٢، الأعلام، ٤٠/١.

(٣) معارج التَّفكُّر، الميْداني، انظر مثلاً: ١٠١/٤.

(٤) هو إسماعيل بن حمَّاد الجوهري أبو نصر الفارابي، كان إماماً في اللُّغة والأدب، وأصله من فاراب من بلاد الترك، توفيَّ رحمه الله سنة ٣٩٣هـ، ومن أشهر كتبه "الصَّحاح". انظر: انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٤٤٦/١-٤٤٧، الأعلام، الزَّركلي، ٣١٣/١.

(٥) معارج التَّفكُّر، الميْداني، انظر مثلاً: ٢٠١/٦.

(٦) هو محمَّد بن مكرَّم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، وكان عارفاً بالنَّحو واللُّغة والتَّاريخ والكتابة، اختصر كثيراً من كتب الأدب المطوَّلة كالأغاني والعقد والذَّخيرة، ولد عام ٦٣٠هـ، وتوفيَّ رحمه الله سنة ٧١١هـ، من أشهر كتبه: "لسان العرب" و"مختصر مفردات ابن البيطار". انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٢٤٨/١، الأعلام، الزَّركلي، ١٠٨/٧.

(٧) معارج التَّفكُّر، الميْداني، انظر مثلاً: ٦٢٢/٦.

(٨) المرجع السَّابق، انظر مثلاً: ٥٢٤/١.

(٩) قواعد التَّدْبُر الأَمثل، الميْداني، ٧٦٤.

(١٠) هو عبد الفتَّاح بن عبد الغني بن محمَّد القاضي، المصري، ولد عام ١٩٠٧م، كان عالماً في القراءات وعلوم القرآن، والفقه والأصول، والتَّفسير والحديث، واللُّغة العربيَّة وآدابها، درَّس سنوات طويلة في الأزهر، وفي الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة، وتوفيَّ رحمه الله سنة ١٩٨٢م، ومن مؤلَّفاته: "الوافي في شرح الشَّاطبيَّة" في القراءات السبع، و"القراءات في نظر المستشرقين والملحدّين"، "البدور الزَّاهرة في القراءات العشر المتواترة". انظر: https://islamsyria.com/site/show_cvs/478

(١١) هو محمَّد بن محمَّد بن محمَّد سالم محيسن، المصري، ولد عام ١٩٢٩م، عيِّن مدرساً بقسم تخصَّص القراءات بالأزهر الشَّريف لتدريس القراءات وعلوم القرآن، تلقَّى عن الشَّيخ عبد الفتَّاح القاضي علم القراءات، وتوفيَّ رحمه الله سنة ٢٠٠١م، ومن مؤلَّفاته: "معجم حَقَّاق القرآن عبر التَّاريخ" و"القراءات وأثرها في علوم العربيَّة". انظر: <https://shamela.ws/index.php/author/2456>

٦- الكتاب المقدس.^(١)

- ويُشار إلى أنَّ الميْدانيَّ قد أحال القارئ في تفسيره إلى عدد من مؤلفاته، منها: كتاب "قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله وَجَّكَ" ^(٢)، "فقه الدَّعوة" ^(٣)، "الأمثال القرآنيَّة وصور من أدبه الرِّفيع" ^(٤)، "البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها" ^(٥)، "ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة" ^(٦)، "العقيدة الإسلاميَّة وأسسها" ^(٧).

المطلب الثالث: نُبذة عن منهج المؤلِّف في الكتاب:

بنى الميْدانيُّ تفسيره التدبُّريَّ على أسسٍ ثابتةٍ تمثِّل أصول التفسير الأقوم للقرآن الكريم، وهي أربعون قاعدةً لم يجد مَنْ راعاها مراعاةً تامَّةً في كلِّ ما تدبَّر من كلام الله، كما أنَّ بعض هذه القواعد لم يحظَ بعناية أحد من المفسِّرين، فأثر هو التزامها والاعتناء بتطبيقها في جانبي الأثر والرأي من تفسيره ^(٨)، وفيما يلي نُبذة تكشف عن كيفية تناوله هذين الجانبين في التفسير.

١- الجانب الأثريُّ وما يتعلَّق به:

تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الميْدانيَّ طلب من متدبِّر كلام الله وَجَّكَ أن ينظر في التفسير المأثور ^(٩) لمعنى النصِّ القرآنيِّ، فهو حريٌّ أن يكون في كثير من الأحيان فهماً صحيحاً، ^(١٠) وكذلك أن ينظر فيما ورد من آراء المفسِّرين المعتمدين، وأقوال أهل التَّأويل المعبرين ومفاهيمهم لما له من أهميَّة في تبصير المتدبِّر بجوانب قد

(١) معارج التفكُّر، الميْداني، انظر مثلاً: ٥٥٢/٤، ٥٦٨/٤، ٥٦٩/٤، ٥٩٠/٤.

(٢) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٣٦٧/٦، ٣٦٣.

(٣) المرجع السابق، انظر مثلاً: ١٣٠/٦.

(٤) المرجع السابق، انظر مثلاً: ١٦٧/٦.

(٥) المرجع السابق، انظر مثلاً: ١٧٢/٥.

(٦) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٤٥٧/١.

(٧) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٤٤٨/١-٤٤٩.

(٨) انظر: قواعد التدبُّر الأمثل، الميْداني، ١٢.

(٩) التفسير المأثور: "يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم." التفسير والمفسِّرون، محمَّد حسين الدَّهبي، (الكويت، دار النوادر، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ١٥٢/١.

(١٠) انظر: قواعد التدبُّر الأمثل، الميْداني، ١٣٣.

تغيب عنه ولا تخطر على باله.^(١)

ولم يعد تفسير القرآن بالقرآن^(٢) من المأثور، إذ يقول: "ويشمل التفسير المأثور ما فهمه الصحابة والتابعون.

أمّا البيان النبويّ لمعنى النصّ القرآنيّ، فإذا صحّ فهو الذي يجب المصير إليه."^(٣)

مع العلم أنّه أولاه عنايةً بالغةً ظهرت في عدّة نواحٍ، منها:

١ - بيان معنى كلمة أو آية قرآنيّة^(٤).

٢ - جمع الآيات المتشابهة في موضوعها^(٥)، وفي ذلك خدمةٌ للباحثين في العلم التفسيري المعاصر الذي

يسمّى بـ "التفسير الموضوعي"^(٦)

٣ - جمع موارد اللفظة القرآنيّة، والتعرّف على الاستعمال القرآنيّ لها^(٧).

٤ - تطبيق قاعدة التكامل على نصوص قرآنيّة كثيرة، مثبتاً ما سمّاه "الإعجاز التكاملي"^(٨).

٥ - الجمع بين النصوص الموهمة الاختلاف^(٩)، عملاً بالمقولة الأولى من القاعدة الثالثة عشرة عنده "حول أنّ

القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض"^(١٠).

وظهر إبداع الميدانيّ في تطبيقه القاعدة الأربعين من قواعد التدبّر، وهي "حول القراءات العشر"^(١١)، فبعد

أن اقتصر على القراءات القرآنيّة المتواترة في الآية، راح يبحث عن أغراض اختلاف القراءات الواردة فيها،

(١) انظر: قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ١٣٣.

(٢) هو أعلى درجات التفسير بالمأثور وأحسنها، لأنّ منزل القرآن هو الأعلّم بمعانيه مطلقاً، "فما أُجمل في مكان فإنّه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختُصر من مكان فقد بُسّط في موضع آخر." مقدّمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عدنان زرزور، ٢، (دمشق، منشورات جامعة دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ٩٣.

(٣) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ١٣٣.

(٤) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٢٤٣/١، ٥٤/٤، ١٢١/٤، ١٢٥/٤.

(٥) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٩٢-٩٧/٤، ١١٥-١١٨/٤، ٤٨٧-٤٨٨/٤.

(٦) له عدّة تعريفات كما سأشير فيما بعد، منها: "الكشف الكلّي عن مراد الله ﷻ في قضية قرآنيّة بحسب الطّاقة البشريّة." منهج

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، سامر عبد الرحمن رشواني، (حلب، دار الملتقى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ٤٥.

(٧) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ١٨٩-١٩٠، ١٥/٥، ٥٠٢/٦.

(٨) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٤٦٣-٤٦٤، ٥٢٣/٤، ٦٥٣-٦٥٠/٤، وسيأتي تفصيل هذه القاعدة لاحقاً.

(٩) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٢٨٧/٣-٣٠٠.

(١٠) انظر، قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٢٢٥-٢٢٩.

(١١) المرجع السابق، ٧٠٩.

وما ينطوي تحتها من وجوه إعجاز القرآن الكريم.^(١)

وبالعودة إلى التفسير المأثور عند الميداني، نجده:

- استعان بأقوال النبي ﷺ في بيان أو توضيح المعنى المراد من الكلمة أو الآية القرآنية^(٢)، وكذلك

استعان بأقوال الصحابة والتابعين ولكن على نحو أضيق.^(٣)

- اعتمد على أقوال الصحابة والتابعين في ذكر أسباب النزول^(٤)، وفضائل السور^(٥).

ويتلخص منهجه في ذكر تلك الأحاديث بالنقاط الآتية:

- تقديم ما صحَّ من التفسير عن النبي ﷺ على غيره.^(٦)

- ذكر الأحاديث دون إسناد^(٧) - غالباً - وهذا من باب الاختصار والله أعلم.

- خرَّج كثيراً من الأحاديث^(٨).

- لم يقتصر على ذكر الصحيح من أسباب النزول^(٩).

- شرح الألفاظ الغريبة الواردة في الأثر، في أسفل الصفحة^(١٠).

أمَّا بالنسبة للإسرائيليات^(١١) فقد ذكر شيئاً منها في تفسيره، وردَّ ما كان منها مخالفاً لنصوص القرآن

(١) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: القراءتان المتوترتان في: ﴿مَالِكٌ﴾، ٢٩٥/١-٢٩٦، القراءات المتواترة في: ﴿أَنْ نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾، ٣٨٦/٦.

(٢) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٨٩/١، ١٦٠/١، ٥٦٢/٧.

(٣) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٢٩٢/١، ٣١/٢، ٦١٣/٥.

(٤) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٦٤٩-٦٥١، ٢٠٩/٢، ٧١٩/٩.

(٥) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٣٩١/١.

(٦) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٨٩/١١.

(٧) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٣٣/١.

(٨) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٢٥٥/١، ٢٥٦/١، ٢٧٤-٢٧٥.

(٩) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٦٥١/١.

(١٠) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٦٥٠/١.

(١١) أي: "ما يعمّ اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية." وتنقسم الأخبار

الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة، "القسم الأول: ما يُعلم صحته بأن نُقِلَ عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً...، وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثاني: ما يُعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصحّ قبوله ولا روايته. القسم

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا القسم نتوقّف فيه، فلا نؤمن به ولا نُكذِّبه، ونحوز

حكايته، لما تقدّم من قوله ﷺ: "لا تُصدّقوا أهل الكتاب ولا تُكذّبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... الآية." التفسير والمفسرون، =

والسُّنَّة. ^(١) لكنَّه لم يبيِّن - أحياناً - موقفه منها أو يعلِّق عليها. ^(٢)

٢- جانب الرأْي:

سيقتصر الكلام هنا على أهمِّ الجوانب المنهجية التي برز اهتمام الميداني بها في تفسيره ^(٣)، وهي الآتي:

أولاً: تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول:

أشرت سابقاً إلى أنَّ الميداني اختار في تفسيره "معارج التَّفَكُّر ودقائق التَّدبُّر" تدبُّر سور القرآن الكريم على ترتيب النزول لا على ترتيب المصحف العثماني ^(٤)، ويبيِّن ذلك في مقدِّمة تفسيره، إذ يقول: "ترجَّح لديَّ فيه أن أتابع تدبُّر السُّور على ما ذكر العلماء بعلوم القرآن الكريم ^(٥)، من ترتيب نزولها، لا على وفق ترتيبها الاجتهادي في المصاحف التزاماً بترتيب المصحف الذي ورَّعت نسخٌ منه على معظم أمصار المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه". ^(٦) ويرى أنَّ في هذا التَّدبُّر أموراً جليلة تتعلَّق بحركة البناء المعرفيِّ لأُمور الدِّين، وحركة المعالجات التَّربويَّة الرَّبَّانيَّة الشَّاملة للرَّسول صلَّى الله عليه وآله، وللذين آمنوا به، وللذين لم يؤمنوا به. ^(٧)

وقد فصَّل أكثر في أهميَّة هذه الطَّريقة في القاعدة التَّاسعة "حول تتبُّع مراحل التَّنزيل"، فإنَّ مراعاة مراحل التَّنزيل وأزمانه، وملاحظتها لدى التَّدبُّر، تحمي من أخطاءٍ تفسيريةٍ قد يقع بها بعض المفسِّرين؛ كوضع قصصٍ مدنيَّةٍ شرحاً أو سبباً لنصٍّ مكِّيٍّ، كما أنَّ مراعاة مراحل التَّنزيل تبصِّر المتدبِّر بمفاهيم جليلة تتصل بحكمة التَّدبُّر، وغرض التَّكامل القرآنيِّ في النُّصوص القرآنيَّة. ^(٨)

= ١٦٥/١، ١٧٩.

(١) معارج التَّفَكُّر، الميداني، انظر مثلاً: ٥٢٦-٥٢٧، ٤/٦٢٦، ٩/٣٧٨، ١٢/٥٤.

(٢) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٥٧٩/٣، ٩/٩١، ١٠/٣٩٦.

(٣) للاستزادة والتَّوسُّع يُرجع إلى رسالة الباحث نادي حسن علي صبرا "منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير" ١٢٧-٢٢٤.

(٤) انظر الصَّفحة (٤٢)، ومن المفسِّرين المعاصرين الذين سبقوا الميداني في هذه الطَّريقة: محمَّد عزَّة الدَّروزة في تفسيره "التفسير الحديث"، وعبد القادر ملا حويش في تفسيره "بيان المعاني على حسب ترتيب التَّنزيل".

(٥) ذكر منهم بدر الدِّين الزَّركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" قواعد التَّدبُّر الأُمثل، الميداني، ١٥٣.

(٦) معارج التَّفَكُّر، الميداني، ٦/١.

(٧) انظر: المرجع السابق، ٦/١.

(٨) انظر: قواعد التَّدبُّر الأُمثل، الميداني، ١٥٢-١٥٣.

ومن المعاصرين من انتقد تفسير القرآن الكريم على هذه الطريقة، وناقش متبعيها، و كأستاذنا الدكتور نور الدين عتر^(١)، إذ يقول: "وقد أخطأ من خالف هذا الترتيب - أي ترتيب المصحف - في تفسيره للقرآن أو لجزء منه، وذلك لما يلي: ١- مخالفة الإجماع على ترتيب سور القرآن كما هي في المصحف. ٢- الإخلال بمقاصد الوحي الإلهي من ترتيب القرآن، وما فيه من مناسبات حكيمة تتصل بمعاني القرآن وتدخل في إعجازه، فمهما خطر ببال أحدهم فحكمة الوحي أعلى وأسمى، وقد أحكم الحكيم العليم ترتيب كتابه آيات وسوراً، كما أحكم ترتيب أطرافه." ^(٢) وغيره ^(٣).

ثانياً: آراؤه في بعض المسائل العقديّة:

١- اهتمّ ببيان سنن الله ﷻ في عباده^(٤)، وأفرد ملحقاتاً خاصاً حول ما جاء في القرآن بشأن سنن الله في الأمم حتى استحقاقها الإهلاك الشامل.^(٥)

٢- قرّر التزام طريقة السلف في آيات الصفات (النصوص القرآنيّة الموهمة للتشبيه)^(٦) كما صرّح في كتابه "العقيدة الإسلاميّة وأسسها" إذ يقول: "ولم ألتزم مذهباً معيناً من مذاهب أهل الاعتقاد، إلّا مذهب أهل السنّة والجماعة بشكل عام، وطريقة السلف الصّالح هي الطّريقة التي رأيتها أقرب لسلامة الفطرة، وبعدها عن التّعقيدات الفلسفيّة المتشعبة، التي تكثر متاهاتها وكبواتها." ^(٧)

(١) هو نور الدين محمّد حسن عتر (نسبة إلى العترة النبويّة) العلامة المحدّث المفسّر المحقّق حفظه الله، ولد عام ١٩٣٧م، درّس التفسير وعلوم القرآن والحديث والمصطلح وعلم العلل في كليّة الشريعة بدمشق وحلب وغيرها، له مؤلفات تزيد على الأربعين، ومقالات كثيرة في مجالات محكمة متخصصة وعامة، ومن مؤلفاته: "منهج النّقد في علوم الحديث"، و"علوم القرآن الكريم". انظر: الدكتور نور الدين عتر وجهوده المبذولة في خدمة السنّة المطهّرة، بحث مقدّم لمؤتمر جامعة الشارقة، من قبل الدكتور: نزار محمود قاسم الشّيش، ٦-٧.

(٢) علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ٤٥.

(٣) ناقش الباحث (طه محمّد فارس) طريقة الميداني في تفسيره على ترتيب التّزول والفوائد المترتبة عليها، في رسالته لنيل درجة الدكتوراه "تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب التّزول دراسة وتقويم" المقدّمة في جامعة أمّ رمان في السودان، مع العلم أنّه التقى الميداني في مدينة دبي، ودار نقاش بينهما حول ذلك، وعلّق الباحث (رشيد بوعافية) على ذلك النقاش، ودافع عن طريقة الميداني في تفسيره. انظر: قواعد التّدبر القرآني بين التّنظير والتّطبيق، رشيد بوعافية، ١٣٧-١٤٤.

(٤) معارج التّفكّر، انظر مثلاً: ٩٩/١، ٣٦٨/٤، ٤٧/٦.

(٥) المرجع السّابق، انظر مثلاً: ٤٣٠/٥.

(٦) وذلك بإثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه إلّا هو، وتنزيهه عن صفات الخلق، فالله ﷻ ليس كمثله شيءٌ [الشورى/١١]. انظر: التّحفي في مذاهب السلف، الشوكاني، محمّد بن علي الشوكاني، تحقيق: طارق السّعود، ط ٢، (بيروت، دار الهجرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ٧٥.

(٧) العقيدة الإسلاميّة وأسسها، الميداني، ط ٥، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ٦.

فمثلاً: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف/٥٤]، اتَّبَعَ الميداني طريقة السَّلَف في فهم هذه الآية، فقد وصف الله ﷻ نفسه بالاستواء، واستواء الله ﷻ ليس كاستواء البشر من اعتدالٍ أو استقامةٍ أو غير ذلك، فهو استواءٌ يليق به سبحانه، ونشئ له ضمن حدود ما أثبت لنفسه جلَّ جلاله وعظُم سلطانه.^(١) لكنَّه لم يلتزم بطريقة السَّلَف بشكل دائم في تفسيره، ونجده قد أوَّل نصوصاً متشابهةً لمعانٍ تحملها بوجه من وجوه المجاز المعروفة في اللسان العربي.^(٢)

ومثاله: في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه/٣٩]، يفسِّر الميداني "العين" بالعناية والحماية والرَّعاية، إذ يقول: "أطلق لفظ العين، وأريد به بالغ العناية؛ لأنَّ العين بها تكون الرؤية والمراقبة، فيكون موسى ﷺ على المواضع التي تشملها وتحيط بها عناية الله الدائمة له، كدوام رؤية الله لكلِّ ما يمكن عقلاً رؤيته في الوجود كلَّه".^(٣) فلم يتَّبع طريقة السَّلَف في فهم الآية.

٣- توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية:

أشرت عند الحديث عن مؤلفات الميدانيِّ إلى أنَّ له كتاباً يبحث في هذا العنوان، وهو (توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب النَّاس بالنسبة إليهما)، وبين أثناء تدبُّره العلاقة بينهما^(٤)، فاللَّزم العقليُّ المباشر لتوحيد الربوبية لله ﷻ، هو توحيد الإلهية له جلَّ جلاله، فمن كان هو الربَّ الذي لا ربَّ في الوجود سواه، لا بدَّ أن يكون هو الإله الذي لا إله يستحقُّ أن يُعبد إلاَّ هو.^(٥)

كما أفرد في نهاية تدبُّره لـ "سورة فاطر" ملحقاً بعنوان "توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية في الدلالات القرآنية" توسَّع فيه حول هذا الموضوع ففرَّق بين الإلهية والألوهية، وتكلَّم عن عقائد العرب في جاهليَّتهم، وأنَّ الربوبية هي الأساس العقليُّ الذي تُبنى عليه الإلهية، ومنهج القرآن الكريم في إثبات الربوبية لله ﷻ وحده،

(١) انظر: معارج التَّفكُّر، الميداني، ٢٨٧/٤.

(٢) وهذا ما أكَّده الباحث: مازن عطية إبراهيم مسالمة، انظر: الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني وآراؤه في العقيدة الإسلامية عرض ونقد، رسالة قدِّمت لنيل درجة الماجستير في أصول الدين (العقيدة)، بإشراف الدكتور: حافظ محمد حيدر الجعبري، كلية الدراسات العليا في جامعة الخليل، للعام الدراسي ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م، ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) انظر: معارج التَّفكُّر، الميداني، ٩٣/٨.

(٤) المرجع السابق، انظر مثلاً: ١٧٠/١، ١٧١/٤، ١٩٤-١٩٥، ٣٩/٧، ٤٠-٤١، ١٣٠-١٣١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٩٩/٧.

ومنهج القرآن الكريم للإقناع بتوحيد الإلهية لله ﷻ، وغير ذلك مما له علاقة بالموضوع.^(١)

ثالثاً: اللغة:

- ركّز الميداني اهتمامه الواسع على اللغة، وأولاهها عنايةً خاصّةً في تفسيره، والدليل على ذلك اهتمامه بمفردات القرآن ووضعه قواعد خاصّة تتعلق بالكلمة القرآنيّة^(٢).

وقد دعا المتدبّر إلى الاهتمام بالإعراب والصّرف في القاعدة السّادسة والعشرين: "حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربيّة ومفاهيم الصّيغ الصّرفيّة، ولزوم البحث عن سرّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظّاهر."^(٣) فاستخدم هذين العلمين - النّحو والصّرف - لخدمة النّصّ القرآنيّ دون توسّع أو خوض في المسائل الخلافية غالباً.^(٤)

- أمّا البلاغة فكان لها الحظّ الأوفر من اهتمامه، كيف لا وهو الضّليع في علومها، فقد استقى من معينها منذ صغره، وترنّى على حبّها والغوص في مكنوناتها، فانهى به المطاف إلى تأليف كتاب "البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها"، يقول الميداني: "ولما كانت لي اهتماماتٌ بهذا العلم منذ نشأتي متلقياً لدروس البلاغة في حلقات مدرسة والدي تغمّده الله برحمته، ثم أستاذاً فيها لمادة "علم البلاغة" مقرّراً لكتاب "تلخيص المفتاح" للعلامة الشّيخ جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن القزوينيّ الخطيب^(٥)، الذي لخص فيه وهذب كتاب "المفتاح" في علوم البلاغة لأبي يعقوب يوسف السّكاكي^(٦)، ومتتبّعاً شراح كتاب "التلخيص" وناظراً في كثير من كتب البلاغة والحواشي والتّقريرات."^(٧)

(١) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ٧/ ٢٩١ - ٣٥٣.

(٢) ستم دراسة قسم منها بالتّفصيل في الفصل الأول من هذه الرّسالة.

(٣) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥١.

(٤) معارج التّفكّر، الميداني، انظر مثلاً: ٤/ ٦٢، ٦/ ٦١، ٧/ ١٩٨ - ١٩٩.

(٥) هو محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر بن أحمد بن محمّد بن عبد الكريم العجلي القزوينيّ الشّافعي، المعروف بخطيب دمشق، قاضي القضاة، العلامة ذو الفنون، ولد بالموصل عام ٦٦٦هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٧٣٩هـ، من أشهر كتبه: "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح في علوم البلاغة". انظر: البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، الشّوكاني، ٢/ ١٨٣ - ١٨٤، الأعلام، الزّركلي، ٦/ ١٩٢.

(٦) هو يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكي الخوارزمي الحنفي سراج الدّين أبو يعقوب، كان علامة بارعاً في فنون شتى خصوصاً المعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر، مولده بخوارزم عام ٥٥٥هـ، ووفاته رحمه الله فيها سنة ٦٢٦هـ، من كتبه: "مفتاح العلوم"، "رسالة في علم المناظرة" (مخطوط). انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٢/ ٣٦٤، الأعلام، الزّركلي، ٨/ ٢٢٢.

(٧) البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرّحمن حبنكة الميداني، ط ٣، (دمشق، دار القلم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ٢/ ٥٦٩.

وسنؤجل الكلام عن جوانب اهتمامه وعنايته بعلوم البلاغة في تفسيره إلى المبحث الأول من الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ للميداني إضافاتٍ في البلاغة القرآنيَّة، بيَّنها في كتابه "البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها"، إذ يقول: "وقد فتح الله عليَّ بجملة طرائف ولطائف هي من عناصر إعجاز القرآن البياني، أردت أن أضيفها إلى علوم البلاغة."^(١)

- ومن جهة أخرى نلاحظ أنَّه قد جعل لكلِّ سورة في تفسيره مستخرجات بلاغيَّة، وهي غالباً ممَّا سبق أن استخرجه من بلاغيَّات السُّورة التي سبق تدبُّرُها، حيث إنَّه لم يقصد من تلك المستخرجات استيعاب جميع بلاغيَّات السُّورة، فهي - كما يقول - "غير مستوفية لكلِّ ما في السُّورة من بلاغيَّات، إلَّا أنَّها تساعد المتدبِّر على استخراج صورٍ وأمثلةٍ أخرى، لم يجرِ التَّنبيه عليها في هذا الملحق."^(٢)

رابعاً: التفسير العلمي^(٣)

تنبَّه الميدانيُّ لكثيرٍ من الآيات الكونيَّة التي تحمل إشاراتٍ علميَّة، وفسَّرها تفسيراً علميَّاً وفق المنهج الذي ارتضاه في تفسير مثل هذه الآيات في المقولة الثانية من القاعدة الثالثة عشرة، وهي أنَّه "لا تناقض بين القرآن وبين الحقائق العلميَّة الثَّابتة بالوسائل الإنسانيَّة" إذ اقترح منهجاً ينبغي اتِّباعه عند تدبُّر تلك الآيات.^(٤) وطريقته في ذلك أنَّه قد يكتفي - أحياناً - بمعلوماتٍ موجزة^(٥)، وقد يتوسَّع في ملحق السُّورة^(٦)، أو يترك تفصيل بعض الأشياء للمبحث العلمي^(٧).

(١) البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٦/١، ومنها: إضافته إلى علم البيان فضلاً يتعلّق بما اكتشفه في القرآن المجيد من ظاهرات بيانيَّة يفيد منها متدبِّر كتاب الله ﷻ، وقد عرضها في هذا الفصل ضمن مقولتين، هما: الأولى: حول منهج البيان القرآني في التَّوْبَع والتَّكامل. الثانية: حول منهج البيان القرآني في حكاية الأقوال والأحداث والقصص. انظر: المرجع السَّابق، ٣١٩/٢-٣٤٢ وتشير الباحثة إلى أنَّ هذه الإضافات تمثِّل مادة علميَّة قابلة للتَّحليل والتَّقد في بحثٍ علميٍّ مستقل، تُدرَّس من خلاله؛ ليتبيَّن للقارئ مدى مساهمة الميداني في علوم البلاغة.

(٢) معارج التَّفكُّر، الميداني، ١٤٧/٥.

(٣) "هو التفسير الذي يُجكِّم الاصطلاحات العلميَّة في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفيَّة منها." التفسير والمفسرون، حسين الذهبي، ٤٧٤/٢.

(٤) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٢٣٧-٢٣٨.

(٥) معارج التَّفكُّر، الميداني، انظر مثلاً: ٤٤٧/١-٤٤٩، ١٦٢/١٢-١٦٣.

(٦) المرجع السَّابق، انظر مثلاً: بيان بعض أطوار خلق الإنسان في القرآن ٢٨٧/٣.

(٧) المرجع السَّابق، انظر مثلاً: ٤٣/٣.

خامساً: التفسير الموضوعي

اختلفت أنظار الباحثين حول مصطلح "التفسير الموضوعي" فمنهم من يرى أنه يقتصر على تناول دراسة الموضوع القرآني في القرآن كله^(١)، ومنهم من يرى أنه يشمل إضافةً إلى ذلك الموضوع القرآني في السورة القرآنية^(٢)، ومنهم من يدخل في التفسير الموضوعي دراسة المصطلح القرآني^(٣).

لذا فإن أهم أنواع التفسير الموضوعي، هي:

النوع الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

النوع الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

النوع الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

وتختلف طريقة البحث ومنهجيته في هذه الأنواع الثلاثة عند الباحثين، مع الإشارة إلى أن النوع الثاني هو "المشهور في عرف أهل الاختصاص، وإذا أُطلق اسم (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه".^(٤) وقدّم الميداني بعض القواعد التي تخدم هذا النوع من التفسير، وأهمها: القاعدة الأولى: "حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة وارتباطها الموضوعي بما تفرّق في القرآن المجيد".^(٥)

والقاعدة السادسة: "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التكرير لمجرّد التأكيد ما أمكن"^(٦)

واختلفت طريقة عرض الميداني للموضوع القرآني في تفسيره، فغالباً ما يبدأ باستعراض النصوص حول الموضوع المدروس مرتبةً حسب النزول، حيث يمثّل كل نص منها جزءاً من الموضوع المدروس، مع تدبّره لتلك النصوص تدبّراً تحليلياً بالإضافة إلى نظراته التكامليّة التي تبين الفروقات والإضافات لكل نص من تلك

(١) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، (بورسعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت)، ٢٠، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، سامر الرشواني، ٤٥.

(٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط ٣، (دمشق، دار القلم ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ١٦.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، عبد الفتاح الخالدي، (الأردن، دار التفائس، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ٣٤.

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ٢٣.

(٥) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ١٣.

(٦) المرجع السابق، ٦٧.

النُصوص، وهذا ما فعله في موضوع "لوطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه في القرآن الكريم" مثلاً.^(١)

وقد يُقدّم للموضوع بمقدّمة ويضع فيما بعد عناوين فرعيّة للموضوع المدروس يأتي تحتها تدبّر النُصوص القرآنيّة تدبّراً تحليليّاً إضافة إلى النظرات التكامليّة التي تبين الفروقات والإضافات لكلّ نصّ من تلك النُصوص.^(٢)

كما ساهم الميدانيّ بوضع بعض القواعد المهمّة التي تخدم التّوعين الآخرين أيضاً، مثل: القاعدة الثّانية: "حول وحدة موضوع السّورة القرآنيّة"^(٣)، والقاعدة السّادسة عشرة: "حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنيّة بحثاً علميّاً لغويّاً"^(٤)

– وأخيراً بعد ذلك البيان الموجز لمنهج المفسّر في تفسيره، يُشار هنا إلى طريقته العامّة في التّفسير، والتي تتلخّص بالخطوات الآتية:

- يذكر اسم السّورة، وتسمياتها الأخرى إن كان لها أكثر من اسم، وترتيبها في المصحف وترتيب نزولها.
- يعرض نص السّورة وما فيها من فرشيّات القراءات، ثمّ ما جاء في السّنة حولها، وسبب نزولها إن وجد.
- يبيّن موضوع السّورة ودروسها، ولا يلبث أن يشرع بالتّدبّر التحليليّ للآيات في ظلّ موضوعها الكلّي، حيث يبدأ ببيان القراءات، ثمّ المقصود من كلّ جزء من أجزاء الآية ثمّ المعنى الكلّي لكلّ الآية، وكثيراً ما يعكس الأمر فيبدأ بالبيان الكلّي للآية ثمّ تفصيل أجزائها، وخلال ذلك يوضّح نتائج بحثه العلميّ اللّغويّ في معاني كلمات الآية القرآنيّة، وما فيها من بلاغة، وغيرها من أمور تتعلّق بالآية أو موضوعها.
- مع ملاحظة أنّه كثيراً ما يمهد للمقطع القرآنيّ قبل البدء بتدبّره التحليليّ، ويحيل القارئ أحياناً إلى آيات فسّرها سابقاً خشية الإطالة والتّكرار^(٥) كما يحيله إلى الكتب التي ألفها وتمّت الإشارة إلى ذلك عند ذكر مصادر الكتاب.

- ويختتم السّورة بملاحق حول قضايا متّصلة بها، أو مقتبسة منها تمثّل موضوعات مهمّة^(٦)، ولم تخلّ سورة في تفسيره – غالباً – من ملحق المستخرجات البلاغيّة.

(١) معارج التّفكير، ٢٧٩/٥.

(٢) المرجع السّابق، انظر مثلاً: موضوع "التّسبيح في القرآن الكريم"، ١/٦٧-٤٨٠.

(٣) قواعد التدبّر الأمثل، ٢٧.

(٤) المرجع السّابق، ٣١٧.

(٥) معارج التّفكير، انظر مثلاً: ٥١/٤، ٤٨٤/٦.

(٦) المرجع السّابق، انظر مثلاً: ملحق حول السّحر ٢/٦٣-٧٠.

الفصل الأول

قواعد التدبر البلاغية المتعلقة بالكلمة القرآنية

تمهيد:

أنزل الله ﷻ كتابه ببيانٍ معجزٍ، وجعل للكلمة فيه رونقاً، وكساها ثوباً جديداً، وأفاض عليها دلالاتٍ أخرى فوق ما يُدرك منها في اللغة؛ فالله ﷻ عبّر بها عن المعنى عن طريق البناء والصياغة والجزس وطبيعة الحروف؛ لكي تعبّر عن معانٍ ومشاعرٍ خفيةٍ لم تستطع اللغة أن تعبّر عنها. ومدارُ هذا الفصل في كشف شيء من بلاغة الكلمة القرآنية وأسرارها، في ظلّ سياقها القرآني. وسيتمُّ إبراز جهود الميداني في هذا المجال من خلال المبحثين الآتين:

المبحث الأول: الفروق الدلالية

المبحث الثاني: الجمع بين الدلالات

المبحث الأول: الفروق الدلالية:

الكلمات التي انتقاها القرآن للتعبير عن المعنى لا يمكن أن يوجد في اللغة، ومتنها ومترادفاته ما يحل محلها؛ لذا فإن إبعاد فكرة الترادف عن الكلمات القرآنية، والسعي لمعرفة الفروق بين الألفاظ المتقاربة المعنى والتي يُظنُ ترادفها، له أثر مهم في تفسير القرآن الكريم، وفهم معانيه فهماً دقيقاً سليماً يبرز وجهاً جديداً من أوجه بلاغته وإعجازه، والقاعدة الثامنة عشرة من قواعد التدبر، وهي بعنوان: "حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة"، توضّح ذلك، وسيتمُّ دراستُها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

عنوان القاعدة: "حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

على متدبر القرآن الكريم إبعاد فكرة الترادف^(٢) عن الكلمات القرآنية ما أمكن.^(٣)

ثانياً: بيان القاعدة:

- دعا الميداني في هذه القاعدة إلى القول بالفروق الدلالية^(٤) بين الألفاظ المترادفة أو المتقاربة المعنى، والتفكر في سر اختيارها في مكانها، في القرآن الكريم، "إذ كل كلمة في القرآن مختارة اختياراً دقيقاً للدلالة على مقصود بذاته، إن لم يكن من أصل الوضع اللغوي واستعمالات العرب، فبالاختيار والاصطلاح القرآني".^(٥) وترك القول بالترادف ما أمكن؛ فمن "قصر فهمه عن إدراك دلالات كتاب الله، فلا يجازف بقذف تفسيرات تبادرت إلى ذهنه، وإذا طرحها على سبيل الاحتمال فلا يجزم بها".^(٦)
- وفائدة إبعاد فكرة الترادف عن الكلمات القرآنية، تأتي من كونها قد تساعد المتدبر على معرفة النسب

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٣٥. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: القائمة عشرة.

(٢) عرف السيوطي (ت ٩١١ هـ) الألفاظ المترادفة، بأنها: "هي التي يُقام لفظٌ مقام لفظٍ لمعاني مُتقاربة يجمعها معنى واحد". المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م)، ٣٣/١، ومثاله: البخيل، الشحيح، الضنين. وعرف الباحث محمد نور الدين المنجد الترادف بأنه: "أن يدل لفظان مفردان فأكثر دلالة حقيقية، أصيلة مستقلة على معنى واحد، باعتبار واحد، وفي بيئة لغوية واحدة". ثم شرح هذا التعريف بقوله: "فلا اعتداد بالألفاظ المركبة، ولا المعاني المجازية، والأسباب البلاغية، وبشرط الأصالة تخرج الألفاظ المتلاقية على معنى واحد نتيجة لتطور صوتي أو دلالي، وبلاستقلال يخرج التابع والتوكيد، وبشرط الاعتبار الواحد يخرج ما يدل على ذات وصفة كالسيف والصّارم وصفة الصّفة كالتّألق والفصيح، وبشرط البيئة الواحدة يخرج ما تداخل من ألفاظ وضعتها قبائل مختلفة على معنى واحد". الترادف في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م)، ٣٥.

(٣) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٣٥.

(٤) يراد منها: "تلك المعاني الدقيقة التي يلتمسها اللغوي بين الألفاظ المتقاربة المعاني". دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، من قبل الباحث: محمد ياس الدوّري، بإشراف الدكتور: خليل بنیان حسّون، جامعة بغداد، قسم اللغة العربية، للعام الدراسي ١٤٢٦ هـ، ٧.

(٥) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٤٤.

(٦) المرجع السابق، ٤٤٨.

الدَّلَالِيَّةُ المتفاوتة بين الكلمات القرآنيَّة، والتي تدور في فَلَكَ موضوعٍ واحدٍ، بالتَّالي معرفة المستويات النَّسبيَّة للموضوع الواحد، والدَّرجات التي يُقصد الإشارة إليها.

فمثلاً في موضوع التَّجاوز عن السَّيِّئات المعبر عنها بالكلمات القرآنيَّة: (الغفران - التَّكفير - العفو - رفع الجناح - تبديل السَّيِّئات بالحسنات) على المتدبِّر إبعاد فكرة التَّرادف ما أمكن؛ ليكتشف أنَّها مراتب متدرَّجة في موضوعٍ واحدٍ، فبعضها أعلى من بعض، وبعضها أخصُّ من بعض لما بينها من معانٍ متفاوتة^(١). ومن جهةٍ أخرى فإنَّه بإبعاد فكرة التَّرادف، قد يظهر للمتدبِّر بعض أغراض تكرير الفكرة في مواضع مختلفة^(٢).

- ثمَّ عرض الميداني خمسة أمثلة توضيحيَّة للقاعدة^(٣)، نكتفي بعرض أحدها هنا، وهو المثال الأوَّل: حول كلمتي "المشي والسَّعي"

- في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) [الملك]، يُلاحظ أنَّ التَّوجيه لطلب الرِّزق استعمل فيه كلمة (فامشوا).

أمَّا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩) [الجمعة]، فيُلاحظ أنَّ التَّوجيه لحضور صلاة الجماعة استعمل فيه كلمة (فاسعوا). وقد يُظنُّ أنَّ هاتين الكلمتين (فامشوا - فاسعوا) مترادفتان، ويصحُّ تفسير إحداهما بالأخرى، ولكن على المتدبِّر ألاَّ يتسرَّع في فهم النصِّ، ويستبعد فكرة التَّرادف ما أمكن مطبَّقاً لهذه القاعدة، فالفرق بينهما كما يقول الميداني: "السَّعي من المشي، إلَّا أنَّ فيه معنى الهمة والنَّشاط وزيادة الحركة"^(٤). وسرُّ اختيارهما في مواضعهما كما ظهر له هو: "أنَّ الرِّزق مضمون بالمقادير الرِّبانيَّة من خلال تعاطي الأسباب الكونيَّة...، والمشي برفقٍ يحقِّقُ له [للإنسان] المقسوم،

(١) وضَّح الميداني هذه المراتب أثناء شرحه لهذا المثال، إذ يقول: "أمَّا (الغفران) فيدلُّ على مطلق السَّتر لذنوب المذنَّب. ويأتي فوقه (التَّكفير) الذي يدلُّ على معنى السَّتر بالدفن، ويلاحظ أنَّ الدفن فيه معنى زيادة إخفاء الأثر. ويأتي فوقه (العفو)، الذي يدلُّ على معنى محو الأثر. ويأتي فوقه (رفع الجناح) الذي يدلُّ على اعتبار الذنوب كأن لم يكن. ويأتي فوقه (تبديل السيِّئات بالحسنات) وهذا أعلى المراتب التي يتفضَّل الله بها على عباده، إذ يبدل الله لبعض أهل المراتب العالية سيِّئاتهم حسنات". قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٣٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٤٣٦-٤٥٢.

(٤) المرجع السابق، ٤٣٦، ويُشار هنا إلى أنَّ الزمخشري وأبا حيَّان قد حملا تفسير "فاسعوا" في سورة الجمعة على معنى "فامضوا"، أمَّا ابن عاشور فبعد أن ذكر أنَّ السَّعي: أصله "الاشتداد في المشي"، فَرَّق بينه وبين المشي، إذ قال: =

وَالسَّعْيُ الْحَثِيثُ لَا يَزِيدُهُ عَلَى مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ شَيْئاً، إِنَّمَا يَزِيدُهُ كَدّاً وَانْشَغَالاً عَنْ خَيْرَاتٍ أُخْرَى تَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ.^(١) في حين أنَّ ثواب الآخرة يتبع مقدار العمل في الدنيا، فهو ثمرة تابعة بفضل الله تعالى لمقدار ما يكسب الإنسان من أعمال صالحة فيها، من أجل ذلك كان المناسب في هذا المقام (الحال) اختيار كلمة السَّعي، ومن أجل هذا المعنى التزم القرآن كلمة (السَّعي) ومشتقاتها في الأعمال ذات الثمرات والنتائج الأخروية خيراً كانت أم شراً.

إذاً بين الميدانيَّ الفرق بين (فامشوا - فاسعوا) مستعيناً بقرينة السياق الذي وردت فيه هاتان الكلمتان، وقد استدلل على كلامه بذكر بعض النصوص، منها: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠)﴾ [النجم].^(٢)

المطلب الثاني: المناقشة:

- تباينت آراء العلماء في مسألة وقوع الترادف في القرآن الكريم، فذهب الغالبية منهم إلى عدم وقوعه في القرآن الكريم، والقول بالفروق الدلالية، ومنهم الخطابي (٣٨٨هـ)^(٣) الذي يدعو إلى العناية بالفروق بين الألفاظ المتقاربة المعنى أو التي يُظنُّ الترادف بينها في القرآن الكريم، فإنَّ إدراك الفروق بين مثل هذه الألفاظ ينتهي إلى وضع كلِّ لفظة في موضعها الأخصَّ الأشكل بها، وهذا هو عمود البلاغة الذي امتاز به القرآن الكريم؛ إذ يقول: "ثمَّ اعلم أنَّ عمود البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كلِّ نوعٍ من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصَّ الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إمَّا تبدُّل المعنى الذي يكون معه فساد الكلام، وإمَّا إلى ذهاب الرُّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أنَّ في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر النَّاس أنَّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب؛ كالعلم والمعرفة

= "وأطلق هنا على المشي بحرص، وتوقَّى التأخَّر مجازاً". انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزَّخَشَرِي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، ٥٣٦/٤، البحر المحيط، أبو حيان، ٢٦٥/٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢٥/٢٨.

(١) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٣٦.

(٢) انظر: قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٣٧-٤٣٨.

(٣) هو حمَّد بن محمَّد بن إبراهيم البستي، أبو سليمان الخطَّابي الفقيه الشافعي، الحافظ اللُّغوي، ولد عام بضع عشرة وثلاث مئة، توفِّي بئست سنة ٣٨٨هـ، من تصانيفه "بيان إعجاز القرآن"، و"إصلاح غلط المحدثين". انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٤/٣٣، الأعلام، الزركلي، ٢٧٣/٢.

والمعرفة، والحمد والشُّكر...^(١)

والرَّاغِب الأصفهانيُّ (ت ٥٠٢ هـ)^(٢) الذي أشار في مقدِّمة مفرداته - المفردات في غريب القرآن - إلى اهتمامه بقضيَّة التَّرادف والفروق وعزمه على تأليف كتاب يوضِّح فيه حقيقة الفروق بين الألفاظ التي تبدو للنَّظرة الأولى أنَّها مترادفة، بينما هي ليست كذلك. إذ يقول: "وأُتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل، بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يُعرَف اختصاص كلِّ خبرٍ بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من إخوته."^(٣)

وقد عُرف الرَّمخسريُّ (ت ٥٣٨ هـ) بالإشارة إلى الفروق بين دلالات الألفاظ المتقاربة في تفسيره، وبيانه في ضوء هذه التَّفَرقة الدَّقيقة سرَّ اختيار كلِّ كلمة في موضعها.^(٤)

ومن الباحثين المعاصرين من ذهب إلى عدم وجود ترادف في ألفاظ القرآن في دراسته التَّطبيقيَّة، إذ يقول في نتائج بحثه: "... وخلصنا بذلك إلى تعميم الحكم بأنَّ الألفاظ القرآنيَّة لا ترادف بينها عند التَّحقيق، أثبتنا ذلك في طائفة من ألفاظه وأحصينا قائمة بألفاظ قرآنيَّة كثيرة تحوم حول التَّرادف، توشك أن تقع فيه، وما نظَّنها واقعةً فيه."^(٥)

وكذلك توصَّلت إحدى الباحثات بعد التَّتبُّع الاستقرايِّ لما درسته من ألفاظ القرآن الكريم في سياقها إلى ما ينفي التَّرادف؛ إذ تقول: "وفيما اشتغل به على المدى الطَّويل من تخصُّص في الدِّراسات القرآنيَّة، شهد التَّتبُّع الاستقرايِّ لألفاظ القرآن في سياقها، أنَّه يستعمل اللفظ بدلالة معيَّنة لا يمكن أن يؤدِّيها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلَّ أو كثر من الألفاظ."^(٦)

- وتحرَّج البعض من القول بالتَّرادف في بعض ألفاظ القرآن الكريم، وآثر القطع بعدم التَّرادف ما أمكن، فكلُّ كلمةٍ مرصوفةٍ في نظم القرآن لها مزايا تؤدِّيها لا يصلح غيرها مكانها.

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، الرَّماني، الخطَّابي، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمَّد خلف الله أحمد، محمَّد زغلول

سلام، ط ٣، (مصر، دار المعارف، د.ت)، ٢٩.

(٢) هو المفضل بن محمَّد الأصفهاني الرَّاغِب، من أئمة السَّنة، أديب، من الحكَّماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، وتوفي رحمه الله سنة ٥٠٢ هـ، ومن تصانيفه: "مفردات القرآن" و"أفانين البلاغة". انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٢/٢٩٧، الأعلام، الزَّركلي ٢/٢٥٥

(٣) المفردات في غريب القرآن، الرَّاغِب الأصفهاني، ٦.

(٤) انظر: البلاغة القرآنيَّة في تفسير الرَّمخسري، محمَّد أبو موسى، ط ٢، (دار التَّضامن، القاهرة، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م)، ٢٦٨.

(٥) التَّرادف في القرآن الكريم بين النَّظريَّة والتَّطبيق، محمَّد نور الدِّين المنجد، ٢٥٥.

(٦) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأَزرَق، عائشة عبد الرَّحمن المعروفة ببنت الشَّاطِئ، (القاهرة، دار

المعارف، ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م)، ١٩٨.

ومنهم الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ففي معرض حديثه عن ألفاظ يُظنُّ بها التَّرادف وليست منه، يقول: "قاعدة في ألفاظ يُظنُّ بها التَّرادف وليست منه، ولهذا وُزعت بحسب المقامات فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر؛ فعلى المفسِّر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم التَّرادف ما أمكن، فإنَّ للتركيب معنى غير معنى الأفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتَّفَقوا على جوازه في الأفراد." ^(١) ثمَّ عرض جملة من الألفاظ التي يُظنُّ بها التَّرادف وليست منه، موضحاً الفروق الدَّلالِيَّة بينها، و وافقه السيوطي عليها، ونقلها عنه. ^(٢)

وكذا الميدانيُّ في قاعدته، عندما قال: "مهما أمكن إبعاد فكرة التَّرادف عن الكلمات القرآنيَّة فهو الأحقُّ بأن يكون المنهج لدى تدبُّر القرآن." ^(٣) و"الأصل دائماً أنَّه لا تكرار ولا ترادف، ولا نلجأ إلى شيء من ذلك إلَّا عند العجز عن اكتشاف الفروق، مع عدم الجزم بما نفسِّر به الكلمة القرآنيَّة." ^(٤) إذاً الأصل عنده عدم التَّرادف في ألفاظ القرآن، مع إقراره بوقوع التَّرادف أحياناً حيث يقول: "فقد يأتي في القرآن اختيار كلمة في موضع، ثمَّ قد يأتي اختيار مرادف لها في موضع آخر..." ^(٥) فهو يقرُّ بوقوع التَّرادف في بعض الحالات كما سنرى بعد قليل.

- ويُلحظ على أمثلة القاعدة أنَّ الميدانيَّ قد وسَّع فيها مفهوم الألفاظ المتقاربة المعنى، إذ تشمل عنده الألفاظ التي تتقارب تقارباً شديداً في المعنى (وهي التي يُظنُّ ترادفها)، بحيث يصعب على غير المتخصِّص التَّفريق بينها، مثل (المشي، السَّعي)، وتشمل أيضاً الألفاظ التي تتقارب في المعنى مع اختصاص كلِّ واحدة

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٧٨/٤.

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، (لبنان، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ٩٠/٢-٥٣.

(٣) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٣٥.

(٤) المرجع السابق، ٤٤٥، يقول باحثان في تعليقهما على كلام الميداني: "...وهذا ممَّا لا يسلم له؛ فما خفي من فروق بين دلالات الألفاظ القرآنيَّة على أحد من المفسِّرين قد لا يخفى على غيره؛ وعدم إدراك المفسِّر لتلك الفروق؛ لا يعني عدم وجودها؛ وعليه فإنَّنا لسنا مضطرين إلى القول بالتَّرادف تحت مطرقة عجزنا عن إدراك الفروق اللَّغوية بين الألفاظ؛ والصواب: أن نقول بعدم وجود التَّرادف في القرآن الكريم البتَّة، كما سبق." قواعد التدبُّر الأمثل للشيخ الميداني تحليل ونقد، روان الحديد وجهاد نصيرات، كليَّة الشريعة، الجامعة الأردنيَّة، مجلَّة علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦م، ١١٩١.

لكن يُلحظ أيضاً من نصِّ الميداني أنَّه ترك الباب مفتوحاً أمام المتدبِّرين لاكتشاف الفروق الدَّلالِيَّة عندما قال: "مع عدم الجزم بما نفسِّر به الكلمة القرآنيَّة."

(٥) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٣٥.

منها بملحٍ مهمٍّ واحدٍ عامٍ على الأقل، كالمثال الثاني: حول مراتب التَّجاوز عن السيِّئات المعبر عنها بأكثر من كلمة أو تركيب: (الغفران - التَّكفير - العفو - رفع الجناح - تبديل السيِّئات بالحسنات)، والمثال الثالث: حول مراتب عدم الاستجابة لدعوة الدَّاعي، المعبر عنها بالكلمات: (اللِّي - الإعراض - النَّأي بالجانب - الإدبار - التَّوَلَّى - العدا - الغيبة والنَّميمة - مواقف الهزء والسُّخرية والشَّتائم - المكر في الخفاء - الكيد - المواجهة بالقتال) فبين هذه الكلمات وحدة موضوع وتفاوتٌ درجات بطبيعة الحال، ولا يمكن عدُّها أصلاً من المترادفات.

- وفي ذكره للفائدة الثانية من إبعاد فكرة التَّرادف (أنَّه قد يظهر للمتدبِّر بعض أغراض تكرير الفكرة في مواضع مختلفة) يُرى أنَّ هذه الفائدة تتحقَّق عند القول بالتَّرادف، فالتَّرادف يشبه التَّكرار من حيث إنَّه تكرارٌ للمعنى دون اللَّفظ.

- ولا بدَّ من الإشارة في هذه القاعدة إلى أنَّ للسِّيَّاق^(١) دوراً مهمّاً في إبراز دقَّة الاختيار للكلمة القرآنيَّة وخصوصيَّتها في موضعها دون موضع آخر؛ لذا فعندما يدرس العلماء الفروق الدَّلاليَّة بين الألفاظ المتقاربة المعنى أو التي يظنُّ ترادفها في القرآن الكريم، فإنَّها لا تُدرَس كما ترد في المعجم، إنَّما ضمن ورودها في سياقٍ بليغٍ معجز، فأبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ)^(٢) - من علماء الفروق اللُّغويَّة - كان مدركاً أنَّ بحث المعنى "ليس مقصوراً على الألفاظ المفردة على نحو ما نراه في المعاجم، وإنَّما يشمل دراسة المعنى على المستوى التركيبي، أي المعنى هنا ينكشف من خلال السِّيَّاق الذي يرد فيه"^(٣)، فالسِّيَّاق له الدور الأكبر في الكشف عن الأسرار واللَّطائف اللُّغوية والبيانيَّة والتَّربويَّة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر":

- راعى الميدانيُّ تطبيق هذه القاعدة في بعض الكلمات القرآنيَّة المتقاربة والتي يُظنُّ ترادفها، مبيناً الفروق الدَّلاليَّة بينها أثناء تدبُّره لكتاب الله ﷻ^(٤)، وقد اعتمد في ذلك على الاستقراء والسَّبر الشَّامل للنصوص القرآنيَّة التي وردت فيه تلك الكلمات، واعتمد أيضاً على قرينة السِّيَّاق، كما رجع إلى كتب اللُّغة التي تبيِّن

(١) "هو العبارات المكونة والسَّابقة واللاحقة، والغرض الذي جاء من أجله الكلام." نظرية السِّيَّاق دراسة أصوليَّة، نجم الدين قادر الزَّنكي، (بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ)، ٦٣.

(٢) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال العسكري، كان موصوفاً بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشَّعر، توفِّي رحمه الله بعد سنة ٣٩٥ هـ، وله كتاب "الصَّناعتين النَّظم والنَّثر" و"الفروق في اللُّغة"، بغية الوعاة، السِّيوطي، ٥٠٦/٢ - ٥٠٧، الأعلام، الزَّنكلي، ١٩٦/٢.

(٣) الفروق الدَّلاليَّة بين النَّظريَّة والتَّطبيق، عمر عبد المعطي أبو العينين، (الإسكندريَّة، منشأة المعارف، د.ت)، ٤٦.

(٤) معارج التَّفكُّر، الميداني، انظر مثلاً: (الرَّحْمَن - الرَّحِيم) ٢١/١ - ٢٢، (متاع - نعيم) ٢٥٠/٢، (اللَّهُو - اللَّعْب) ٢٥٧/٤ =

المعنى الدقيق للكلمة القرآنية، فظهرت معانٍ تفسيرية في الآيات التي تدبرها، لم تكن لتظهر لولا إبعاده لفكرة الترادف، ومراعاته للفروق الدلالية التي كشفت أيضاً عن شيءٍ من بلاغة النصّ القرآني، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

١- في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْحَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) ﴿[المدثر]

ذكر الميداني معنى "المسكين" وهو أنه من يُظهر الفقر، ولو لم يكن في واقع حاله الخفي فقيراً، والفرق بينه وبين الفقير بأن الأخير من كان في واقع حاله فقيراً، ولو لم يكن يُظهر فقره وحاجته، ثمَّ بيّن سبب اختيار المسكين في هذا السياق دون الفقير، بقوله: "واختير الجائع المسكين لأنه كاشف نفسه، متعرّض لمن يطعمه، يستعطف قلوب الرّحماء، وليس هو من الفقراء المتعقّفين الذين لا يسألون النَّاسَ، فيحسبهم الجاهلون أغنياء من التّعفف، فالفقير المستور الجائع المجهول الحال قد يُعذر عند الله من لم يطعمه ولو كان قريباً منه".^(١) وقد توصّل إلى هذا المعنى التفسيري بعد سبره للنصوص القرآنية التي وردت فيها (المسكنة، المسكين، المساكين)، وملاحظته لقرائن السياق الواردة فيه.^(٢) فظهر بذلك الأثر المعنوي الذي يتركه تطبيق القاعدة من جهة، وكذا الأثر البلاغي في تخيّر اللفظ القرآني في الآية من جهة أخرى.

٢- في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٨) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ﴿[المرسلات]

في سياق خطاب الله ﷻ للمكذّبين في الآخرة يبيّن الميداني سبب اختيار فعل (انطلقوا) دون اذهبوا أو انصرفوا أو نحو ذلك، ليدلّ هذا الفعل على أنّ المكذّبين يُكلّفون يوم الدّين، بعد محاسبتهم وفصل القضاء بشأنهم، أن يسرعوا في الدّهاب إلى دار العذاب.

فكلمة انطلقوا معناها الدّقيق اذهبوا سريعاً أمّا كلمتا اذهبوا أو انصرفوا فلا تتضمّنان هذا المعنى، لذا قال

= (انبجس - انفجر) ٦٤١/٤، (استقام - قام) ٦٠٤/٥، (الغفران - التّكفير - العفو - رفع الجناح - تبديل السيّئات حسنات) ٣٦٣-٣٦٢/٦، (مستقرّ - مُقام) ٤٥٧/٦، (التّوم - الموت) ٥٣٤/٦، (علم اليقين - عين اليقين - حقّ اليقين) ٥٢١-٥١٩/٨، (السّعي - المشي) ٦٠/١٥، (البرّ - التقوى - الإحسان) ٣٢٩-٣٢٧/١٥، (التبذير ٦٠٢/٩، الإسراف ٦٢٦/٦، ٢٥٤/١٢)، (الأمل ٣٩٢/١٣ - الرّجاء ٧١٣/١٣ - الطّمع ١٠٣/١)، (بسرّ - عبس ١٠٨/١).

(١) معارج التّفكّر، الميداني، ١٣٣/١-١٣٤، وذكر ابن عاشور في تفسيره أنّ أئمة اللّغة قد اتفقوا على أنّ "المسكين غير الفقير، هو أقلّ فقراً من الفقير، وقيل: هو أشدّ فقراً وهذا قول الجمهور، وقد يطلق أحدهما في موضع الآخر إذا لم يجتمعا". التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، ١٣١/٢.

(٢) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ٥٣٨/١، ٦٩١.

تعالى: ﴿انْطَلِقُوا﴾^(١)، بهذا أظهر الميدانيُّ الفرق بين هذه الألفاظ المتقاربة المعنى، وذلك بملاحظته لقربنة السياق، والرجوع إلى الأصل اللغوي لكلمة (انْطَلِقُوا)^(٢) فبدا الأثر المعنويّ والبلاغيّ لتطبيقه هذه القاعدة هنا، حيث إنّه لو بدلت كلمة (انْطَلِقُوا) بكلمة غيرها لما أدّت معناها في هذا السياق.

٣- في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (٧٥) [الفرقان]

في سياق عرض صورة من صور ثواب عباد الرحمن عند ربّهم يوم الدين وضّح الميدانيُّ الفرق بين كلمتي "تَحِيَّةٌ" و "سَلَامًا" مستعيناً بما جاء في كتب اللغة^(٣)، إذ قد تأتي التَّحِيَّةُ بمعنى البقاء في الحياة وتأتي بمعنى الملّك، وتأتي بمعنى مطلق السّلام، وأمّا السّلام فهو البراءة من كلّ مكروه وكلّ نقصٍ، والعافية، والأمن، كالسّلامة، كما توصّل من استقراء وسبر النّصوص القرآنيّة إلى أنّ الجمع بين التَّحِيَّةِ والسّلام ممّا فضّل الله به عباد الرحمن في الجنّة، أمّا الذين هم دونهم في المرتبة فتحيتهم فيها سلامٌ فقط.^(٤)

- وفي مواطن من تفسيره نجدّه لا يلتفت إلى الفروق بين هذه الكلمات القرآنيّة، ولا يلتزم بالتّصريح بعدم الجزم، كما قرّر سابقاً في قاعدته؛ إذ قال: "والأصل دائماً أنّه لا تكرار ولا ترادف، ولا نلجأ إلى شيء من ذلك إلّا عند العجز عن اكتشاف الفروق، مع عدم الجزم بما نفسّر به الكلمة القرآنيّة."^(٥)، وأمثلة ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف/١٢٩] يصرّح الميدانيُّ بترادف كلمتي المحيي والإيتان^(٦) معللاً ذلك بقوله: "من بديع الاختيار في بدائل الكلمات المترادفات، أنّ العبارة هنا جيء فيها: (وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) لا (وَمِنْ بَعْدِ مَا أَتَيْتَنَا) فالجيء والإيتان مترادفان، لكن التّنويع هنا في البدائل أعذب في السّمع وألين في النّطق."^(٧) مع العلم أنّ هناك من قال بعدم ترادفهما؛ فالتّعبير بالإيتان يكون عن غيبٍ منتظرٍ، وحين يحصل ذلك الغيب ويصير واقعاً مشهوداً يُعبّر عنه بالجيء، فالسياق هنا يدلُّ

(١) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ٥٨٧/٢.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادتي (حيا، وسلام)، ٢٨٩/١٢، ٢١١/١٤.

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ابن سيده، باب (القاف والطاء واللام)، ١٦/٣.

(٤) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ٦٦٩/٦، وفرّق الزّخشي بينهما فالتّحيّة: دعاء بالتعمير، أمّا السّلام فهو الدّعاء بالسّلامة، انظر: الكشّاف، الزّخشي، ٣٠٣/٣، وقال القرطبي: "والأظهر أنّهما بمعنى واحد". الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: هشام سميّر البخاري، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ٨٣/١٣.

(٥) قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٤٤٥.

(٦) وهذا رأي المفسّر ابن عاشور: "والإيتان والحيء مترادفان، فذكر المحيي بعد الإيتان ليس لاختلاف المعنى، ولكنّه للتّفنن وكرهية إعادة اللفظ." التّحرير والتّوير، ابن عاشور، ٦١/٩.

(٧) معارج التّفكّر، الميداني، ٥٠١/٤.

على أن إتيان موسى كان غيباً لا يعلمه إلا الله، ويعين على ذلك قولهم (من قبل)، في حين أن مجيئه عليه السلام صار واقعاً مشهوداً، ويدل على ذلك قولهم (من بعد)^(١).

٢- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف/١١١]، يقول الميداني: "ابعث" مرادف "أرسل" لما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦) [الشعراء]^(٢) لكننا نجد علماء الفروق ومن خلال سيرهم للنصوص القرآنية التي وردت فيها كلمتا (البعث - الإرسال) والنظر في سياقهما في الآيات، نجدهم قد بينوا ملامح دلالية فارقة بينهما لم يلاحظها الميداني أثناء تدبره، إذ "البعث": يتميز بملح التنبيه والإيقاظ والإثارة، أما "الإرسال": فيتميز بملح الرفق والرحمة، إلا في المواضع التي جاء مركباً فيها مع حرف الاستعلاء (على)، مع العلم أن كلتا الكلمتين تشتركان في ملح دلالي عام هو: التوجيه^(٣).

٣- في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) [الفرقان]، يرى الميداني أن فعل "نزل" مثل فعل "أنزل" وأن ما يُقال من التفريق بينهما لم يثبت الاستقراء والسبب لما جاء في القرآن من فعلي "أنزل" و "نزل"، فنفهم من كلام الميداني أنه لا فرق بين هذين الفعلين فهما مترادفان^(٤)، ويشار هنا إلى أن أحد الباحثين قد تتبع دلالات الإنزال والتنزيل واتضح له "أن الإنزال يأتي مطلقاً، أما التنزيل فله الدلالات الخاصة به... فأثبتت لنا صيغة التنزيل أنها تأتي لجملة معانٍ: من التدرج، والتفصيل، ومجرد الكثرة، والاهتمام، أما الإنزال فمختص بمعنى واحد وهو مطلق النزول للمرة الواحدة."^(٥) وفرق الرازي (ت ٦٠٦هـ) بين (نزل) التي تدل على التفريق، و(أنزل) التي تدل على الجمع، لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٣) [آل عمران/٣]^(٦).

(١) انظر: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، ١٥٠.

(٢) معارج التفكير، الميداني، ٤/٤٧٢ وقال التيسابوري (ت ٨٥٠هـ): "أما قوله ههنا (وأرسل في المدائن) وهناك (وابعث) فلا أن الإرسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره." غرائب القرآن و غرائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمي التيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ، ٣/٣٠٢.

وقال ابن عاشور بالترادف بينهما. انظر: التفسير التحرير والتوير، ١٢٤/١٩.

(٣) معجم الفروق الدلالية، محمد محمد داود، ١٣٨.

(٤) معارج التفكير، الميداني، ٦/٣٢٢.

(٥) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس الدوري، ٢٥٦.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٠/٢٤.

الخلاصة:

- التزم الميدانيُّ منهج العلماء في قاعدة "حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة" بإبعاده فكرة التّرادف عن الكلمات القرآنيّة ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

ورأى عدم الجزم بالتّرادف عسى أن يهتدي من بعدنا إلى هذه الفروق، ولو بعد حين من الدّهر، فإنّ استنباط الفروق الدلاليّة بين معظم الكلمات متقاربة المعنى أو المترادفة أمرٌ اجتهدائيٌّ، قد يُتوصّل إليه مباشرة أو بالتّفكّر العميق، وقد لا يُتوصّل إليه، وهذا رأيٌ صائبٌ يحفظ لغة القرآن الكريم من التّساهل وعدم الدّقة في بيان معانيها.

واعتمد على الاستقراء والسّبر الشامل للنّصوص التي وردت فيها تلك الكلمات، مستعيناً بقرائن السّياق وكتب اللّغة العربيّة.

وقد وُقِّ أثناء تدبّره لكتاب الله ﷻ بإظهار الفروق الدلاليّة في بعض الكلمات القرآنيّة المتقاربة والتي يُظنّ ترادفها؛ فبرز الأثر المعنويّ والبلاغيّ في الآيات التي تدبّرها نتيجة تطبيقه للقاعدة.

مع الإشارة إلى أنّه في مواطن أخرى من تفسيره نجده لا يلتفت إلى الفروق بين تلك الكلمات القرآنيّة، ولا يلتزم بالتّصريح بعدم الجزم، كما قرّر سابقاً في قاعدته.

المبحث الثاني: الجمع بين الدلالات:

من الفنون البلاغية العالية القائمة على الإيجاز الجمع والتوفيق بين دلالات الكلمة القرآنية إن أمكن ذلك، وللميداني في قاعدته الثامنة والعشرين: "حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً"، كلام في هذا الشأن، سيأتي بيانه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

عنوان القاعدة: "حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

إذا كانت الكلمات أو الجمل القرآنية تدلُّ على أكثر من معنى، ولم يمتنع إرادة الجميع، فعلى المتدبر حمل النصّ القرآني على تلك المعاني معاً، ولو كان بعضها حقيقةً وبعضها مجازاً.^(٢)

ثانياً: بيان القاعدة:

- وضَّح الميدانيُّ شروطَ إعمال هذه القاعدة، وهي:

١. عدم التَّضاد بين المعاني التي تدلُّ عليها الكلمات أو الجمل القرآنية.

٢. عدم وجود قرينة أو دليل^(٣) يدلُّ على صَرَف الكلام عن أحدها، ويُبيِّن أنَّه غير مراد.

٣. مساعدة الوضع اللُّغويِّ أو الصِّيغة التَّركيبية للكلام على الجمع بين المعاني.^(٤)

- وسَمَّى بعضاً من العلماء الذين قالوا باستعمال اللَّفْظ في أكثر من معنى معاً، وهم: الإمام مالك بن أنس

(ت ١٧٩هـ)، والإمام الشَّافعي (ت ٢٠٤هـ)، والقاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)^(٥)، والقاضي عبد

الجبار (ت ٤١٥هـ)^(٦)، والإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والشَّيْطوطي (ت ٩١١هـ).^(٧)

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥٦٧. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الثَّامنة والعشرون.

(٢) انظر: المرجع السَّابق، ٥٦٧، ٥٦٩-٥٧٠.

(٣) تعرَّف القرينة بأنَّها: "ما يدلُّ على المراد في غيره دلالةً غير وضعيّة". **القرائن في علم المعاني**، أطروحة أعدت لنيل درجة الدِّكتوراه في علوم اللغة العربيّة، من قبل الباحث: ضياء الدِّين القالش، بإشراف الدِّكتور: أحمد محمَّد نتوف، جامعة دمشق، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللغة العربيّة وآدابها، للعام الدِّرَاسي ٢٠١٠م-٢٠١١م، ٢٩. أمّا الدَّلِيل فهو: "ما يمكن التَّوصُّل بصحيح النَّظر فيه إلى مطلوب خبري". ويدخل في "المطلوب الخبري" ما يفيد القطع والظنَّ. **شرح الكوكب المنير**، ابن النِّجَّار، تحقيق: محمَّد الزَّحيلي وغيره، ط ٢، (د.ب، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ٥٢/١-٥٣. والدَّلِيل والقرينة "كلاهما يفيد في البيان". **منهج الإمام أبي السَّعود في التَّرجيح في تفسيره**، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في التَّفسير وعلوم القرآن، من قبل الباحث عجاج برغش، بإشراف الدِّكتور عبد العزيز حاجي، جامعة دمشق، كليّة الشَّريعة، عام ٢٠١٣م، ٣٨٤.

(٤) انظر: قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥٦٧، ٥٦٩-٥٧٠.

(٥) هو محمَّد بن الطَّيِّب بن محمَّد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني، البصري المالكي الأصولي المتكلِّم المشهور، ولد عام ٣٣٨هـ، كان على مذهب الشَّيْخ أبي الحسن الأشعري، وتوفِّي رحمه الله سنة ٤٠٣هـ، ومن تصانيفه: "التَّمهيد في أصول الفقه" و"إعجاز القرآن". انظر: **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ٢٦٩/٤-٢٧٠، **شذرات الذهب**، ابن العماد، ٢٠/٥-٢١.

(٦) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الحمذاني الأصولي المتكلِّم المعتزلي، لقَّب بـ "قاضي القضاة"، وتوفِّي رحمه الله سنة ٤١٥هـ، له تصانيف كثيرة، منها: "تنزيه القرآن عن المطاعن" و"شرح الاصول الخمسة". انظر: **سير أعلام النبلاء**، الدَّهبي، ٢٣٣/٣٣، **الأعلام**، =

- وأدرج الميداني الكناية^(١) تحت باب استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً، إذ قال: "وباب الكناية عند علماء البلاغة هو من هذا القبيل، إذ قد يُراد باللفظ الواحد المشتمل على الكناية المعنى الذي دلّ عليه اللفظ بحقيقته، والمعنى الآخر الذي يستفاد منه عن طريق الكناية واللوازم الذهنية"^(٢).

ووضّح ذلك بأمثلة من الواقع، منها: "إذا قال المادح لجوادٍ عربيٍّ مضافٍ: إنَّ جلود الخراف الحديثة السِّلخ وافرةٌ على باب قصره دواماً، فقد أراد مدحه بأنّه مضاف، عن طريق الكناية، وأراد مع ذلك المعنى الأصلي الذي دلّ عليه اللفظ حقيقةً."^(٣)

- وأدرج الوجوه^(٤) أيضاً تحت ذلك الباب، مهتدياً بما فعله السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"^(٥)

- وانتهى إلى أنّ حمل النصّ على كلِّ المعاني التي يؤيِّدها الواقع والعقل من عناصر الإيجاز القرآنيّ، ومن دلائل الإعجاز البلاغيّ فيه - لاسيّما إذا كان الموضوع من الفكريّات العامّة التي لا تتضمّن أحكاماً شرعيّة^(٦) - لما له من أثرٍ في تكثيرٍ لمعاني القرآن مع إيجاز اللفظ، "فذكره مرّةً واحدةً مراداً بها جملة المعاني التي يدلُّ عليها أوسع لدلالته، وأعمُّ لفائده، وأثرى لمعانيه، وهذا من طبيعة النصوص الرّفيعة، التي تشتمل

= الرزكلي، ٢٧٣/٣ (٧) انظر: قواعد التدبّر الأمثل، ٥٦٧، ٥٦٩-٥٧٠.

(١) هي: "لفظٌ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ." كقولك: "فلانٌ طويل النجاد" أي طويل القامة، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد، من غير تأوّل. الايضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٢٤١.

(٢) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٦٧-٥٦٨.

(٣) المرجع السابق، ٥٦٨.

(٤) هي: "اللفظ المشترك يستعمل في عدّة معان، كلفظ (الأمة)." الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ٣٨٩، فقد وردت في القرآن الكريم على عشرة أوجه منها: بمعنى السنين الخالية ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف/٤٥]، وبمعنى الرجل الجامع للخير: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [التحل/١٢٠]، وبمعنى الدين، والمِلَّة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمُتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [يوسف/٤٥]. انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمّد علي النّجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٧٩/٢، وانظر تعريف ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) للوجه في الصّفحة (١٥٠).

(٥) انظر: "النوع التاسع والثلاثين" في معرفة الوجوه والنظائر. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ٣٨٩، انظر: قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٧٠-٥٧١.

(٦) قد يحمل النصّ الذي يتضمّن أحكاماً شرعيّة على أكثر من معنى معاً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُؤُوا الصَّلَاةَ وَانْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٤٣)، إذ اختلف العلماء في لفظ "الصلاة" الذي يحمل إرادة الصلاة نفسها، ويحمل إرادة محلّها وهو المسجد، ويحتمل إرادتهما معاً، ولفظ "لامستم" =

على دلالاتٍ كَلِّيةٍ دستوريةٍ، كنصوص القرآن المجيد، وكثيرٍ من أقوال الرسول الكريم عليه أفضل الصلوة وأتم التسليم.^(١)

- ثمَّ زوَّد قاعدته بثمانية أمثلة^(٢)، معظمها توضَّح حالةً واحدةً فقط من استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً، (وهي: المشترك اللفظي)، ويكتفى هنا بعرض مثالين منها، هما: المثال الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان/٥٣]، ذكر الميداني أنَّ البيان الإلهي استخدم كلمة "مرج" للدلالة على معنيين هما: "الأوَّل: معنى خلط العناصر، حتَّى تكونت ماءً خلواً، أو ماءً ملحاً أجاجاً. الثاني: معنى إرسال الماء في الأرض، بوصفيه العذب الفرات، والملح الأجاج، وهذا ظاهرٌ بما في الماء من سيولةٍ قابلةٍ للتدافع المتلاحق، كأنَّ مُرسلاً أرسله ليؤدِّي وظائفه التي أرسل من أجلها."^(٣) ورأى أنَّه من الأجدر بالتدبر الأمثل حمل اللفظ على معنیه معاً، وعدم قصره على أحدهما.^(٤) والمثال السابع: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم/٢٧]، تصلح عبارة "لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا" لمعنيين معاً بيْنهما الميدانيُّ، هما: "الأوَّل: استغراب الحدث بذاته، مع ملاحظة براءتها وعدم اتِّهامها بالبغاء، ... الثاني: التَّعجُّب من أمرها كيف تقع في الإثم، وترتكب الفاحشة، ..."^(٥) ثمَّ جمع بينهما تطبيقاً لقاعدته هنا، إذ يبدو أنَّ القوم كانوا فريقين، فريقٌ لم يظنُّوا بها إثمًا، فقالوا لها: لقد جئت شيئاً عجيباً من أحداث الدهر، وفريق وجَّهوا لها الاتِّهام بارتكاب الفاحشة، بالسنتهم ومعاريض أقوالهم، أو في نفوسهم، فقالوا لها: لقد جئت شيئاً عجيباً وأمرًا مستنكراً غريباً.^(٦)

= الذي يحتمل إرادة اللمس باليد، ويحتمل إرادة الجماع، ويحتمل إرادتهما معاً، وقوله: "فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً" يحتمل عدم وجوده حقيقة، ويحتمل إرادة عدم وجوده حكماً، وهو راجع إلى قوله: "وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى"، وقد يفقد المريض الماء حقيقة أيضاً فيجتمع الأمران. انظر: إشكالية الجمع بين الحقيقة والمجاز في ضوء البيان القرآني، محمود توفيق سعد، (مصر، مطبعة الأمانة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ١١٩-١٢٠.

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٦٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٧١-٥٧٩.

(٣) المرجع السابق، ٥٧٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥٧٦، قال الطبري في تأويل الآية: "والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه" جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م)، ٢٨١/١٩، واختار ابن عاشور أيضاً: المرجع بمعنى الخلط. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٤/١٩، وذكر الشنقيطي معني (مرج) دون الجمع بينهما أو ترجيح أحدهما. انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ٦٥/٦.

(٥) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٧٨.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٥٧٨، اكتفى الطبري بقوله: "يا مريم لقد جئت بأمرٍ عجيبٍ، وأحدثت حدثاً عظيماً" جامع البيان، ١٨٥/١٨، وذكر الرازي أنَّ المعنى يحتمل أن يكون شيئاً عجيباً خارجاً عن العادة من غير تغيير وذم، ويحتمل أن يكون مرادهم شيئاً

المطلب الثاني: المناقشة:

- ذهب الطوفي (ت ٧١٦هـ)^(١) إلى أنه: "...إذا احتمل اللفظ جميعها [أي الأقوال] وأمكن أن تكون مرادة منه، وجب حمله على جميعها ما أمكن، سواء كان احتمالها لها مساوياً، أو كان في بعضها أرجح من بعض".^(٢)

- ونبّه ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) على تطبيق هذه القاعدة في التفسير، بشرط أن يصلح المقام لذلك، إذ يقول: "من أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإدارة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز".^(٣)

- وكذا صاحب تفسير "المنار" إذ يقول: "ومن علماء اللغة والأصول من أثبت أنّ اللفظ قد يستعمل في حقيقته ومجازه، والمشارك في معنيه أو معانيه، إذا لم يمنع من ذلك مانع، وقد جرى على هذا الجمع شيخ المفسرين الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسيره، وتبعناه فيه".^(٤)

- ولابدّ من بيان أنّ اللفظ المحتمل لأكثر من معنى يشمل المشترك، ويشمل الحقيقة والمجاز كما يشمل الحقيقة اللغوية والعرفية، وغير ذلك^(٥).

= عظيمًا منكرًا فيكون ذلك منهم على وجه الدّم، ثم رجّح الثاني. انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ١٧٧/٢١، وقال ابن عاشور: "أظهر محامله هنا أنّه الشّنع في السّوء" التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩٥/١٦، وفهم الشّنفطي أنّ المراد من العبارة: "منكرًا عظيمًا، لأنّ الفري فعيل من الفرية، يعنون به الزّنى، لأنّ ولد الزّنى كالشّيء المفترى المخلوق، لأنّ الزّانية تدّعي إلحاقه بمن ليس أباه" أضواء البيان، الشّنفطي، ٤١٣/٣.

(١) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم نجم الدّين الطّوفي الصّرصري ثمّ البغدادي الحنبلي الأصولي، كان فقيهاً شاعراً أديباً، ولد سنة بضع وسبعين وستمائة بقرية طوفا من أعمال صرصر، وتوفيّ سنة ٧١٦هـ، من كتبه: "الإكسير في قواعد التفسير" و"بغية الواصل إلى معرفة الفواصل". انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٥٩٩/٢-٦٠٠، شذرات الذهب، ابن العماد، ٧١/٨-٧٢.

(٢) الإكسير في علم التفسير، الطّوفي، تحقيق: عبد القادر حسين، (القاهرة، مكتبة الآداب، د.ت)، ٤١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢٣/١.

(٤) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (مصر، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ٢٩٤/٩.

(٥) فقد يدلّ الوزن الصّرفي للفظ أو الكلمة على عدد من الصّيغ الصّرفيّة فيحمل عليها معاً، ومثاله: كلمة "الحميد" في المثال الأول من أمثلة الميداني، من قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)﴾ [البروج]، فلها معنيان مرادان معاً: "الأول: بمعنى الحمود الذي له كلّ صفات الحمد، فهو فعيل بمعنى مفعول. والثاني: بمعنى الحامد الذي يحمّد عباده على ما يكون منهم ممّا يستحقّ الحمد، فهو فعيل بمعنى فاعل". قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٥٧٢ =

فالمشترك هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة، سواء كانت الدالّتان مستفادتين من الوضع الأول أو من كثرة الاستعمال، أو استفيدت إحداها من الوضع والأخرى من كثرة الاستعمال"^(١).

ويمتنع الجمع بين معنيي المشترك إذا منع من ذلك مانع، كأن يكونا ضدّين أو نقيضين مثلاً؛ لأنّ النقيضين لا يجتمعان وكذلك الضدان لا يجتمعان، واختلف العلماء فيما عدا ذلك على قولين رئيسين.

القول الأوّل: ذهب الإمام الشافعيّ وطائفة من العلماء - الذين ذكرهم الميدانيّ - إلى الجواز واحتجّ على ذلك بأمور:

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب/٥٦]، الصلّاة من الله وجميع الرّحمة، ومن الملائكة الدّعاء والاستغفار، وهما معنيان مختلفان، وقد أريدا بلفظ واحد.

- في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج/١٨]، السّجود مشترك بين وضع الجبهة على الأرض، والخضوع والخشوع والانقياد للقدرة الإلهيّة، والأوّل اختياري يصدر من النّاس، والثّاني قهريّ حاصل من غيرهم، وكلاهما مراد من قوله تعالى: ﴿يَسْجُدُ﴾.

- قول سيّويه (ت ١٨٠هـ)^(٢): "قول القائل لغيره: الويل لك، دعاءٌ وخبرٌ" فجعله مفيداً لكلا الأمرين.

= أو تدلّ الصّيغة الصرقيّة على معنيين من جذر واحد، ومثاله: كلمة "أحكم" في قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين/٨] تدلّ على معنيين مقصودين معاً، هما: الأوّل: اشتقاق (أحكم) من الحكمة، والثّاني: اشتقاق (أحكم) من الحكم بمعنى القضاء، إذ يقول ابن عاشور: "والمعنى: أنّه أقوى الحاكمين حكمة في قضائه بحيث لا يحالط حكمه تفريط في شيء من المصلحة". **التحرير والتشوير**، ٤٣١/٣٠ أو تدلّ صيغة الفعل على لازم ومتعدّد، مثاله: كلمة "عبس" من قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس/١] انظر الصّفحة (٨٢) أو يدلّ اللفظ على معنيين من جذر واحد، مثاله كلمة "جميعاً" من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ [الأنعام/٢٢] حيث "تنطوي على معنيي التوكيد والحال، كأنّه قال: ويوم نحشرهم أجمعين مجتمعين". **اتّساع الدلالة في الخطاب القرآني**، محمّد نور الدين المنجد، (دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠م)، ٣٠٤.

أو يدلّ اللفظ على معنيين من جذرين مختلفين، ومثاله كلمة "يُعَاثُ" في قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف/٤٩] إذ تحتل من حيث الاشتقاق أمرين: الأوّل: أن يكون واوياً من (الغوث)، والماضي (أغاث) رباعي، وهو الفرج والنّجدة. والثّاني: أن يكون يائياً من (الغيث)، والماضي (غاث) ثلاثي وهو المطر. ويمكن جمع الاحتمالين معاً بكلمة واحدة، فكأنّه قال: (فيه يُنجدون ويُمطّرون). انظر: **المرجع السّابق**، ٣٣٥.

(١) **البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدّين الزّركشي، تحقيق: محمّد تامر، (دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ٤٨٨/١.

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين، أبو بشر الملقب بسيّويه، ومعناه رائحة التفاح؛ إمام النّحاة، وأول من بسط علم النّحو =

القول الثاني: ذهب الحنفية وجمهور أهل اللغة وجماعة من محققي الشافعية وغيرهم إلى المنع من ذلك؛ واحتجوا بما يأتي:

- لو جاز استعماله فيهما معاً للزم الجمع بين المتنافيين، لكون المستعمل مريداً لأحد مفهوميه خاصّة؛ فاللفظ بمنزلة الكسوة للمعاني، والكسوة الواحدة لا يجوز أن يكتسبها شخصان كل واحدٍ بكما لها في زمان واحدٍ، فكذا لا يجوز أن يدلّ اللفظ الواحد على أحد مفهوميه بحيث يكون هو تمام معناه، ويدلّ على المفهوم الآخر كذلك أيضاً في ذلك الزمان، نعم إنّما يجوز ذلك لو كان كل واحد من مفهوميه جزء المعنى؛ فيكون دلالته على المعنى من حيث هو مجموع، وقد اتفقوا على أنه ليس كذلك؛ ولأنّه لا يتحقق به مقصود الواضع.^(١)

وأجابوا عن أدلة الفريق الأول بما يأتي:

- قوله "يصلّون" في الآية السابقة، "فيه ضميران: أحدهما: عائد على الله تعالى، والثاني: عائد على الملائكة. وتعدّد الضمائر بمنزلة تعدّد الأفعال، فكأنّه قال: إنّ الله يصلي والملائكة يصلّون فلا يكون حينئذٍ استعمال اللفظ الواحد في معنياه بل استعمال لفظين في معنيين وليس النزاع فيه"^(٢)، واعترض الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) على الاحتجاج بهذه الآية بقوله: "الأظهر عندنا أنّ هذا إنّما أطلق على المعنيين بإزاء معنى واحدٍ مشتركٍ بين المعنيين وهو العناية بأمر النبيّ صلى الله عليه وسلّم لشرفه وحرمة، والعناية من الله تعالى مغفرةً ومن الملائكة استغفاراً ودعاءً"^(٣)

- تمسّكهم بآية السجود ليس لهم فيها دليل؛ لأنّ المراد من السجود هو الخضوع والانقياد، وهو يعمّ الجميع

= ولد في إحدى قرى شيراز عام ١٤٨ هـ، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاه، توفي شاباً، وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف ويقال ١٨٠ هـ، وصنّف كتابه المسمّى بـ: "كتاب سيبويه" في النحو. انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٢/٢٢٩ - ٢٣٠، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٤٦٣، ٤٦٥.

(١) انظر: المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدّين الرّازي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م)، ٨٧/١ - ٨٨، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، البزدوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ٦٣/١ - ٦٤، البحر المحيط في أصول الفقه، الرّكشي، ١/٥٠٣ - ٥٠٥، تقريب الوصول إلى علم الأصول، ابن جزيّ الكلبي، تحقيق: محمد المختار الشنقيطي، ط ٢، (المدينة المنورة، د.ن، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م)، ١٣١، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، (الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م)، ١/١٦٠، ١٢٩.

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدّين وتاج الدّين السبكي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م)، ١/٣٥٩.

(٣) المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ٤٥٢ - ٤٥٣.

فلا يختلف المعنى، والأوجه أن قوله تعالى "وكثيرٌ" مرفوعٌ بفعلٍ مضمِرٍ يدلُّ عليه "يسجد" الأولى، أي: "ويسجد له كثيرٌ من الناس سجود طاعةٍ وعبادةٍ، فيكون "يسجد" الأوّل بمعنى الانقياد والخضوع، والثاني بمعنى العبادة فيختلف المعنى لاختلاف اللفظ"^(١)

نجدُ ممّا سبق أنّه لا يوجد اتفاق بالنسبة للمشارك في جواز حمله على أكثر من معنى عند علماء أصول الفقه واللّغويين^(٢).

- ويشار إلى أنّه لا يستقيم إدراج الميدانيّ للوجوه تحت باب استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً، فالوجوه علمٌ خاصٌّ عُني بالاستعمال القرآنيّ للألفاظ متعدّدة الدلالة مع الأخذ بعين الاعتبار السياقات التي جاءت فيها، هذا ما يفهم من كلام ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)^(٣) في كتابه: "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، فهو أوّل من وضع تعريفاً لمصطلح "الوجوه"، إذ يقول: "أن تكون الكلمة الواحدة ذُكرت في مواضع من القرآن، على لفظٍ واحدٍ وحركةٍ واحدةٍ، وأريدَ بكلِّ مكانٍ معنى غير الآخر، فلفظُ كلّ كلمةٍ ذكرت في موضع نظيرٌ لفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كلّ كلمةٍ بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه."^(٤)

فالوجوه إذاً يُقال فيها بالتعدّد بناءً على الاستعمال القرآنيّ فقط، أمّا تعريف الشيوطيّ للوجوه (اللفظ المشترك يستعمل في عدّة معانٍ) فهو عامٌّ، مع الإشارة إلى أنّ المشترك اللفظي بحثٌ لغويٌّ كبيرٌ في الألفاظ متعدّدة الدلالة تفرّع من الوجوه، ثمّ أصبح فرعاً من علم اللغة العربيّة^(٥).

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، البزدوي، ٦٤/١.

(٢) وقد أدخل بعض العلماء في مسألة عموم المشترك استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه معاً؛ إذ إنّ مناطهما واحد، انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ٧٢/٢.

(٣) هو علي بن عبد الرحمن بن علي البكري، البغدادي، الحنبلي، الحافظ، المفسّر، ولد عام: تسع - أو عشر - وخمس مائة، وتوفي سنة ٥٩٧هـ، صنّف في التفسير "المغني" ثمّ اختصره وسمّاه "زاد المسير"، وله "فنون الأفتان في علوم القرآن". انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٥٤/٢٢، الأعلام، الزركلي، ٣١٦/٣.

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمّد عبد الكريم كاظم الرّاضي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ٨٣، ومن الوجوه التي أوردها ابن الجوزي: "الظنّ"، إذ ذكر أهل التفسير أنّه في القرآن الكريم على خمسة أوجه: أحدها: الشكّ. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الحاثية/٢٤]. والثاني: اليقين. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ (٢٠) [الحاقّة]. والثالث: التهمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنٍّ﴾ (٢٤) [التكوير]، أي: بمتهم. والرابع: الحساب. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ نَّجُوزَ﴾ (١٤) [الانشقاق]، أي حسب. والخامس: الكذب. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [النجم/٢٨]. انظر: المرجع السابق، ٤٢٥-٤٢٦.

(٥) انظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوا العوا، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ٤١.

لذا لا يصحُّ استدلال الميدانيِّ بما قاله السيوطيُّ في النوع التاسع والثلاثين بأنَّه يندرج تحت باب استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً.

- ويجوز في الكناية أن يدلَّ اللَّفْظ فيها على كلا المعنيين، الحقيقيِّ أو الملزوم، و المكْنِي عنه أو اللازم - إذ الكِنَاية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها^(١) - إِلَّا أَنَّ الْأَصْلَ وَالْغَالِبَ فِيهَا أَنْ يُرَادَ الْمَعْنَى الْمَكْنِيَّ عَنْهُ، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عِلْمَاءُ الْبَلَاغَةِ وَمِنْهُمْ الْجُرْجَانِي (ت ٤٧١هـ)^(٢) وَبَيَّنَّه فِي بَابِ (الَلْفْظُ يُطْلَقُ وَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُ ظَاهِرِهِ) مِنْ كِتَابِهِ "دَلَالُ الْإِعْجَاز"^(٣)

وقد تفرَّد الميدانيُّ بجعلها من باب استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً في وقت واحد، وعدَّ ذلك قاعدة، إذ إنَّ تعدُّد المعنيين فيها ليس في إرادة الاستعمال بل في إرادة الإفادة، فاللَّفْظ لم يستعمل إلَّا في موضوعه، وقد يستعمل اللَّفْظ في معنى ويُقصد به إفادة معانٍ كثيرة^(٤).

ويُشار هنا إلى أنَّه خالف ما قاله في كتابه "البلاغة العربيَّة": "ن إرادة المعنى الأصلي للفظ مع إرادة المعنى الآخر الذي يكْنى باللفظ عنه جائزة ولكنها غير لازمة دائماً، فقد يرادان معاً، وقد تحمل إرادة المعنى الأصلي ويراد المعنى الآخر فقط."^(٥)

- وخالف الميدانيُّ ما اشترطه في قاعدته من عدم التَّضاد بين تلك المعاني التي تدلُّ عليها الكلمة، وكان هذا في المثال الخامس من قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٨٣) ﴿[الأعراف]، والمثال السادس من قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (١٧) ﴿[التكوير]، فإنَّ كلمتي "الغابر" (أي: الماكث الذي لا يتحوَّل، أو الذَّاهِبُ الماضي)، و"عَسْعَسَ" (أي: أقبل وأدبر)، من الأضداد^(٦).

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٤٠٣.

(٢) هو عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَنِ أَبُو بَكْرٍ الْجُرْجَانِي، مِنْ أَهْلِ جَرْجَانٍ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ، شَافِعِيًّا، أَشْعَرِيًّا، أَخَذَ النَّحْوَ بِجَرْجَانٍ عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْفَارِسِيِّ ابْنَ أُخْتِ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، تَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى - وَقِيلَ أَرْبَع - وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعَمِائَةَ، وَمِنْ مَصْنَفَاتِهِ "أَسْرَارُ الْبَلَاغَةِ" و"دَلَالُ الْإِعْجَاز". انظر: طبقات الشَّافِعِيَّة، ابن قاضي شهبة، ١٤٩/١٥٠، بُغْيَةُ الْوَعَاة، السَّيُوطِي، ١٠٦/٢.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد التنجي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٥م)، ٦٦.

(٤) انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدِّين السَّبْكِي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م)، ٢٠٧/٢.

(٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٥٦٧/١.

(٦) انظر أيضاً: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٦) ﴿[التكوير]، معارج التَّفَكُّر، الميداني، ٤٠٩/١. ويقصد بالأضداد: "اللفظ المستعمل في =

وفي المثال الثالث من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤) [الملك]، وُجد اختلاف في كلامه بين "قواعد التدبر الأمثل" وتفسيره "معارج التفكير" كما سأوضح فيما بعد.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

لا يخفى أن لهذه القاعدة أثراً في تكثير المعاني مع إيجاز اللفظ، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وبدا هذا الأثر واضحاً في تفسير الميداني، إذ التزم بتطبيق قاعدته في مواضع كثيرة من تفسيره^(١)، فظهر الأثر المعنوي والبلاغي جلياً في تلك المواضع، وأدواته في هذه القاعدة: كتب اللغة، والسياق، والأمثلة الآتية ستوضح ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١) [الشرح]، بيّن الميداني معاني كلمة ﴿نَشْرَحْ﴾ بقوله: "الشرح في اللغة: يأتي بمعنى: قطع اللحم وشقه... ، ويأتي بمعنى: البسط والتوسعة، ومنه شرح الصدر للإسلام، وشرح الصدر يكون بانفراحه وسروره وذهاب الهم والغم والحزن عنه، ... ، ويأتي بمعنى: الكشف والإيضاح..."^(٢) ولم يقتصر في تحديد المراد على أحدها فقط، بل حمل الكلام على جميع المعاني معاً، فكلها تنطبق على حال الرسول محمد ﷺ: فقد شرح الله ﷻ صدره إذ أجرى له عملية شق الصدر كما

= معينين متضادين. "علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م)، ١٩١.

وهي نوع من المشترك اللفظي كما أشار السيوطي. انظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ٣٠٤/١.

(١) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥) [التكوير]، ٦٧/١-٦٨.

وقوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) [المدثر]، ١٤١/١. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) [القدر]، ٢٨٨/٢-٢٨٩.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) [البلد]، ٢٠٩/٣-٢١١.

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَفْضُلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٥)

[الأعراف]، ٢٠٤/٤. وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف/١٨٧]، ٨٠/٥-٨١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

(٢٠٣) [الأعراف]، ١٣٥/٥.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) [الفرقان]، ٣٣١/٦.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢) [الفرقان]، ٦٤٨/٦-٦٤٩.

وقوله تعالى: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (٥٠) [الواقعة]، ٤٧٠/٨.

وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) [الإسراء]، ٧١٣/٩.

وقوله تعالى: ﴿وَقَارِئُ التَّنْوِيرِ﴾ [هود/٤٠]، ٣٩٢/١٠. (٢) المرجع السابق، ٥٨٥/١.

ثبت في الصحيح^(١)، وأنعم عليه بإزالة الضيق عن صدره، الذي يحدثه عادةً الهمُّ والغمُّ والحزن، وألم النفس الذي يحدث بسبب عدم تحقيق المطالب التي تتعلق بها طموحاتها، وكشف وأوضح له الحقائق والمعارف الكبرى المتعلقة بمسائل الدين^(٢).

إذاً نجد الميدانيّ أعمل قاعدته هنا بعد تحقّق شروطها، فحمل الكلام على جميع المعاني معاً، فظهر الأثر المعنويّ في تفسير الآية بمعنى محتمل - انفراد به عن باقي المفسّرين - من جهة، والأثر البلاغيّ في دلالة كلمة واحدة على ثلاثة معانٍ معاً يحتملها السياق من جهة أخرى.

٢- في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١)﴾ [عَبَسَ]، يبيّن الميدانيّ أنّ الفعل ﴿عَبَسَ﴾ يأتي لازماً ومتعدّياً، إذ يُقال لغةً: عَبَسَ الرجل يعبس عبساً وعُبُوساً، إذا كَلَحَ وجهه، وتَقَبَّضَ عن كراهية واستياء^(٣). ويُقال أيضاً: عَبَسَ الرجل وَجْهَهُ، إذا جعله بإرادته مُنْقَبِضاً عن تكرُّه، واستياء^(٤).

ويرى الميدانيّ حمل ما جاء في الآية على الأمرين كليهما عملاً بقاعدته، فوجهُ الرّسول ﷺ عَبَسَ بحركة غير إرادية، ثمّ عَبَسَ الرّسول وَجْهَهُ بحركة إرادية^(٥). وهذا معنى تفسيري للآية انفراد به عن باقي المفسّرين.

٣- في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف/٢] ذكر الميدانيّ أنّ كلمة ﴿ذَكَرَى﴾: اسم يؤتى به للدلالة على معانٍ هي: المعنى الأوّل: التذكير. المعنى الثّاني: التذكُّر. المعنى الثّالث: التذكُّرة^(٦).

ثمّ أتبع كلامه عن هذه المعاني بقوله: "ولا مانع من استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً، فالقرآن بالنسبة إلى المؤمنين هو ذكرى على المعاني الثلاثة، فهم يُذكِّرون به من قبل المذكِّرين، وهم يتذكِّرون به، ثمّ يكون هو لهم إذا قرأوه في المصاحف، أو تلوّهُ من حفظهم، أو سمعوه، ممّن يقرؤه أو يتلوّه أداة تذكير^(٧)". فحمل النّصّ على جميع المعاني المحتملة معاً، فانفرد بذلك عن باقي المفسّرين.

(١) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ١/٥٨٥-٥٨٦.

(٢) المرجع السّابق، ١/٥٨٥-٥٩٠.

(٣) على هذا المعنى "عَبَسَ" لازم.

(٤) على هذا المعنى "عَبَسَ" متعدي.

(٥) انظر: المرجع السّابق، ٢/٢١٧، انفراد الميداني عن المفسّرين بحمل فعل (عَبَسَ) على معنيين معاً.

(٦) انظر: المرجع السّابق، ٤/٥٤-٥٥.

(٧) المرجع السّابق، ٤/٥٤-٥٥.

- ونجد الميدانيّ قد ترك بعض المواطن التي يصلح فيها تطبيق القاعدة، ومثالها :

١- في قوله تعالى : ﴿وَيَا بَنِكَ فَطَهَّرْ (٤)﴾ [المدثر/٤]

اختار في كلمة (فطهّر) الاستعمال الحقيقي^(١)، ولا مامع يمنع من استعمالها في المعنيين - الحقيقيّ والمجازيّ- معاً.

بينما نجد المفسّر ابن عاشور مثلاً لم يمتنع عن استخدام الإطلاق الحقيقيّ والمجازيّ معاً لهذه الكلمة، إذ يقول: "وللتطهير إطلاق حقيقيّ وهو التّظيف وإزالة النّجاسات، وإطلاق مجازيّ وهو التّزكية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب/٣٣]. والمعنيان صالحان في الآية فتحمّل عليهما معاً." ^(٢)

٢- في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ [الملك]

كلمة (خاسئ) : تأتي في اللّغة بمعنيين^(٣): المعنى الأوّل : متحيّر ، المعنى الثّاني : مطرودٌ ذليلٌ وكلمة (حسير) أيضاً تأتي في اللّغة بمعنيين^(٤): المعنى الأوّل: كالٌ منقطع، المعنى الثّاني: خائب المسعى، متلهّفٌ على ما فاتته ممّا كان يرجوه.

نجد الميدانيّ في تفسيره للآية، يقول: "...ينقلب راجعاً إليك حالة كونه ذليلاً عاجزاً، وكالاً لم يستطع أن يجد في خلق الرّحمن ما هو دون كمال الإتيان." ^(٥)

فيُلاحظ أنّه اختار معنًى واحداً لكلّ من الكلمتين (خاسئ) (حسير) وكان من الممكن استعمالهما في معنييهما السّابقين معاً، تطبيقاً للقاعدة.

(١) معارج التّفكّر، الميداني، ٨٨/١.

(٢) التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، ٢٩٧/٢٩.

(٣) انظر: الصّاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، الجوهري، ٤٧/١.

(٤) انظر: المرجع السّابق، ٦٣٠/٣.

(٥) معارج التّفكّر، الميداني، ٨٨/١.

٣- في قوله تعالى: ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)﴾ [يس]

يقول الميداني: "لفظ (حكيم) إمّا بمعنى اسم المفعول، وإمّا بمعنى اسم الفاعل، أو هو مستعملٌ فيهما لتلازم المعنيين." (١) ولم يوضّح الاستعمال الأخير.

وقام صاحب كتاب "على طريق التفسير البياني" بجمع المعاني المحتملة التي يمكن أن تكون مرادةً من هذا اللفظ من تفاسير المتقدمين، وهي: "يمكن أن يكون (فعل) بمعنى اسم المفعول أي (مُحكّم)، ... أو إنّه حكيم لأنّه ينطق بالحكمة، فجعلّه كالحَيِّ المتكلّم، هو من باب الاستعارة." (٢) والحكيم أيضاً صيغة مبالغة من الحكم بمعنى الحاكم... (٣) ثمّ ختم كلامه بقوله: "وهذه المعاني كلّها مرادةٌ مطلوبةٌ، فهو كتابٌ محكّمٌ وحكيمٌ متّصفٌ بالحكمة ناطقٌ بها، وحاكم على الكتب والشرائع والأحكام. فجمع بقوله: (الحكيم) عدّة معانٍ كلّها مرادةٌ مطلوبةٌ." (٤)

(١) معارج التّفكر، الميداني، ٢٨/٦، انظر أيضاً: ٦٨٥/١١.

(٢) هي: "استعمال لفظ ما في غير ما وضع له في اصطلاح به التّخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التّخاطب." البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٢٢٩/٢ كقولك: رأيت أسداً في باحة المدرسة، فإنّ كلمة (أسد) استعارة لعلاقة المشابهة بين المعنى المجازي (الشّجاع) والمعنى الوضعي (السّبع المعروف)، مع قرينة (كون الأسد في باحة المدرسة) التي منعت إرادة المعنى الوضعي.

(٣) على طريق التّفكير البياني، فاضل صالح السّامرائي، (دار ابن كثير، دمشق، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ٨-٧/٢.

(٤) المرجع السابق، ٨/٢، انظر أيضاً: أمثلة أخرى ترك فيها الميداني تطبيق القاعدة، منها:

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾ [التين]، تدلّ الصّيغة الصّرفيّة لكلمة (بأحكم) على معنيين من جذر واحد، هما: الأوّل: اشتقاقها من الحكمة، والثاني: اشتقاقها من الحكم بمعنى القضاء، يقول ابن عاشور: "(أحكم) يجوز أن يكون مأخوذاً من الحكم، أي أقضى القضاة، ومعنى التّفضيل أن حكمه أسدّ وأنفذ. ويجوز أن يكون مشتقاً من الحكمة. والمعنى: أنه أقوى الحاكمين حكمةً في قضاؤه بحيث لا يخالط حكمه تفریط في شيء من المصلحة." التّحرير والتّنوير، ٤٣١/٣٠، ولا مانع من الجمع بين هذين المعنيين معاً هنا، أي: الله عَزَّوَجَلَّ أقضى القضاة، وأحكم القضاة. انظر: اتّساع الدّلالة في الخطاب القرآني، محمّد نور الدّين المنجد، ٢١٨، ونجد الميداني قد اقتصر على المعنى الثاني (القضاء)، ولم يطبّق قاعدته هنا. انظر: معارج التّفكير ودقائق التّدبر، ٤١٤/٢-٤١٥.

وكذلك الصّيغة الصّرفيّة لكلمة (صدّق) في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١)﴾ [القيامة]، إذ تدلّ على معنيين هما: الأوّل: من التّصديق ضدّ التّكذيب، والثاني: من الصّدقة بمعنى الرّكاة. يقول الرّمحشري: "لا يؤمن [أبو جهل] بالبعث، فلا صدّق بالرسول والقرآن ولا صلّى، ويجوز أن يراد: فلا صدّق ماله، بمعنى: فلا زكاة." الكشف، ٦٦٤/٤ ولا مانع من الجمع بين هذين المعنيين في وصف أبي جهل، أي نفي التّصديق ونفي التّصدّق، بكلمة واحدة. انظر: اتّساع الدّلالة في الخطاب القرآني، محمّد نور الدّين المنجد، ٢١٧ وأخذ الميداني بالمعنى الأوّل (التّصديق) دون الجمع بين هذين المعنيين معاً. انظر: معارج التّفكير، الميداني، ٥١٢/٢.

- كما وجد - في مواطن قليلة جداً - اضطرابٌ في تطبيق القاعدة، منها:

١ - كلمة (أَسَاطِير) تأتي في اللغة بمعنيين:

المعنى الأول: أباطيل، وأحاديث لا نظام لها، واحدها: إسطار، وإسطاره، وأسطور، وأسطورة.

المعنى الثاني: مكتوبات الأولين ومسطوراتهم، جُمع (سَطَرٌ) على (أَسْطَر) ثُمَّ جُمع (أَسْطَر) على (أَسَاطِير) ^(١). وقد حمل الميداني كلمة (أَسَاطِير) على المعنيين معاً ^(٢)، في سورة الفرقان، من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥)﴾.

في حين أنه حمل هذه الكلمة على التخيير بين أحد المعنيين في سورة القلم من قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥)﴾، إذ يقول: "فيمكن حملُ عبارة: ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ على أحد المعنيين: أباطيل الأولين، أو: مكتوبات الأولين، وهي كتب أهل الكتاب." ^(٣)

- واختار في سورة المطففين، من قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣)﴾ المعنى الأول، إذ يقول: "أي: أباطيلٌ مُقْتَبَسَةٌ ومأخوذةٌ من خرافات وأباطيل الأولين من الأمم السابقة، (أَسَاطِير): جُمع (إِسْطَارٌ، وإِسْطَارَةٌ، وأَسْطُور، وأَسْطُورَةٌ)." ^(٤)

ونلاحظ أنَّ السِّياق واحد في جميع هذه الآيات التي وردت فيها كلمة (أَسَاطِير) ولا مانع أو مرجح أو دليل يمنع استعمالها في المعنيين معاً فيها.

٢ - وكذلك في كلمة (الْعَابِرِينَ)، ومفردتها (الْعَابِرِ)، يأتي في اللغة بمعنيين:

المعنى الأول: الماكث في موضعه الذي لا يتحوّل، والمعنى الثاني: الدَّاهِبُ الماضي الذي لم يبق له وجودٌ ^(٥). ففي سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣)﴾، حمل كلمة (الْعَابِرِينَ) على المعنيين معاً، إذ يقول: "وكلُّ من هذين المعنيين ينطبقان على قوم لوطٍ وامرأته معهم، فقد مكثوا في الموضع الذي نزلت فيه وسائل التعذيب والإهلاك، ولم يستطيعوا أن يتحوّلوا عنه، وبعد إهلاكهم

(١) انظر: الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٦٨٤/٤.

(٢) معارج التفكّر، الميداني، ٣٥٨/٦.

(٣) المرجع السابق، ٢٣١/١.

(٤) المرجع السابق، ٣٢٥/٥.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (غَبَر) ٣/٥.

ذهبوا إلى فناء أجسادهم مع الداهيين ، ومضوا مع الماضين، فلا وجود لهم في الحياة الدنيا." (١) أمّا في سورة "النمل"، من قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧)﴾، فقد حمل الميدانيُّ كلمة (الغَابِرِينَ) على معنى واحدٍ، إذ يقول: "أي جعلناها لدى تحديد المقادير المتعلقة بلوطٍ وأهله وقومه من الماضين من قومه بالتعذيب والإهلاك." (٢)

إذاً نجده مرّةً حمل كلمة (الغَابِرِينَ) على معنيين معاً، ومرّةً على معنى واحدٍ في قصّة لوطٍ دون مبرّر لعدم حملها على المعنيين معاً في كلا السّياقين المحتملين.

- ويُشار إلى ندرة الأمثلة في حالة "الكناية" في التفسير، ومنها:

في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان/٢٧]، نجد الميدانيُّ قد حمل اللفظ (يَعِضُ) على المعنى الحقيقي والمعنى المستفاد عن طريق الكناية، وهو شدّة ندم الظالم وغضبه من نفسه. (٣)

الخلاصة:

- وجد في هذه القاعدة "حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً" أنّ الميدانيّ تابع العلماء الذين أخذوا بها متابعةً دقيقةً في رأيهم بهذه القاعدة، وصرّح بأنّه اقتفى أثرهم أثناء بيانه لها، إلّا أنّه لم يحالفه الصّواب عندما قام بإدراج الكناية، والوجوه والنظائر، تحت استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً. وقد برز الأثر البلاغيّ والمعنويّ لهذه القاعدة في مواضع كثيرة من تفسيره الذي تميّز بالإشارة إلى معانٍ جامعةٍ للكلمات القرآنيّة، لم يتنبّه إليها بعض المفسّرين، وأدواته في ذلك: كتب اللّغة، والسّياق. ويُشار إلى ندرة الأمثلة في حالة "الكناية" في التفسير، ووجد أحياناً - في مواطن قليلة جدّاً من تفسيره - اضطرابٌ في تطبيق القاعدة من قبله، وتركه لبعض المواطن التي يصلح فيها تطبيقها، فلم يظهر أثر القاعدة فيها.

(١) معارج التّفكّر، الميداني، ٣٩٦/٤.

(٢) المرجع السابق، ١٢١/٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٤٦٤/٤.

الفصل الثاني

قواعد التدبر البلاغية المتعلقة بالدراسة البلاغية للمسائل النحوية

تمهيد:

النحو والبلاغة علمان متكاملان، بينهما صلة وثيقة وارتباط عظيم، وغني عن الذكر أنّ "علم النحو" يدرس أحوال اللفظ من تنكير وتعريف، وتقديم وتأخير، وحذف وذكر... إلخ من جهة صحتها وفسادها، أمّا "علم البلاغة" فيدرسها من وجهة مغايرة لما عليه الأمر في "علم النحو"؛ إذ يدرسها من حيث إنها تلبي مطلباً فنياً يقتضيه المقام وتستدعيه الحال، عندئذ تظهر المزية في نظم الكلام.

يقول الجرجاني (ت ٤٧١هـ) موضحاً العلاقة الوثيقة بين النظم ومعاني النحو: "فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه." (١)

وفي هذا الفصل سيتم تسليط الضوء على الدراسة البلاغية لبعض المسائل النحوية، من خلال دراسة قاعدتين من قواعد التدبر المتعلقة بالأساليب النحوية (الاستثناء، والقسم)، وبفضية نحوية لها دلالات بلاغية واضحة (مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر)، وذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الاستثناء المنقطع

المبحث الثاني: القسم في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٧٨

المبحث الأول: الاستثناء المنقطع:

يعدُّ الاستثناء من الأساليب النحويّة المهمّة المختلف فيها، فكان لذلك الاختلاف أثرٌ واضحٌ في تنوُّع احتمالات التّأويلات التي ورد فيها الاستثناء في آيات القرآن الكريم. ويقدِّم الميدانيُّ للمتدبِّر في هذا الموضوع بياناً عن أكثر نوع من أنواع استثناءات القرآن الكريم المختلف فيها، وهو "الاستثناء المنقطع" محاولاً إثبات وجود أثرٍ بلاغيٍّ معنويٍّ من وراء إيراده. في سبيل ذلك وضع قاعدته الثّامنة والثلاثين: "حول ما يُسمّى بالاستثناء المنقطع"، التي ستتمُّ دراستها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميدانيِّ

المطلب الثّاني: المناقشة

المطلب الثّالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر"

عنوان القاعدة: "حول ما يُسمَّى بالاستثناء المنقطع"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

على متدبر كلام الله ﷻ أن يتفكر في كل نص قرآني يشتمل على استثناء^(٢) يتراءى له من ظاهره أنه استثناء منقطع^(٣)، وهو عندئذٍ بين أمرين:

"- إما أن يظهر له أن أداة الاستثناء هي أداة استدراك^(٤)، مثل كلمة (لكن) وأن الغرض هو الإضراب الانتقالي^(٥)، لإثبات قضية جديدة صلتها بما قبلها صلة المغايرة في الحكم فقط، والحركة الإعرابية ضبط لفظي لمثل هذا الاستدراك الوارد بلفظ (إلا) سواءً نصبنا على لغة الحجازيين، أم رفعنا على لغة بني تميم^(٦). - وإما أن يكشف أن الاستثناء بهذه الصورة يتضمن غرضاً بلاغياً مقصوداً، لأداء فكرة مُراد، وهو

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٦٨٣ وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الثامنة والثلاثون.

(٢) يعرف بأنه: "الإخراج ب (إلا) أو إحدى أخواتها لما كان داخلياً أو منزلاً منزلة الداخل." أي إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه، وأدواته: إلا، وغير، وسوى، وخلا، وعدا، حاشا، وغيرها. ويشمل الداخل حقيقة لفظاً أو تقديرًا، فإن المستثنى المفرغ داخل حقيقة إلا أن الدخول تقديري من حيث إن المستثنى منه الذي هو محل الدخول مقدّر لا ملفوظ. انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"، علي بن محمد الأشموني، ط ٣، (مصر، مكتبة النهضة المصرية، د.ت)، ٣٩٥/٢، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبّان، ط ١، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ٦٧٢/٢، وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط ٣٩، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠١م)، ١٢٧/٣.

(٣) نقل الميداني عن النحاة تعريفه، بأنه: ما كان المستثنى فيه ليس من نوع المستثنى منه، مثل: نفر قطيع الظباء إلا جمل أبي حارثة - لم ينفر قطيع الظباء إلا جمل أبي حارثة. فجملة "نفر قطيع الظباء" هي المستثنى منه و "جمل أبي حارثة" هو المستثنى و "إلا" هي أداة الاستثناء. انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٦٨٣، ومناقشة القاعدة.

(٤) الاستدراك هو: "تعقيب الكلام بنفي ما يُتوهم ثبوته أو إثبات ما يُتوهم منه نفيه." حاشية الصبّان، ٢٧٠/١، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، ط ٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ٨١ نحو قولك (زيد شجاع لكنه بخيل)، دفعت ب (لكن) توهم أنه كريم لملازمة الكرم للشجاعة. و "إلا" في المنقطع ترفع توهم المخاطب دخول ما بعدها في حكم ما قبلها مع أنه ليس بداخل. حاشية الصبّان، ٢٧٦/٢.

(٥) الإضراب الانتقالي: "هو الانتقال من غرض إلى آخر بخالفه." أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله الأنصاري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ٤٢٠.

(٦) حجة أهل الحجاز في النصب أن الثاني (أي المستثنى) لما انقطع من الأول (أي المستثنى منه) فلم يكن من جنسه انقطع أيضاً من إعرابه. أما حجة بني تميم في الرفع أن تجعل الثاني بعض الأول مجازاً. انظر: الاستغناء في الاستثناء، شهاب الدين القرافي، تحقيق: محمد=

في مضمونه الفكري من قسم الاستثناء المتصل^(١)(٢).

ثانياً: بيان القاعدة:

- ذكر الميداني بداية تعريف النُّحاة لنوعي الاستثناء (المتصل، والمنقطع)^(٣)، ثمَّ دعا إلى التَّفكُّر والتَّساؤل عن الغرض البياني من الاستثناء المنقطع، فإنَّ "مثل هذا الاستثناء دون غرضٍ بيانيٍّ يُقصد لدى البلغاء لغوً وعبثٌ، وتعبيراً في غير مجرى كلام العقلاء، ومثله لا يصدر عن فصحاء البيان، وأساطين البلاغة، فضلاً عن أن يصدر عن العليم الحكيم العزيز، فيكون جزءاً من كلامه." ^(٤) فالاستثناء المنقطع كما تبين له هو في حقيقته استثناء متصل قائم على تعميم المستثنى منه تعميماً مجازياً لغرضٍ بلاغيٍّ، أي: "ربما يقصد هجاء ذمِّ قومٍ بالبلادة، فيقول: جاء بنو فلان إلّا حماراً، وهو يقصد جاء بنو فلان الذين يشبهون في بلادهم الحمير، هم ودواهم إلّا حماراً. ولا يخفى أنَّ استثناءه هذا الذي ضمَّنه استعاره أشار إليها إشارة خفيةً، هو من قبيل الاستثناء المتصل القائم على تعميم المستثنى منه تعميماً مجازياً." ^(٥) إذ يرى في هذا المثال أنَّ ذاك الهجاء قد جاء بما صورته استثناء منقطع لغرض بلاغي، وحقيقته استثناء متصل^(٦).

وحتى يستطيع المتدبّر الوصول إلى الغرض البلاغيّ يجب أن يقفز إلى ما وراء السّياج السّاذج المسمّى بالاستثناء المنقطع، فذريعة هذا الاستثناء لا تُقبل عند المتدبّرين العقلاء.^(٧)

- ثمَّ قام بدراسة الاستثناء الوارد في عددٍ من الآيات^(٨)، ونكتفي هنا بعرض مثال واحد من الأمثلة السّبعة

= عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ٣٦٠.

(١) نقل الميداني عن النُّحاة تعريفه، بأنّه: "ما كان المستثنى فيه بعضاً من المستثنى منه، مثل: نبت ما زرعنا من الشَّجر إلّا شجرة اللّوز - لم ينبت ما زرعنا من الشَّجر إلّا شجرة اللّوز." وقد يحذف المستثنى منه، مثل: ما جاء إلّا زيد، فيسمّى استثناءً مفرغاً، انظر: قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٦٨٣، ومن النُّحاة الذين عرّفوه بهذا التعريف، انظر: شرح الأشموني عل ألفية ابن مالك، الأشموني، ٣٩٥/٢، والمراد بالبعض في التعريف "ما يشمل الفرد والجزء." حاشية الصّبّان، الصّبّان، ٦٧٥/٢.

(٢) قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٦٨٤ - ٦٨٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦٨٣.

(٤) المرجع السابق، ٦٨٣.

(٥) المرجع السابق، ٦٨٤.

(٦) قال القرافي (ت ٦٨٤هـ) في مثل هذا أنّه مستهجنٌ لغةً وعقلاً. انظر: الاستغناء في الاستثناء، القرافي، ٤١٧.

(٧) انظر: قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٦٨٤.

(٨) انظر: المرجع السابق، ٦٨٥ - ٦٩٤.

المذكورة، وهو المثال الأول: الاستثناء في قوله تعالى: ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى (٣)﴾ [طه] استثناء يبدو من ظاهره أنَّ المستثنى فيه (تذكرة) منقطع عمّا قبل الاستثناء.

وهناك طريقتان أمام المتدبر لفهم النصّ - كما يقول الميداني - وهما:

"إمّا أن يفهم أنَّ لفظ (إلا) للاستدراك مثل لفظ (لكن)، أي: لكن أنزلناه لتبلغه تذكرة لمن يخشى.

وإمّا أن يعتبر ﴿إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى﴾ استثناءً من جملةٍ محذوفةٍ تفسرها الجملة السابقة المذكورة، وهو من قبيل الاستثناء المفرغ، والتقدير: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى. وهذا من قبيل الإيجاز بالحذف^(١) الذي يوجد في المذكور قبله ما يدلُّ عليه."^(٢)

المطلب الثاني: المناقشة:

استدلّ الميداني في فهمه للاستثناء المنقطع بما ذكره النحاة في كتب اللغة^(٣)، وحاول أن يضيف فهماً جديداً لهذا النوع من الاستثناءات.

قسّم النحاة الاستثناء بـ (إلا) إلى تامّ ومفرغ، وينقسم التامّ إلى متّصل، ومنقطع، وقاعدتنا هنا تدور حول نوع الاستثناء المنقطع والغرض البياني منه فقط.

- يعدّ سيبويه (ت ١٨٠هـ) أوّل من أشار إلى أنَّ حدّ الاستثناء المنقطع هو الاختلاف في النوع (نوع المستثنى منه والمستثنى) - وإن لم يذكره بهذا المصطلح - فعقد له باباً بعنوان "هذا باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن" وذلك ضمن كلامه عن الاستثناء، ويقول فيه: "هذا بابٌ يُختار فيه النصب لأنّ الآخر ليس من نوع الأول، وهو لغة أهل الحجاز، وذلك قولك ما فيها أحد إلا حماراً جاءوا به على معنى: ولكن حماراً، وكرهوا أن يدلّوا الآخر من الأول فيصير كأنّه من نوعه، فحُمِلَ على معنى ولكن، وعَمِلَ فيه ما قبله..."^(٤) وذكر القرافي (ت ٦٨٤هـ)^(٥) أنَّ حدّه "عبارة عن أن تحكم على غير جنس ما حكمت عليه أولاً، أو

(١) انظر الصّفحة (٢٠٩).

(٢) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٦٨٥ - ٦٨٦، مع ملاحظة القارئ أنَّ الميداني لم يذهب في تفسيره إلى فهم الاستثناء الوارد في هذه الآية على أنّه من قبيل الاستثناء المنقطع لغرض بلاغي - كما قرّر في قاعدته - وكذلك في جميع أمثله على القاعدة في كتاب "قواعد التدبّر الأمثل". ويشار إلى أنّه لم يخرج معظم المفسرين عن هذا الفهم للاستثناء الوارد في الآية الكريمة: كالتطري ٢٧٠/١٨، والزّخشي ٦٦/٤، وابن عطية في تفسيره: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (د.ب، دار ابن حزم، د.ت)، ١٢٤٥، والقرطبي ١١/١٦٩، وابن عاشور ١٦/١٨٥.

(٣) لم يذكر مصادره، ولم يسمّ العلماء.

(٤) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ٣١٩/٢.

(٥) هو أحمد بن إدريس المشهور بالقراقي الشَّيخ الإمام العالم الفقيه الأصولي المالكي شهاب الدين الصَّنْهَاجِي الأصل، ونسب إلى القرافة ولم يسكنها، توفي سنة ٦٨٤ هـ، ومن كتبه: "الفروق" و"شرح المحصول". انظر: الوافي بالوفيات، الصَّفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م)، ١/٤٦، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمد، (القاهرة، دار التراث، د.ت)، ١/٢٣٦-١٣٩.

بخلاف (نقيض) ما حكمت عليه أولاً^(١).

- أوَّل جمهور النَّحَوِيِّينَ والمتأخرون الاستثناء المنقطع بمعنى "لكن"، وأوَّله الكوفيون - كما يُنسب إليهم - بمعنى "سوى"^(٢)

- وفي دعوة الميداني في هذه القاعدة إلى فهم ما كان ظاهره أنَّ المستثنى منه منقطع الصِّلة عن المستثنى، فإنَّما أن يظهر للمتدبر أنَّ هناك اتصالاً معنوياً يربط بين المستثنى منه والمستثنى وأداة الاستثناء تؤدي فيه معنى الحرف "لكن"، فإنَّ هذا ما درج عليه أغلب المفسرين لفهم الاستثناء المنقطع، وليس بجديد.

وإنَّما أنَّ الاستثناء بهذه الصُّورة يتضمَّن غرضاً بلاغياً لأداء فكرةٍ مرادةٍ، وهو في مضمونه الفكري من قسم الاستثناء المتَّصل، ويُلاحظ هنا أنَّ هذا الفهم للاستثناء المنقطع يعبر عن وجهة نظرٍ بلاغيةٍ يفكر بها الميداني ربَّما لم يسبقه أحدٌ في الإشارة إليها، أي الإشارة إلى الغرض البلاغي من هذا الاستثناء.

- ومن خلال النَّظر في الأمثلة التَّطبيقيَّة التي ذكرها على القاعدة، يُلاحظ أنَّه قد أضاف خياراً ثالثاً إلى الخيارين اللذين أتاحهما للمتدبر للتعامل مع ظاهرة الاستثناء المنقطع، وهو: أنَّه قد تكون "إلا" أداة استثناء من مطويٍّ محذوف، يفسِّره الجملة المذكورة قبله (وهذا يكون في الاستثناء المفرَّغ)، والمثال الأوَّل من أمثلة القاعدة - المعروض سابقاً في بيان القاعدة - يوضِّح ذلك.^(٣)

وقد بيَّن صاحب كتاب "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" أنَّ الاتصال والانقطاع يكونان في الاستثناء المفرَّغ أيضاً.^(٤)

- ولم تتضمَّن أيٌّ من أمثله على القاعدة فهماً لما صورته استثناءً منقطعاً لغرضٍ بيانيٍّ مقصودٍ، واقتصر فهمه لها على أنَّ أداة الاستثناء هي أداة استدراك مثل كلمة (لكن)، أو أنَّه من قبيل الاستثناء المفرَّغ الذي لم يضمِّنه في نصِّ قاعدته في طرق فهم ما ظاهره استثناءً منقطعاً، في حين أنَّه ذكره في ثنايا حديثه عن

(١) الاستغناء في الاستثناء، القراقي، ٣٥٩.

(٢) الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، كاظم إبراهيم كاظم، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م)، ١٨٩.

(٣) ترى الباحثة أنَّ الأولى من ذلك فهم "إلا" بمعنى "لكن" فعندئذٍ لا تحتاج العبارة إلى تأويل، فمن المعلوم أنَّ عدم التَّقدير أولى من التَّقدير.

(٤) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة، (القاهرة، دار الحديث، د.ت)، ١/٣٧٠.

القاعدة، والأمثلة التي ذكرها في القاعدة.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

وجد بعد النظر في غالبية الاستثناءات المنقطعة في السُّور المكيّة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر" أنّ الميدانيّ بعد أن خيّر المتدبرّ في قاعدته بين أمرين لتدبرّ كلّ نصّ يتراءى له من ظاهره أنّ المستثنى فيه منقطع عمّا قبل الاستثناء، قد اختار الأمر الأوّل^(١) (أنّ أداة الاستثناء مثل كلمة "لكن") وهو اختيار جمهور المفسّرين كما أشرت سابقاً وقد ترتّب على هذا الاختيار معانٍ تفسيرية وافق فيها الميدانيّ بقية المفسّرين، كما ستوضّح الأمثلة الآتية.

ولا بد من الإشارة - قبل عرض الأمثلة - إلى تصريح الميدانيّ في تفسيره باختيار هذا الأمر في معظم الحالات، إذ قال في الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣)﴾، "والأولى أن نعتبر (إلا) هنا وفي مواضع أخرى مشابهة، أداة استدراك بمعنى (لكن) عندئذٍ فلا حاجة في العبارة إلى تأويل".^(٢)

الأمثلة الآتية توضّح ذلك:

١ - في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠)﴾ [الليل] رأى الميدانيّ أنّ الاستثناء في هذه الآية هو من قبيل الاستثناء المنقطع، وأنّ "إلا" فيه بمعنى "لكن" الاستدراكية، إذ يُقدّر الكلام كالآتي: "وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجْزَى، لكن يُؤتي ماله ابتغاء وجه ربّه

(١) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيبَنِيَ مِنَ اللَّهِ آخِذٌ وَلَنْ آخِذٌ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)﴾ [الجن]، ٦٢٦/٥-٦٢٧.

وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣)﴾ [طه]، ٣٠/٨-٣١.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)﴾ [الواقعة]، ٤٥٥/٨.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ شِئْنَا لَنذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)﴾ [الإسراء]، ٧٢٣/٩. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)﴾ [يونس]، ٢٣٩/١٠-٢٤٠.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْثُوبٍ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)﴾ [يوسف]، ٧٠/١٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ هُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)﴾ [سبا]، ٩٨/١٢. وقوله تعالى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣)﴾ [الغاشية]، ٢٨٧/١٣.

(٢) معارج التفكير، الميداني، ٣٠/٨.

الأعلى. "(١)

٢- في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٥٧) [الفرقان] تضمّن فهم الميدانيّ أيضاً للاستثناء هنا أنّه من قبيل الاستثناء المنقطع، إذ يقول: "أي: لكن من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً فله أن يقدم للرّسول شيئاً ممّا أذن الله له بقبوله." (٢)

٣- في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) [الانشقاق]، لفظ: (إلا) هنا بمعنى (لكن) كما يقول الميدانيّ (٣).

والمعنى: فبشّرهم بعذابٍ أليمٍ لكن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون.

- أمّا الأمر الثّاني المقترح لفهم الاستثناء المنقطع (أنّ الاستثناء بهذه الصّورة يتضمّن غرضاً بلاغيّاً مقصوداً، لأداء فكرة مُرادّة، وهو في مضمونه الفكريّ من قسم الاستثناء المتّصل)، فلم يطبّقه الميدانيّ في تفسيره، فلم يظهر أثره فيه، لذا بقي كلامه نظريّاً لم يدخل حيّز التّطبيق. وربّما عدل الميداني عن تطبيقه لأنّه قد يستقيم في كلام البشر ولكن لا يستقيم في كلام الله ﷻ.

وفي ضوء ذلك يمكن أن يُستثنى هذا الأمر من القاعدة لفهم الاستثناء المنقطع.

الخلاصة:

من الواضح أنّ الميدانيّ في هذا القاعدة يريد من المتدبّر الالتفات إلى الخصوصيّة البلاغيّة لأسلوب الاستثناء المنقطع، وهو من الأساليب التّحويّة التي تناولتها كتب اللّغة بالدراسة والبحث.

- فقد سلك الميدانيّ في القاعدة الثّامنة والثلاثين "حول ما يُسمّى بالاستثناء المنقطع" مسلك من سبقه من العلماء في فهم الاستثناء المنقطع، ولم يسمّ مصادره في القاعدة أو يذكر أسماء العلماء الذين

(١) معارج التّفكّر، الميداني، ١/٥٠٤، وافق الميداني في هذا الفهم كلاً من: الطّبري ٢٤/٤٧٩، الرّمحشري ٦/٣٨٨، ابن عطية ١٩٨٦،

القرطبي ٢٠/٨٩، ابن عاشور ٣٠/٣٩١.

(٢) معارج التّفكّر، الميداني، ٦/٥٧٤.

(٣) المرجع السّابق، ١٥/١٠٨، وجوّز ابن عاشور أن يكون الاستثناء متّصلاً " إمّا على أنّه استثناء من الضّمير في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق]، جرياً على تأويله بركوب طباق الشّدائد والأحوال يوم القيامة وما هو في معنى ذلك من التّهديد، وإمّا على أنّه استثناء من ضمير الجمع في ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾، والمعنى إلا الذين يؤمنون من الذين هم مشركون الآن. " التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/٢٣١.

الاستثناء قبله، مع أنّه استدلّ بما ذهبوا إليه في كتب اللغة والأصول. وظهر الأثر المعنوي لتطبيقه القاعدة فهم في الاستثناء المنقطع (أنّ أداة الاستثناء مثل كلمة "لَكِنْ") على نحو واسع في تفسيره، وقد ترتّب على هذا الاختيار معانٍ تفسيرية وافق فيها الميدانيّ بقية المفسّرين. أمّا الفهم الآخر للاستثناء المنقطع (أنّه في مضمونه الفكريّ من قسم الاستثناء المتّصل ويتضمّن غرضاً بلاغياً مقصوداً) لم نر أثره وتطبيقه في تفسيره، فبقي كلامه في هذه القاعدة نظريّاً لا يتعدّى إلى حيّز التّطبيق، ويعبّر عن وجهة نظر بلاغية يفكر بها الميدانيّ ربّما لم يسبقه أحدٌ في الإشارة إليها، أي الإشارة إلى الغرض البلاغيّ من هذا الاستثناء.

أمّا الفهم الآخر للاستثناء المنقطع (أنّه في مضمونه الفكريّ من قسم الاستثناء المتّصل ويتضمّن غرضاً بلاغياً مقصوداً) لم نر أثره وتطبيقه في تفسيره، فبقي كلامه في هذه القاعدة نظريّاً لا يتعدّى إلى حيّز التّطبيق، ويعبّر عن وجهة نظر بلاغية يفكر بها الميدانيّ ربّما لم يسبقه أحدٌ في الإشارة إليها، أي الإشارة إلى الغرض البلاغيّ من هذا الاستثناء.

وفي ضوء ذلك يمكن تعديل نصّ قاعدة الميدانيّ في الاستثناء المنقطع على النحو الآتي:
على متدبّر كلام الله ﷻ أن يتفكّر في كلّ نصّ قرآني يشتمل على استثناء يترأى له من ظاهره أنّه استثناء منقطع، إذ إنّ أداة الاستثناء هي أداة استدراك، مثل كلمة (لَكِنْ) والغرض هو الإضراب الانتقاليّ، لإثبات قضية جديدة صلتها بما قبلها صلة المغايرة في الحكم فقط، والحركة الإعرابية ضبط لفظيّ لمثل هذا الاستدراك الوارد بلفظ (إلّا) سواءً نصبنا على لغة الحجازيين، أم رفعنا على لغة بني تميم.

المبحث الثاني: القَسَم في القرآن الكريم:

استعمل العرب القَسَم في كلامهم لأغراضٍ بلاغيّةٍ كثيرةٍ، لاسيّما لتوكيد أخبارهم؛ لذا يعدُّ أسلوب القَسَم من أهمّ أساليب توكيد الكلام بل في مقدّماتها، ونزل القرآن الكريم على معهود العرب وطريقتهم وأساليبهم في الخطاب؛ لذا شغل أسلوب القَسَم حيّزاً واسعاً في القرآن الكريم. وللميدانيّ قاعدةٌ في موضوع القَسَم بعنوان: "حول القَسَم في القرآن الكريم"، وستتمُّ دراستها في المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: القاعدة وبيانها عند الميدانيّ

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكّر ودقائق التدبّر"

عنوان القاعدة: "حول القسم في القرآن الكريم"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

على متدبر كتاب الله ﷻ أن يبحث فيما جاء فيه من أقسام^(٢) من عدة وجوه:

"الوجه الأول: أن يبحث بأناة وتفكير، وسير قرآني ليكتشف المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه،... والمراد من المقسم به والمقسم عليه إذا كان أحدهما أو كلاهما محتملاً لعدة تفسيرات. الوجه الثاني: أن يبحث بأناة وتفكير ليكتشف الغرض من القسم... الوجه الثالث: أن يبحث في النص الذي ورد فيه القسم ليكتشف من هم المقصودون بالخطاب به، هل هم الكافرون؟ أو المؤمنون؟ أو الناس جميعاً؟ أو فئة خاصة من الناس؟. الوجه الرابع: أن ينظر في حال المخاطبين التي اقتضت التأكيد لهم بالقسم. الوجه الخامس: أن ينظر في الحكمة التي اقتضت في بعض الأقسام أن تأتي مسبقة بحرف النفي، مثل: (لا أقسم)."^(٣)

ثانياً: بيان القاعدة:

- ذكر الميداني ثلاثة أمثلة في بيان الوجه الأول، شارحاً فيها المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، يُكتفى بعرض أحدها هنا، وهو القسم الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيْالٍ عَشْرِ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٦٣. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: العشرون.

(٢) أسلوب القسم يقوم على جملتين تؤكد إحداها الأخرى؛ "فالجملتان المؤكدة بما هي جملة القسم، والجملتان المؤكدة هي المقسم عليها"، المفصل في صنعة الإعراب، الزخشري، تحقيق: علي بو ملحم، (مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م)، ٤٨٢، مثاله: أقسم بالله لأفعلن. جملة القسم (أقسم بالله): فعل القسم (أقسم)، حرف القسم (الباء)، المقسم به (الله ﷻ). أما جواب القسم، أو المقسم عليه (لأفعلن). وقسم الزركشي (ت ٧٩٤هـ) القسم إلى نوعين: ١- القسم المظهر: كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الذاريات/٢٣]

٢- القسم المضمّر: على قسمين: قسم دلّ عليه لام القسم، كقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران/١٨٦]، وقسم دلّ عليه المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم/٧١] تقديره: "والله". انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٤٢/٣-٤٣.

(٣) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٦٣-٤٦٤.

الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ (١٤) [الفجر]، إذ بين أن المقسم به في هذه الآيات (الفجر - ليال عشر - الشفع والوتر - والليل إذا يسر)، والمقسم عليه فيها (إن ربك بالمرصاد)، ثم تتبّع أزمنة إهلاك الله ﷻ المهلكين الذين ذكرهم الله في هذه السورة، فرأى أنهم قد أهلكوا في الأوقات التي أقسم الله بها في صدر السورة^(١)، فوضحت له المناسبة جليّة بين المقسم به والمقسم عليه، فالقسم بهذه الأزمنة - كما يقول - هو "كناية عن القسم بالأحداث التي جرت فيها، والقسم بالأحداث هو كناية عن حكمة الله التي قضت بها، وقدرته التي نقّذها، وعلمه الذي أحاط بكل شيء". وكان القسم بهذه الأوقات توطئة لذكر ما فعل الله ﷻ بعادٍ وثمود وفرعون، وكيف صبّ الله ﷻ عليهم سوط عذاب.^(٢) وبهذا وضّح الميداني المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

وختم أمثله على هذا الوجه بالتأكيد على المتدبر بزيادة البحث والتفكير لاكتشاف المناسبة الحكيمة بين المقسم به والمقسم عليه في كل قسم ورد في القرآن الكريم.^(٣)

- وفي بيان الوجه الثاني (أغراض القسم في القرآن): شرح خمسة أغراض للقسم ظهرت له بالتأمل فيما جاء في القرآن المجيد، وهي باختصار:

١ - تأكيد خبر القضية أو أخبار القضايا التي اشتمل عليها المقسم عليه، ويظهر هذا الغرض منفرداً حينما

(١) لقد أهلك الله ﷻ ثمود (قوم صالح عليه السلام) بالصيحة مصبحين أي عند الفجر. وسار بنو إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام، في ليالٍ عشر، انتهت أحداثها بنجاة بني إسرائيل، وإهلاك فرعون وجنوده عند الفجر. وأهلك الله ﷻ عاداً قوم هود عليه السلام، إذ بعث إليهم عند الفجر رجلاً صرصراً عاتية، سخرها عليهم، واستمرت سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، فهي أيام ثمانية هي "شفع" وليال سبع هي "وتر" والليل إذا يسري، يشير إلى تبيت الله ﷻ من يريد إهلاكهم، إذ يجعل ليل الإهلاك يسري بهدوء، حتى إذا كان وقت الفجر فوجئ المقرّر إهلاكهم بما به يهلكون. انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٦٧-٤٧٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٧٠-٤٧١، وذهب الزمخشري إلى أن المقسم عليه محذوف، وتقديره (لنعدّبن الكافرين)، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلى قوله ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾. الكشف، الزمخشري، ٧٥٠/٤، ورجح الرازي ما ذهب إليه الزمخشري، فإنه: "لما لم يتعيّن المقسم عليه ذهب الوهم إلى كلّ مذهب، فكان أدخل في التخويف، فلمّا جاء بعده بيان عذاب الكافرين دلّ على أن المقسم عليه أولاً هو ذلك." مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥١/٣١، أمّا ابن عاشور فقال إنّ المقسم عليه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ (١٤): "وعلى كونها جواب القسم تكون كناية عن تسليط العذاب على المشركين إذ لا يراد من الرصد إلا دفع المعتدي من عدو ونحوه، وهو المقسم عليه وما قبله اعتراضاً تفنّناً في نظم الكلام، إذ قُدم على المقصود بالقسم ما هو استدلال عليه، وتنظير بما سبق من عقاب أمثالهم من الأمم من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦) الخ." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/٣٢٣.

(٣) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٧٢.

لا يذكر في البيان المقسم به، مثل قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾ [التكاثر]

٢- الإشعار بأن المقسم به أمرٌ عظيم، أو ذو صفاتٍ جليّة، أو وظائف مهمّة وذات شأنٍ عظيم، أو غير ذلك، وهذا الغرض يجتمع مع غرض التأكيد في معظم الأحوال، ومن أمثلة ذلك القسم بالملائكة في أول سورة "التازعات" فالغرض منه الإخبار بأن هذا الصنف من الملائكة صنفٌ عظيم، وذو وظائف خطيرة.

٣- التنبيه على ما في المقسم به من أدلة وآيات جليات تدل على عظمة المقسم بها، مثل معظم الأقسام القرآنيّة بالظواهر الكونيّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس]

٤- بيان ارتفاع منزلة المقسم به عند المقسم، ويلحق بهذا إرادة الثناء على المقسم به بأسلوب القسم به، ويظهر هذا الغرض في إقسام الله ﷻ برسوله محمد ﷺ إذ خاطبه بقوله: لَعَمْرُكَ، أي: وحياتك. كما في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر/٧٢]

٥- التّحبيب وتطبيب خاطر، ومثاله: القسم الوارد في سورة (الضحى)، قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)﴾^(١)

- وفي بيان الوجه الثالث (التّفكر في المقصودين بإيراد القسم): أعطى للمتدبر عدداً من الملاحظات في أمثلة القسم في القرآن الكريم من جهة توجيه الخطاب فيه، وهي باختصار:

- ١- حين يكون المقسم به من الظواهر الكونيّة، يكون المقصودون الأوّلون بالخطاب غير المؤمنين.
- ٢- حين يكون المقسم به مثل: "فلا وربك" أو "فوربك" أو "لعمرك" يكون المقصود الأوّل بالخطاب الرّسول ﷺ والمؤمنين من بعده تبعاً له ، وقد يكون فيه تعريض للآخرين.
- ٣- حين يكون المقسم به مثل: (وربّ السّماء والأرض) بذكر اسم "ربّ" مع ذكر بعض الظواهر الكونيّة، يكون المقصودون بالخطاب المؤمنين أولاً، ومعهم غيرهم تبعاً.

٤- جاء القسم بعبارة "فوربك" خطاباً للرّسول ﷺ والمقصود إسماع الكافرين أو المؤمنين بطريق غير مباشر لغرض من الأغراض البيانيّة، ومثاله: في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

(١) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٧٢-٤٧٦.

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴿[النساء] خطاب لرسوله مُحَمَّد ﷺ، والمقصود إسماع المسلمين بطريق غير مباشر، لغرض من الأغراض البيانية، منها التخفيف من وقع مضمون الخطاب الذي يريد إبلاغهم إيَّاه. ^(١)

- وفي الوجه الرابع (النظر في اختلاف الأحوال المقتضية للتأكيد بالقسم أو عدم التأكيد به): فقد تقتضي حال المخاطبين أن يأتي الخبر مقرونًا بالقسم الصريح الواضح لأحد أمرين: الأول: أن يكون من يُوجَّه له القسم بحالة تحتاج إلى تأكيد.

الثاني: أن يكون من يُوجَّه له القسم بحاجة فكرية إلى لفت نظرٍ إلى مواقع الأدلة التي تهديه بلوازمها إلى التصديق بالمضمون الخبري للمقسم عليه، مع كونه بحالة نفسية تحتاج إلى تأكيد.

وقد يكون مضمون الخبر الذي يُراد تأكيده بالقسم تقتضي حاله إيراد القسم؛ لكنَّ حال المقصودين بالخطاب إبان التنزيل تقتضي عدم إيراد القسم لهم؛ إمَّا لأنَّهم لا يدركون ما في القسم من براهين تهديهم بلوازمها إلى التصديق بالمضمون الخبري. وإمَّا لأنَّهم مكذَّبون بما يستحقُّ أن يُقسم به فهم لا يستفيدون من القسم تأكيداً، وقد جاء الحلُّ القرآني العجيب برعاية الاقتضائين معاً، الإيجابي والسلبي، وذلك بإيراد القسم مع تصديره بأداة النفي (لا) وهذا من الأساليب القرآنية المبتكرة. ^(٢)

- وفي بيان الوجه الخامس: (الحكمة من إيراد القسم المنفي في القرآن)

أشار إلى اختلاف أقوال المفسرين في القسم المسبوق بحرف النفي (لا) الوارد في القرآن الكريم ثماني مرَّاتٍ في سبع سورٍ بصيغة (لا أقسم) مسبوقاً بحرف عطفٍ، أو غير مسبوقٍ بحرف عطفٍ.

وبعد سبره للنصوص التي وردت فيها تلك الصيغة رأى أنَّها: "أسلوبٌ بيانيٌّ مبتكرٌ للدلالة على أنَّ الموضوع مع حال المخاطبين يقتضي اقتضائين متعارضين: ١- أحدهما يستدعي البيان فيه القسم المؤكِّد للخبر الذي هو المقسم عليه. ٢- والآخر يستدعي البيان فيه عدم القسم. فكان الحلُّ المبتكر في أساليب البيان القرآنية اختيار أسلوب ذكر لفظ القسم، وذكر المقسم به، تنبيهاً عليه، مع سبقه بأداة النفي." ^(٣)

ولتقريب الفكرة إلى الدَّهن أتى بمثالٍ من الواقع، إذ يقول: "ونلاحظ أنَّ بعض النَّاس حينما يكونون في مواقف من هذا القبيل، يشعرون بشعورين متعارضين، فيعبِّرون عنهما معاً بمثل قول قائلهم: من دون يمين،

(١) انظر: قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٧٦-٤٧٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٧٨-٤٨٠.

(٣) المرجع السابق، ٤٨٠.

أو لا داعي للقسم..."^(١).

ثمّ قام بتحليل النصوص السبعة التي وردت فيها صيغة (لا أقسم) في القرآن الكريم، مبيّناً الحكمة فيها من القسم المسبوق بأداة النفي (لا).^(٢)

وسنعرض منها تحليله للنصّ الثالث، وهو:

في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾ [البلد]

أقسم الله تعالى:

١ - بمكة المكرمة (البلد الحرام) ذات الحرمة عند الله ﷻ (باعتبارها أوّل بيتٍ وضع للناس) وفي نفوس العرب، فهي بهذا الاعتبار تستحقّ أن يقسم الله ﷻ بها لتأكيد قضية من قضايا تكوين الإنسان (وهي أنّه مخلوق في كبد، أي: تعبٍ ومشقةٍ) ولكنّ المقصودين بتوجيه القسم إبان التنزيل وهم الكفار قد استباحوا حرمة فقتلوا وعدّبو المؤمنين، ولم يبق من حرمة هذا البلد في قلوبهم ما يستحقّ أن يقسم الله لهم به من أجله، فهذا مقتضى سلبٍ لصرف النظر عن القسم به.

٢ - بالوالد وما ولد من ظواهر خلق الله العجيبة الدالة على قدرة الله ﷻ ووجوب الإيمان به، فهذا مقتضى إيجابٍ للقسم بها.

ولكنّ المقصودين بهذا الخطاب وهم الكفار المكذّبون للرّسول ﷺ لن ينتفعوا بلفت أنظارهم إلى هذه الظاهرة الرّبّانيّة، وهذا مقتضى سلبٍ للقسم بها.

ومن جهة أخرى قد يأتي في المستقبل من ينتفعون من القسم بها، وهم العلماء المتخصّصون في دراسة الأحياء، لتوجّه أبحاثهم ودراساتهم حتّى يكتشفوا ما فيها من إتقان وإبداع فيصدّقوا بالقرآن وبالرّسول، ويؤمنوا بالله فهذا مقتضى إيجابٍ للقسم بوالد وما ولد.^(٣)

ويُلاحظ ممّا سبق: "أنّه قد اجتمع في البلد الحرام، وفي والد وما ولد، بالنظر إلى واقع حالهما، وواقع حال المقصودين بالخطاب إبان التنزيل، وواقع حال من سيأتي في المستقبل ممن يمكن أن يستفيد من القسم أمران:

١ - المقتضي الإيجابي. ٢ - والمقتضي السلبي.

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٤٨١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٨١-٤٩٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٤٨٥-٤٨٧.

فكان الحلُّ البديع الجامع الذي تُراعى فيه المقتضيات المتعارضات باختيار ذكر (البلد الحرام)، وذكر (ووالد وما ولد) وذكر لفظ (أقسم) مع نفي القسم بأداة النفي (لا).^(١) وهذا كما ظهر للميداني من روائع الأساليب البيانية البديعة المبتكرة.

المطلب الثاني: المناقشة:

- اهتم العلماء والباحثين بدراسة أسلوب القسم الذي يعدُّ من أقدم أساليب اللغة العربية، إذ رافق الإنسان العربي منذ عصورٍ خلت قبل الإسلام، وعبر عن حاجته للتوكيد والقطع بصحة بعض الأمور أو نفي صحتها، حتَّى إنَّه أفردت له كتبٌ مستقلةٌ نحو كتاب "إيمان العرب في الجاهلية"^(٢) وأشار الميداني إلى أنَّ السُّيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" ذكر أنَّ ابن قَيِّم الجوزية (ت ٧٥١هـ)^(٣) أفرد أقسام القرآن بالتصنيف في مجلِّدٍ سمَّاه "التبيان في إيمان القرآن"^(٤)، ولكنَّه لم يشر إلى كتابٍ مهمٍّ معاصرٍ، وهو كتاب "إمعان في أقسام القرآن"^(٥) الذي تكلم مؤلفه حميد الدين الفراهي

(١) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٨٧.

قامت الباحثة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) باستقراء كلِّ مواضع الاستعمال القرآني لهذا الأسلوب في نفي القسم، ومنها نفي القسم بالبلد الحرام ووالد وما ولد، فوجدت: "أنَّه سبحانه ليس في حاجة إلى القسم، وأنَّ نفي الحاجة إلى القسم تأكيدٌ له. ومن مألوف استعمالنا أن نقول: لا أوصيك بفلان، تأكيداً للتوصية. كما نقول: بغير يمين، تأكيداً للثقة التي لا تحتاج معها إلى يمين." التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن، ط٧، (د.ب، دار المعارف، د.ت)، ١/١٦٦.

(٢) مؤلفه البحري المتوفى نحو ٣٥٥ هـ، وهو كتاب مطبوع. الأعلام، الزركلي، ١/٤٨-٤٩ (لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكذا ابن التلم في فهرست).

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، ثمَّ الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قَيِّم الجوزية، ولد عام ٦٩١هـ، وتوفى سنة ٧٥١هـ، من تصانيفه: "إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين" و"مدارج السالكين". انظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ٥/١٧٠-١٧٦ شذرات الذهب، ابن العماد، ٨/٢٨٧.

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السُّيوطي، ٢/٤٠٩، قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٦٣.

كتاب التبيان في أقسام القرآن "كتابٌ صغير الحجم، كبير النفع، فيما وقع في القرآن العزيز من الأيمان والأقسام، والكلام عليها يميناً، وارتباطها بالمقسم عليه، وذكر أجوبة القسم المذكورة والمقدرة، وأسرار هذه الأقسام، فإنَّ لها شأنًا عظيمًا يعرفه الواقف عليه في هذا الكتاب". التبيان في إيمان القرآن، ابن قَيِّم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، (مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ)، ٣. (٥) المقصد الأعظم من تأليفه إزالة الشبهات عن أقسام القرآن الكريم، ويُضاف إليه مقاصد أخرى دعت المؤلف إلى البحث عن تاريخ القسم، وحاجة الناس إليه قديماً وحديثاً وطرقه المتنوعة، وبيان معاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي، ومفاهيمه المتشعبة الثلاثة من الإكرام والتعديس والاستدلال المجرد عن التعظيم، أمَّا تأويل آيات القسم على تفاصيلها فمذكور في مواضعها من تفسيره "نظام القرآن وتأويل =

(ت ١٩٣٠م)^(١) عن القسم من جهة كليّة، وكذلك لم يشر إلى أيّة جهودٍ سابقةٍ في دراسة القسم في القرآن الكريم، فهو يعتقد أنّه تفرّد بنظرته الشاملة في الأقسام القرآنيّة، إذ يقول: "... لكنني لم أجد فيما اطّلت عليه ممّا كتبه السّابقون هذه النّظرة الشاملة التي فتح الله بها عليّ، نتيجة السّبر للقسم في القرآن، والتأمّل في الأقسام القرآنيّة بأناة وتعمّق، والحمد لله على ما فتح به عليّ".^(٢) وإن كان للميدانيّ جهدٌ مهمٌ بهذه النّظرة الشاملة حول القسم في القرآن الكريم، إذ جمع الأمور التي تتعلّق بالقسم في قاعدة من قواعد التدبّر، لكن هذا لا يلغي عمل العلماء والباحثين في القسم القرآنيّ قبل وبعد الميدانيّ، وستتمّ الإشارة إلى جهودهم في الكلام الآتي.

الوجه الأوّل: (المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه)

صرّح أحد الباحثين^(٣) أنّ الرّازي (ت ٦٠٦هـ) كان أوّل من أشار صراحةً إلى وجود المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، ومثّل لذلك من تفسير الرّازي، الذي يقول: "في السّورة التي أقسم الله فيها لإثبات الوحدانيّة، أقسم في أوّل الأمر بالسّكانات حيث قال: ﴿وَالصّٰفّٰتِ﴾ [الصّٰفّٰتِ/١]، وفي السّور الأربع الباقية أقسم بالمتحرّكات، فقال: ﴿وَالذّٰرِيّٰتِ﴾ [الذّٰرِيّٰتِ/١]، وقال: ﴿وَالْمُرْسَلٰتِ﴾ [المرسلات/١]، وقال: ﴿وَالنّٰزِعٰتِ﴾ [النّٰزِعٰتِ/١] ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَالسّٰبِحٰتِ﴾ [النّٰزِعٰتِ/٣] ﴿فَالسّٰبِقٰتِ﴾ [النّٰزِعٰتِ/٤]، وقال: ﴿وَالْعٰدِيّٰتِ﴾ [العاديّٰتِ/١]، وذلك لأنّ الحشر فيه جمعٌ وتفرّقٌ، وذلك بالحركة أليق، أو أن نقول في جميع السّور الأربع أقسم بالريّاح على ما بين، وهي التي تجمع وتفرق، فالقادر على تأليف السّحاب المتفرّق بالريّاح الدّارية والمرسلة، قادرٌ على تأليف الأجزاء المتفرّقة بطريقٍ من الطّرق التي يختارها بمشيئته تعالى".^(٤)

وذكر حميد الدّين الفراهي أنّ ابن قيّم الجوزيّة "فسّر أكثر آيات القسم على طريق يظهر به دلالة المقسم به

= الفرقان بالفرقان" انظر، إمعان في أقسام القرآن، حميد الدين الفراهي، اعتنى به محمد سميع مفتي، (لا يوجد بيانات نشر)، ٣، ١٣، ٧٢.

(١) هو حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي الهندي، ولد عام ١٨٦٤م، وكان أتمّ ذجاً مشرفاً للعالم المسلم، الجامع بين التبحر في العلوم العربيّة والدينيّة، والاطلاع الواسع على العلوم العصريّة والطّبيعيّة، وتوفّي رحمه الله سنة ١٩٣٠م، وقاربت مصنّفاته الخمسين عدداً، منها: "نظام القرآن"، و"مفردات القرآن"، و"دلائل النظام". انظر: <https://archive.islamonline.net/?p=5777>

(٢) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٤٦٣.

(٣) حسين نصّار، القسم في القرآن الكريم، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينيّة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ١٠٩.

(٤) مفاتيح الغيب، الرّازي، ١٦٨/٢٨.

على المقسم عليه.^(١) وذلك لما بين المقسم به والمقسم عليه من توافقٍ عجيبٍ غير أنَّه قد يخفى على غير ذي العقل الذكي، والنظر الشفاف، والحسّ الدقيق، الذي يحكم على الأشياء بادئ الرأي من غير روية وتفكير.^(٢)

- وفي الوجه الثاني: "الغرض من القسم".
- اتفق جميع علماء اللغة على أنَّ الغرض الأساسي من القسم: تأكيد الكلام وتقويته^(٣)، ولم تخلُ كتب علوم القرآن والتفسير من الحديث عن أغراض أخرى للقسم في القرآن الكريم غير غرض التأكيد، فتكلم صاحب كتاب "القرآن ونصوصه" عن الدور البلاغي لأقسام القرآن، نذكر منها هنا باختصار:
- القسم يُهم على الخصم طريق الإنكار.
- إيجاز هذا الأسلوب للاستدلال.
- إنَّ أسلوب القسم يعطي أوائل السور من نضرة بهجتها ورونق ديباجتها.
- والواقع أنَّ هذه الأقسام ساهمت في التصوير وتوشية مطالع السور بألوانٍ كثيرة، ولعلَّ القسم من أصلح أساليب الكلام للتصوير.^(٤)
- ومن النتائج المهمة التي وصل إليها أحد الباحثين، أنَّ: "القسم جاء في القرآن الكريم مؤكِّداً للمقسم عليه في كثيرٍ من مواضعه، بل إنَّ الغرض لا يكاد يتخلَّف في كلِّ موضع، ولكنَّه قد يُصحب في بعض المواضع بمعانٍ أخرى سياقية، فقد يُراد به التسلية، أو الاحتفاء والاهتمام بالقضية المقسم عليها، كالشعر، والغضب، والفرح...، ولا يوصف الأسلوب المعبر عن هذه المعاني بالخروج عن غرضه الأصلي وهو التأكيد، لأنَّ هذه المعاني تتعدَّد وتنوَّع بتعدُّد السياقات وتنوُّعها، وهي ممَّا لا يمكن حصره."^(٥)
- وفي الأقسام التي ذكرها الميداني في الوجه الخامس (الحكمة من إيراد القسم المنفي في القرآن)

(١) إمعان في أقسام القرآن، حميد الدين الفراهي، ١٢.

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبه، ط٢، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ٢٤٦.

(٣) انظر، الكتاب، سيبويه، ١٠٤/٣، معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ط٢، (القاهرة، شركة العاتك، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ١٣٥/٤.

(٤) انظر: القرآن ونصوصه، عدنان زرزور، (مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ٣١٧-٣١٨.

(٥) أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في البلاغة والتقد، إعداد الباحث علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، بإشراف الأستاذ الدكتور فتحي عبد القادر فريد، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٥٣٤/٢.

يُلحظ من خلال دراستها أنَّ اجتماع الاقتضاءات المتعارضة فيها لا يقتصر فقط على أحوال المخاطبين كما جاء في شرح الميداني، عندما قال: "الموضوع مع حال المخاطبين يقتضي اقتضاءين متعارضين..."^(١) بل يُضاف إليها واقع حال المقسم به.

فمثلاً في النصِّ الأوَّل من النُّصوص التي عرضها الميداني في القاعدة، من قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)﴾ [التكوير]، واقع حال الظواهر العظيمة في خلق الله ﷻ أنَّها تستحقُّ أن يقسم بها، ويفيد المخاطبين في التسليم بالمضمون الخبري، فهذا مقتضى للقسم بها، وواقع حال المقصودين بالخطاب إبان التنزيل، مقتضى لعدم القسم بها، وواقع حال من سيأتي في المستقبل (الباحثين العلميين الذين يدرسون تلك الظواهر) مقتضى للقسم بها.

فاجتمع من مختلف الأحوال المقتضي الإيجابي (القسم بها) والمقتضي السلبي (عدم القسم بها)، فكان الحلُّ البيانيُّ البديع الجامع الذي تُراعى فيه المقتضيات المتعارضات باختيار ذكر الظواهر التي يراد القسم بها، وذكر لفظ القسم، مع نفي القسم بأداة النفي (لا).^(٢)

فالميدانيُّ في هذه القاعدة كان له رأي خاص في الحكمة من إيراد القسم المنفي في القرآن مختلف عن باقي المفسرين أو الباحثين الذين تنوعت آراؤهم وتفسيراتهم في دلالة "لا أقسم".^(٣)

- ومَّا يلفت النظر أنَّ بعض أقسام القرآن الكريم، مثل القسم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣)﴾ [الطارق]، لم يأت القسم فيها بذكر فعل القسم مصدراً

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٨١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٨١-٤٨٣.

(٣) تنوعت أقوال العلماء في (لا) على عدَّة أقوال: ١- زائدة، إمَّا لتوكيد القسم، أو لتوكيد النفي الذي يمكن أن يقدر عليه الجواب. ٢- نافية لكلام قد تقدَّم، والقسم مستأنف بعدها، أو نافية تنفي الفعل (أقسم).

٣- نافية، ولكنها ليست نافية للقسم، بل مؤكدة له، وأنَّ النفي في هذه المواضع إمَّا أن يكون لتعظيم المقسم به ومن ثمَّ تعظيم المقسم عليه وهو الوجه الأول، وإمَّا أن يكون لبيان أنَّه في غنى عن القسم لثبوته وظهوره وهو الوجه الثاني، وإمَّا أن يكون المراد من هذا النفي نفي حاجة الخالق سبحانه إلى أن يقسم. ٤- لتنبية المخاطب إلى الكلام المفتوح بها على نحو ما يكون في (ألا) الاستفتاحية.

٥- لام أشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف فصارت (لا). للاطلاع على تفصيل هذه الأقوال الواردة في دلالة "لا أقسم" وتعليقاتها ومن القائل به يمكن الرجوع إلى بحث أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، علي الحارثي، ١١٣/١-١٥١.

أو الفصل الرابع (الأقسام المسبوقة بحرف النفي)، القسم في اللغة والقرآن، محمد مختار السلاامي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م)، ١٦١-١٧٧.

بأداة التّفي (لا)، لكن اجتمع فيه المقتضيات المتعارضات (الإيجابية والسلبية)، فمن مقتضيات إيراد القسم هنا: أنّ حقيقة هذه الظواهر الكونية (رجع السماء وتصدّع الأرض) تستحقّ أن يُقسم بها. وقد يأتي باحثون علميون يدرسون هذه الظواهر، ويكتشفون ما فيها من آيات دالة على قدرة الخالق وعظيم صنعه. ومن مقتضيات عدم إيراد القسم: المقصودون بالخطاب في هذا النصّ لا يستفيدون من القسم تأكيداً، إذ هم منكرون للحساب والجزاء وفصل القضاء، كما أنّهم لم يصل علمهم لمعرفة ما في هذه الظواهر من عظمة دالة على صفات الرب الخالق سبحانه وتعالى. فإذا سلّمنا بما قاله الميداني، فليس هناك حكمة من هذا القسم، لأنّه لم يصدر بـ (لا أقسم)، فلا مراعاة للمقتضيات المتعارضات هنا.

- ويشار هنا إلى أنّ الميدانيّ في قاعدة سابقة^(١) قد ذكر ما يتعلّق بالقسم من حذف جملة القسم، أو جواب القسم للإيجاز أخذاً من كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعراب"^(٢) ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١)﴾ [المل]، أي: أقسم بالله لأعذّبَنَّهُ عذاباً شديداً أو لأذبحنّه، فحُذِفَ هنا جملة القسم للإيجاز.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)﴾ [النّازعات]، أي: لتبعثنّ ولتحاسبنّ، فحُذِفَ هنا جواب القسم للإيجاز.^(٣) ولو أنّ الميدانيّ ضمّ إلى الوجوه الخمسة المقترحة للبحث في القسم دراسة القضايا البلاغيّة الأسلوبية الواردة في سياق القسم القرآنيّ لكانت نظرته أشمل وأعمق وأدقّ تعبيراً. ومن تلك القضايا: الحذف والذكر في القسم القرآنيّ، والتّقديم والتّأخير في القسم القرآنيّ، والتّعريف والتّنكير في سياق القسم القرآنيّ، والفصل والوصل في سياق القسم القرآنيّ، وكذا الفنون البديعيّة في سياق القسم القرآنيّ، والفاصلة القرآنيّة وأثر الجانب الصّوتيّ في القسم القرآنيّ.^(٤)

(١) القاعدة الرابعة عشرة "حول اقتضاءات النصّ ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حُذِفَ للإيجاز والتّضمينات التي يضمنها"، قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٢٣٩.

(٢) كتاب في النّحو للشيخ جمال الدّين أبي محمّد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النّحوي المتوفّي سنة ٧٦١هـ، (مطبوع)، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، (بيروت، دار إحياء التّراث العربي، د.ت)، ١٧٥١/٢-١٧٥٢.

(٣) انظر: قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٢٥٨.

(٤) قام أحد الباحثين بدراسة تفصيليّة لتلك القضايا وتبسيط الضّوء عليها مع أمثلة موضّحة، انظر: أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة نحويّة أسلوبية، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة من قبل إيلي كرم منحه، بإشراف الدّكتور عبد البديع التّيرباني=

- وأثناء شرحه الوجوه التي يُبحث من خلالها القسم في القرآن الكريم، عرض بعض الأمثلة لتوضيح كل وجه، وربما كان الأولى به تقديم أمثلة أخرى درسَ فيها القسم من أكثر من وجهٍ معاً؛ لما في ذلك من فائدة توضيحية للمتدبر.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

درس الميداني ما جاء من القسم في القرآن الكريم في تفسيره وفق وجوه عدة ذكرها في هذه القاعدة^(١)، فاتضح بذلك الأثر البلاغي لهذا الأسلوب - الذي يبين إحدى طرق القرآن الكريم في الإقناع والتأكيد والتأثير بالمخاطب - في تفسيره، ووفق في ذلك.

ومن جهة أخرى أتى بمعنى تفسيري جديد - تفرّد به عن باقي المفسرين - عندما تدبر الآيات التي ورد فيها القسم منفياً، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾ [الطارق]، بعد أن حدّد الميداني جملة القسم التي تتألف من المقسم به (السَّمَاءِ والطَّارِقِ) وحرف القسم (الواو) وفعل القسم (محذوف وتقديره أقسم أو أحلف) ذكر الغرض من القسم وهو الإشعار بأنّ المقسم به أمرٌ عظيمٌ كما أنّه آيةٌ من آيات الله الدلالات على عظيم قدرته ودقّة صنعته، ويضيف لذلك أن محيىء القسم هنا لتأكيد المخبر عنه، إذ يقول: "... فمن الحكمة أن يُقسم الله وَجَلَّ بِهَا لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ دَلَالَاتٍ عَلَى عَظَمَةِ الرَّبِّ الْخَالِقِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ.

= جامعة البعث، سوريا، ٢٠١٢م، ١٣٢-١٩٨، ووقف أحد الباحثين على عدد منها في دراسته للقسم في القرآن الكريم، ومنها: التكرار التمثيل والتصوير، اللفظ والتنبيه، مؤكّدات الجواب. أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، علي الحارثي، ٥٣٣/٢-٥٣٤.

(١) انظر مثلاً: قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحدى الْكُبرى (٣٥) نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [المدثر]، معارج التفكير، الميداني، ١٢٣/١-١٢٥.

وقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَحْنُونٍ (٢)﴾ [القلم]، ٢٠٨/١-٢١٢.

وقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشُّعْرِ وَالْوُثْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾ [الفجر]، ٥١٨/١-٥٣٠. وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)﴾ [الضحى]، ٥٦٠/١-٥٦٤.

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ [العصر]، ٦٠٧/١-٦١١. وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦)﴾ [التكاثر]،

٦٧٩/١-٦٨٠. وقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)﴾ [القيامة]، ٤٦٦/٢-٤٧٠.

وقد جيءَ بهذا القسم لتأكيد خبرٍ عن بعض تديراته الصَّغيرة الهَيِّنة بالنَّسبة إلى خلقه السَّماء والنَّجوم التي لا تستطيع الخلائق حصرها، ولا إدراك أبعادها، وإلى تديره حركاتها ومسیراتها وتأثيراتها في هذا الكون العظيم.^(١) أمَّا المقسم عليه فهو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، أي أنه كما يقول الميداني: "ما من نفسٍ خلقها الله إلَّا جعل عليها حافظاً يحفظ ما يصدر عنها من أقوال وأعمال وحركاتٍ نفسيَّة وفكریَّة وقلبيَّة ونيَّات."^(٢)

ثمَّ يتبع بحثه في القسم الوارد في هذه الآيات ببيان المناسبة بين المقسم عليه والمقسم به وهي التشبيه، إذ يُشَبَّه العلم الربانيُّ الذي لا يعزبُ عنه مثقال ذرَّةٍ في السَّماوات ولا في الأرض، بالسَّماء المحيطة بالأرض، وتُشَبَّه الرِّقباء من الملائكة بالنَّجوم الثَّواب.^(٣)

وفي الملحق الأوَّل في هذه السُّورة (مستخرجات بلاغيَّة من السُّورة) أشار الميدانيُّ إلى المقصودين من القسم في الآيات وهم الكافرون والشَّاكُّون بحقائق يوم الدِّين وما يقتضيه ذلك اليوم من مُراقبةٍ وتسجيلٍ غيبيَّين في الحياة الدُّنيا.^(٤) وبذلك نجد الميدانيَّ التزم بالبحث في القسم الوارد في هذه الآيات حسب ما قاله في قاعدته.^(٥)

٢- في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)﴾ [القيامة]، يبيِّن الميداني الحكمة التي اقتضت مجيء القسم مسبقاً بحرف النفي (لا)، فيوم القيامة يوم عظيم جداً يستحق أن يقسم الله به، لكنَّه أمر غيبي لا يُدرك عظُمته منكر البعث فلا يستفيد هؤلاء من القسم به.

= وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)﴾ [التين] ، ٤٠٥/٢-٤٠٦.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾ [الأعراف] ، ٢٦٨/٤.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾ [الأعراف] ، ٣١٨/٤.

(١) معارج التَّفَكُّر، الميداني، ٢٥٨/٣.

(٢) المرجع السَّابِق، ٢٥٨/٣.

(٣) انظر: المرجع السَّابِق، ٢٦١/٣.

(٤) انظر: المرجع السَّابِق، ٢٨٦/٣.

(٥) عند مقارنة عمل الميداني هنا مع ما قام به بعض المفسرين في تفاسيرهم: كالطَّبْرِي ٤٩٩/٧، والزَّخَشْرِي ٣٥٢/٦، والقرطبي ٢٠١/٢٢-٢٠٤، والآلوسي ٩٥/٣٠-٩٦، وابن عاشور ٢٥٨/٣٠-٢٦١، نجدهم غالباً ما اكتفوا بذكر أركان القسم، والغرض منه أو المقصودين بالقسم.

وكذا النفس اللّوامة في إيجادها داخل الإنسان أمر عجيب يستحق أن يقسم الله به، لكنّ هذه النفس اللّوامة فطرة ضامرة هزيلة داخل الإنسان منكر البعث والقسم بها لا يقدم لهؤلاء المنكرين تأكيداً على أن البعث حق وأنّ قدرة الله عليه من المبادئ التي يجب الإيمان بها بداهة.

إذاً: اجتمع من مختلف الأحوال والاعتبارات المقتضي الإيجابي، والسّلي للقسم وعدم القسم بيوم القيامة والنفس اللّوامة، فالجانب الذي اقتضى القسم روعي حاله بذكر القسم والمقسم به، والجانب الذي اقتضى عدم الحاجة إلى القسم روعي حاله بنفي القسم بأداة النفي (لا)، وهذا أسلوب بياني بديع مبتكر، تمّ من خلاله مراعاة اقتضائين متعارضين، بما يتطلبه الموضوع مع حال المخاطب.^(١)

وبهذا يتّضح لنا مدى فاعليّة نظرة الميدانيّ للقسم في القرآن الكريم، وقدرتها على تأويل أقسام القرآن العديدة بطريقة تحمل شيئاً من الأصالة والجدّة، وإن كان فيما ذكر هنا تكلف كما سبق الإشارة إلى ذلك.

- ولم يظهر الميدانيّ - أحياناً - المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في بعض الأقسام الصّريحة^(٢)، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)﴾ [الحاقة]، نجد الميدانيّ لم يبيّن المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.^(٣)

(١) معارج التفكير، الميداني، ٤٦٧/١ - ٤٦٨، وبالرجوع إلى ما قاله المفسرين عن القسم الوارد في هذه الآيات، كالطبري ٤٠٩/٧، والزخشي ٢٦٦/٦، والقرطبي ٤٠٤-٤٠٧، والآلوسي ١٣٥/٢٩-١٣٦، وابن عاشور ٣٣٨/٢٩، نجد الميداني قد تفرّد برأيه هذا.

(٢) من أمثلة ذلك، انظر: معارج التفكير، الميداني، قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَسِ (١٦)﴾ [التكوير]، ٤١٩/١ - ٤٢٠، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قَتِيلَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)﴾ [البروج]، ٣٥٢/٢ - ٣٥٨.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاها (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس]، ٣٠٨/٢ - ٣١٩-٣٢٠، وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ [الانشقاق]، ١٠٣/١٥ - ١٠٥.

(٣) المرجع السابق، ٦٦٥-٦٦٦ ويشار هنا إلى أنّ الميداني بيّن المناسبة في هذه الآيات من سورة الحاقة في كتابه "قواعد التدبر الأمثل"، ٤٩٤، ومثله أيضاً: القسم الوارد في سورة المعارج ٦٩٩/١٤، فقد بيّن المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، انظر: المرجع السابق، ٤٩٧.

الخلاصة:

- قدّم الميدانيّ في قاعدته العشرين "حول القسّم في القرآن الكريم" نظريته الكليّة لدراسة الأقسام الإلهيّة من جوانب أو وجوه بلاغيّة عدّة في القرآن الكريم موافقاً من سبقه من العلماء، وقد تفرّد بوجهة نظره فيما قاله في الحكمة من القسّم المنفيّ عن غيره.

ويمكن القول أيضاً إنّ الميدانيّ تميّز بضمّ تلك الجزئيات المتفرّقة في أسلوب القسّم - التي تكلم عن معظمها من سبقه - في قاعدة كليّة، هذا ما لم يقم به معظم من اشتغل في قواعد وأصول التفسير من قبل.

كما درس ما جاء من القسّم في القرآن الكريم، في تفسيره وفق وجوه عدّة ذكرها في هذه القاعدة، مع ملاحظة أنّه لم يضمّ تلك الجزئيات في مكان واحد من تفسيره، فاستكمل دراسة القسّم أحياناً في المستخرجات البلاغيّة للسورة؛ فاتضح بذلك الأثر البلاغيّ لهذا الأسلوب - الذي يبيّن إحدى طرق القرآن الكريم في الإقناع والتأكيد والتأثير بالمخاطب - في تفسيره.

- ولم يظهر - أحياناً - المناسبة بين المقسّم به والمقسّم عليه في بعض الأقسام الصريحة.

المبحث الثالث: مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر:

في القرآن الكريم آياتٌ لا يتَّضح معناها إلَّا من خلال الإعراب، وعندما يخالف الإعراب مقتضى الظاهر لا بدَّ من معنى مقصودٍ يُستفاد من تلك المخالفة لأداء غرضٍ ما، هذا ما يحاول الميدانيُّ قوله في المقولة الثانية من القاعدة السادسة والعشرين: "حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربيَّة ومفاهيم الصَّيغ الصَّرْفِيَّة، ولزوم البحث عن سرِّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر" والتي ستتمُّ دراستها في المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل: القاعدة وبيانها عند الميدانيِّ

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر"

عنوان القاعدة: "حول لزوم البحث عن سرّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

"قد يأتي في النصّ القرآني ما يخالف إعرابه"^(٢) مقتضى الظاهر، ويقع النُّحاة في إشكالية توجيهه العربيّ، ومقتضى الحكمة الربّانية العامّة يدعونا للتأمّل في الحكمة الخاصّة التي اقتضت مخالفة الإعراب في النصّ لمقتضى الظاهر. ومهما تيسّر لنا البحث للتوصّل إلى حكمة تتّصل بغرض من أغراض الدّلالة في تأدية معنى من المعاني كان ذلك هو المرجّح، ولا ينبغي قصر الأمر على مجرد توجيهه لفظيّ تسمح به قواعد اللّغة العربيّة."^(٣)

ثانياً: بيان القاعدة:

عرض الميدانيّ المثال الموضّح الآتي:

- في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة/١٧٧]، جاءت كلمة ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ منصوبةً مخالفةً في إعرابها مقتضى الظاهر، ولم تأت مرفوعةً مع أنّها معطوفة على مرفوعاتٍ قبلها.

وبعد نظر الميدانيّ في الأعمال الإسلامية المذكورة في الآية، وجد أنّ بعضها يدخل في مرتبة التّقوى باعتبارها شرطاً للارتقاء إلى مرتبة البرّ، وهي: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين، وأداء ما فرض الله وعلّج عليه في ماله من نفقات لذوي القربى واليتامى والمساكين، وإقام الصلاة وإيتاء الزّكاة، والوفاء بالعهد. وبعضها يدخل في مرتبة البرّ الزائد على مرتبة التّقوى، فالصّبر في البأساء والضراء وحين البأس أمرٌ غير مفروضٍ على المؤمن فرض إلزام يعاقب على تركه فهو من مرتبة البرّ حتماً.^(٤)

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٣. وهي المقولة الثانية من القاعدة السادسة والعشرين.

(٢) انظر تعريف الإعراب في الصفحة التالية.

(٣) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥٥٥، وذهب الزّخشي إلى النصب على الاختصاص والمدح، وإظهاراً لفضل الصّبر في الشّدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال. انظر: الكشف، الزّخشي، ٢٤٥/١.

"فاقتضى التفريق بين الأعمال التي هي من مرتبة التقوى، والعمل الذي هو من مرتبة البرّ، نصب "الصّابرين" على تقدير فعل أمدح، أي: وأمدح الصّابرين الذين ارتقوا بصبرهم إلى مرتبة البرّ، ودخلوا في درجات سلّمها، ومثل هذا المدح يستلزم الوعد بزيادة الأجر ممّا يخصّ الأبرار." (١)

المطلب الثاني: المناقشة:

سنبيّن أولاً المقصود بمصطلح الإعراب:

- الإعراب لغة: مصدر أعرب، يقال أعرب عنه لسانه، وعرب أي أبان وأفصح، وأعرب كلامه، إذا لم يلحن في الإعراب، وأعرب بحجّته، أي: أفصح بها. (٢) وسمّي الإعراب إعراباً "لتبيينه وإيضاحه". (٣) إذا: الإعراب يأتي بمعنى البيان والإيضاح والإفصاح. وأما الإعراب اصطلاحاً فله تعريفات عدّة منها:

- تعريف ابن جيّ (ت ٣٩٢هـ) (٤) بأنّه: "الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول." (٥) إذاً يلحظ في الإعراب فعل المعرب، ويلحظ فيه الآثار اللفظيّة التي تلحق الكلمة، وتكشف عن المعاني الإعرابيّة، ويقصد بهذه المعاني كون الكلمة فاعلاً أو مفعولاً به أو نحو ذلك.

- تعريف أبي البقاء العكبريّ (ت ٦١٦هـ) (٦) بأنّه: "اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظاً وتقديراً." (٧)

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٥.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللّغة، ابن فارس، (باب العين والراء وما يثلاثهما) ٢٩٩/٤، لسان العرب، ابن منظور، مادة (عرب) ٥٨٧/١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (عرب) ٥٨٧/١.

(٤) هو عثمان بن جيّ الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو، ولد بالموصل قبل الثلاثمائة وتوفيّ سنة ٣٩٢هـ ببغداد، ومن تصانيفه في النحو: "الخصائص"، و "سرّ الصناعة" انظر: وفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٢٤٦/٣، شذرات الذهب، ابن العماد، ٤٩٤/٤.

(٥) الخصائص، ابن جيّ، تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت، عالم الكتب، د.ت)، ٣٥/١.

(٦) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العكبري البغدادي الضّرير التحوي الحنبلي، عالم بالأدب واللّغة والفرائض والحساب. أصله من عكبرا (بلدة على دجلة)، ومولده ببغداد عام ٥٣٨هـ، ووفاته فيها سنة ٦١٦هـ، ومن كتبه: "إعراب القرآن" و "شرح ديوان المتنبي". انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٣٨/٢-٣٩، وفيات الأعيان، ابن خلّكان، ١٠٠/٣.

(٧) اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، تحقيق: عبد الإله التّبهان، (دمشق، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٥٢/١.

- تعريف مجمع اللغة العربية: "الإعراب هو تغييرٌ يلحق أواخر الكلمات العربية من رفعٍ ونصبٍ وجَرٍّ وجزمٍ على ما هو مبينٌ في قواعد النحو." (١)

فالإعراب بهذا المفهوم في هذين التعريفين أمرٌ معنويٌّ، والحركات وما ينوب عنها دالةٌ عليه، حيث "إنَّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلةً ومفعولةً، ومضافةً، ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلةً على هذه المعاني بل كانت مشتركةً، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني." (٢)

- ومن فوائد الإعراب معرفة المعنى لأنَّه يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين. (٣)

- وفي تفسير القرآن الكريم فإنَّه يترتب على الحركة الإعرابية للكلمات القرآنية معانٍ تفسيريةً، كما هو معلوم عند المفسرين.

فالإعراب من أدوات المفسر لا يُستغنى عنه، ولا يُفسر بدونه "فإن كان اختلافه موجباً لاختلاف حكمه وتغيير تأويله، لزم العلم به في حق المفسر... ليتوصل المفسر إلى معرفة حكمه." (٤)

وجعل بعض العلماء من إعراب القرآن علماً، وعدَّوه من فروع علم التفسير، لا النحو. (٥)

- وفي هذه القاعدة قد توسم كلمة بعلامة إعراب تبدو مخالفة للمشهور من القواعد النحوية، وهذه الظاهرة موجودة في القرآن الكريم على قلتها (٦)، إذ استرعت انتباه أعداء القرآن فاستغلَّوها للطعن بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأثاروا الشبهات حوله، ومن تلك الشبهات التي أثاروها: قولهم: كيف اعتمدتم المصحف، وفيه من الخطأ الظاهر واللحن والاختلاط ما لا يكاد يخفى على من له علم بالعربية؟ ومثَّلوا لذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة/١٧٧]، والظاهر (والصَّابِرُونَ).

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ٥٩١/٢.

(٢) الإيضاح في علل النحو، أبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، (دار العروبة، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)، ٦٩ - ٧٠.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٨/٢.

(٤) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ٣٨/١.

(٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ١٢١/١.

(٦) حتَّى أن الميداني عبّر عن هذه الظاهرة بـ (قد)، و(قد) إذا دخلت على المضارع غالباً - كما في هذه القاعدة - فإنَّها تفيد التقليل. انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤٦٧/١، ومن الأمثلة القليلة جداً في السور المدنية، قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً (١٦٢)﴾ [النساء] لفظ (المُقيمِينَ) خالف المعطوف عليه (الرَّاْسِخُونَ) بالإعراب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

فردّ عليهم كثير من العلماء، ومنهم أبو شهبه^(١) إذ يقول: "إنّ هذه مزاعم باطلة منشؤها الجهل بلغات العرب ومذاهبهم في الخطاب، وأساليبهم في البيان، ... وأمّا قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ فهو منصوب على المدح؛ يعني وأمدح الصّابرين، وإمّا غاير في الأسلوب، ولم يأت على نسق ما سبقه، تبياناً لفضيلة الصّبر، وبيان منزلته من البرّ، فكأنّ الله سبحانه يبيّن لنا أنّه وإن جاء في الذكر آخرّاً فهو بمكانٍ من الفضيلة والمثوبة الحسنة، وقد قدّمت عن أئمة اللّغة والنحو ما للعرب من التّفنّ في النّصب على المدح، وغير خفيّ ما لتغير الأسلوب، والتّفنّ في الخطاب من أثرٍ جليلٍ من الناحية النّفسيّة، لأنّه يجذب الانتباه، ويوقظ الشّعور، ويحمل العقول على التّساؤل والبحث، فتتمكّن المعاني في النّفس فضل تمكّن؛ فله درّ التّنزيل، فكم له من أسرار ولطائف." (٢)

- وهكذا فإنّ علماء المسلمين كأبي شهبه - كما رأينا في ردّه على مثل تلك الشّبّهات - وغيره من العلماء وجدوا لهذه الظّاهرة تأويلاً نحوياً يوافق قاعدةً من قواعد النّحو، وأشار بعضهم إلى تأديتها غرضاً بلاغيّاً. فقد ذكرها سيبويه (ت ١٨٠هـ) في باب "ما ينتصب على التّعظيم والمدح" (٣)، وعلل الشّيوطي (ت ٩١١هـ) حسن المخالفة في الإعراب بأنّه يوافق ما يقتضيه المقام، بقوله: "قطع النّعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها، قال الفارسي^(٤): إذا ذكرت صفاتٍ في معرض المدح أو الذمّ فالأحسن أن يخالف في إعرابها؛ لأنّ

= هَادُوا وَالصَّابِتُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) [المائدة] لفظ (الصَّابِتُونَ) معطوفة على منصوب اسم إنّ فجاءت مرفوعة فخالفت بذلك القاعدة النّحويّة.

(١) هو محمّد محمّد أبو شهبه الشّيخ المصري الفاضل والعلامة العامل أستاذ السنّة وناشرها ولد عام ١٩١٤م، عني بالتأليف في القرآن وعلومه، والسنّة النّبويّة المشرفة وعلومها والفقه والتّشريع والسيرة والدّفاع عنها ضدّ المبشّرين، والمستشرقين وأتباعهم، وألف في ذلك كتباً كثيرة. وتوفيّ رحمه الله سنة ١٩٨٣م، من مؤلّفاته: "المدخل لدراسة القرآن الكريم"، و"السيرة النّبويّة في ضوء القرآن والسنّة".

انظر: <https://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=156930>

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمّد بن محمّد أبو شهبه، ط ٢، (القاهرة، مكتبة السنّة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م)، ٣٧٦، نقل النّصّ بطوله لأهمّيّته.

(٣) انظر: الكتاب، سيبويه، ٦٢/٢.

(٤) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار، أبو علي الفارسي النّحوي، ولد بمدينة فسا عام ٣٠٧هـ، وتوفيّ ببغداد سنة ٣٧٧هـ، وله كتاب (الحجّة) في علل القراءات، و"التكملة" في النّحو. انظر: سير أعلام النّبلاء، الدّهلي، ٤٤٩/٣١، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٨٠/٢ -

المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل؛ لأنَّ المعاني عند الاختلاف تتنوع وتنفن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً." (١)

كما اعتبرها أحد المفسرين ركناً من أركان البلاغة، فقال: إنَّ "تغيير الإعراب في كلمة بين أمثالها ينبّه ذهن إلى وجوب التأمل فيها ويهدي إلى التفكير لاستخراج مزيتها، وهو من أركان البلاغة." (٢)

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

لم تتوصل الباحثة إلى نتائج تطبيقية لهذه القاعدة في تفسير الميدانيّ المقتصر على تدبر القسم المكي من القرآن الكريم، بالتالي لم يظهر أثر هذه القاعدة في تفسيره، وربما لو أكمل الميداني تدبر القسم المدني لأظهر سرَّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر في الآيات القليلة الموجودة فيها هذه الظاهرة.

الخلاصة:

- اتفق مع العلماء الآخرين في المقولة الثانية من القاعدة السادسة والعشرين: "لزوم البحث عن سرّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر" بأنَّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر تتصل بغرض من أغراض الدلالة في تأدية معنى من المعاني، ولم يظهر الأثر التطبيقي لها في تفسيره، مع العلم أنَّ هذه الظاهرة قليلة في القرآن الكريم.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، ط٧، (بيروت، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ١٥١/٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٤٩/٢.

الفصل الثالث

قواعد التدبُّر البلاغيَّة المتعلِّقة ببلاغة الأسلوب القرآنيِّ

تمهيد:

من خصائص القرآن الكريم أسلوبه الذي اكتسب لونا إلهيًّا فريداً معجزاً عالي البلاغة؛ لذا كان من الأهميَّة بمكان أن تقعد له قواعد تدرسه من حيث خصائصه، والميدانيُّ قد أعطى هذا الموضوع أهميَّة لا بأس بها، وذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأوَّل: خصائص الأسلوب القرآنيِّ

المبحث الثاني: الإيجاز

المبحث الثالث: التَّكرير

المبحث الأول: خصائص الأسلوب القرآني:

تمهيد:

أولاً- تعريف أسلوب القرآن الكريم:

- الأسلوب لغة: من السَّلب، أي: أخذ الشيء بخفّة واختطاف^(١)، والأسلوب الطَّرِيقُ تأخذ فيه، والأسلوب الفنُّ؛ يُقال: أخذ فلانٌ في أساليب من القول، أي: أفانين منه.^(٢)

- الأسلوب اصطلاحاً: أورد الزُّرقاني (ت ١٣٦٧هـ)^(٣) مجموعة من التعاريف عند أهل الاختصاص، وهي: "الأسلوب: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو: هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه، ومقاصده من كلامه، أو: هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم."^(٤)

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الأستاذ محمّداً أبا موسى^(٥) عدّ الأسلوب أو علم الأساليب^(٦) فرعاً من فروع علوم البلاغة أو وجهاً من وجوهها تمثّلها وتثريها وبثريها.^(٧)

- أمّا أسلوب القرآن الكريم فقد قيل في تعريفه: "هو الطريقة الخاصّة التي انفرد بها القرآن الكريم في إفادة المعاني بالألفاظ."^(٨) أو أنّه: "طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه."^(٩)

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (باب السّين واللام وما يثلاثهما) ٩٢/٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (سَلَب) ٤٧٣/١، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ٤٤١/١.

(٣) هو محمّد عبد العظيم الزُّرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرّج بكلّيّة أصول الدّين، وعمل بها مدرّساً لعلوم القرآن والحديث، توفّي بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ، ومن كتبه: "مناهل العرفان في علوم القرآن" و "بحث" في الدّعوة والإرشاد. انظر: الأعلام، الزّركلي، ٢١٠/٦.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرقاني، ٢١٨/٢.

(٥) هو محمّد محمّد حسنين أبو موسى، ولد في مصر سنة ١٩٣٧م، عمل رئيساً لقسم البلاغة والتّقد بكلّيّة اللّغة العربيّة بالقاهرة، وشارك في العديد من المؤتمرات العلميّة في كثير من الدول، وعيّن أستاذاً غير متفرّغ بكلّيّة اللّغة العربيّة بالقاهرة، وما زال بهذه الوظيفة إلى الآن، من مؤلفاته "خصائص التّراكيب"، و "البلاغة القرآنيّة في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدراسات البلاغيّة". انظر:

<http://www.azhar.edu.eg/arabic-cairo>

(٦) هو: "علم لغويّ حديث يبحث في الوسائل اللّغويّة التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التّعبيريّة والشّعريّة، فتميّزه عن غيره." اللّغة والأسلوب، عدنان بن ذريل، (دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٨٠م)، ١٤٠.

(٧) انظر: دلالات التّراكيب دراسة بلاغيّة، محمّد أبو موسى، ط ٢، (القاهرة، دار التّضامن، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ١٩.

(٨) اختار هذا التعريف الباحث عبد الجليل عبد الرّحيم، لغة القرآن الكريم، (عمّان، مكتبة الرّسالة الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)،

٢٨٩. نقلاً عن رسالة مخطوطة في إعجاز القرآن، مقدّمة لكلّيّة أصول الدين، جامعة الأزهر، من قبل السيّد محمّد السيّد الحكيم، ١٩٤٥م، ٨٩. (٩) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرقاني، ٢١٨/٢.

ثانياً - خصائص أسلوب القرآن الكريم:

تفنّن العلماء بوصف كثير من خصائص الأسلوب القرآني وملاحظه ومزاياه، "فهو ذو نمط متفرّد، فيه جَماعُ أساليب العرب كلّها إنّه ذرؤه سنام ما عرفته البلاغة العربيّة، وما يمكن أن تعرفه من أفانين القول وطرائق البيان." ^(١) والكلام فيه كما يقول صاحب "تفسير المنار": "هو البحر الخضم، والقاموس المحيط الأعظم، فإنّه أظهر وجوه الإعجاز اللفظيّة، وذلك أن يمزج فنون الكلام، وينظم مقاصد الهداية والإرشاد على اختلاف أنواعها، وتباين موضوعاتها، مزجاً متلائماً، ونظماً متناسباً متناسقاً، موافقاً للذوق السليم، مطابقاً لنكت البلاغة." ^(٢) ومن تلك الخصائص:

١ - النّظم البديع: القرآن الكريم يجري على نسقٍ بديعٍ خارجٍ عن المعروف والمألوف من نظام كلام العرب، فلا تنطبق عليه قوافي الشعر، كما أنّه ليس على أسجاع النثر، وقد عبّر عن الدّهشة من أسلوبه كثير من فصحاء العرب، منهم عتبة بن ربيعة الذي قال عند سماعه للقرآن: "والله ما هو بالسّحر ولا بالشّعر ولا بالكهانة، فو الله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ نبأ." ^(٣)

٢ - السّبك المحكم: وصفت كلمات الآية الواحدة في القرآن الكريم بأنّها رائعة التّجانس والتّماسك، آخذ بعضها بأعناق بعض، وآيات السّورة الواحدة فيه متينة التّشابك والتّرابط، وسوره جميعها متناسقة متناسبة كسيكة واحدة تأخذ بالأبصار، وتستحوذ على العقول والأفكار، فالقرآن كلّ - كما قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ) - "لا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاوفاً وتشاكلاً من نظمه.." ^(٤)

٣ - القصد في اللفظ والوفاء بحقّ المعنى: خصّ الله ﷻ القرآن الكريم ببيان "قد قدّر على حاجة النّفس أحسن تقديرٍ فلا تحسّ فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التّقتير؛ يؤدّي لك من كلّ معنى صورةً نقيّةً وافيةً، لا يشوبها شيءٌ ممّا هو غريبٌ عنها، وافية لا يشدّ عنها شيء من عناصرها الأصليّة ولواحقها الكماليّة، كلّ ذلك في أوجز لفظٍ وأنقاه." ^(٥)

فهو كما وصفه الله تعالى في قوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾ [هود].

(١) الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وليد إبراهيم قصّاب، (دار الفكر، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ٣٢.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمّد رشيد رضا، ١٢٩٨/٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، ط ٢، (د.ب، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ١٦٣/٧.

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الرّماني الخطّابي عبد القاهر الجرجاني، ٢٧.

(٥) التّب العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمّد عبد الله دراز، (الدّوحة، دار الثقافة، ١٩٨٥م)، ١١١-١١٢.

٤ - خطاب العامة والخاصة: خاطب القرآن الكريم كلَّ النَّاس على اختلاف مداركهم وفهمهم، وعلى تباعد أزمته وأمكنته، ومع تطوُّر علمهم واكتشافهم، وكلُّ واحدٍ منهم يأخذ منه على قدره "فهو قرآنٌ واحدٌ يراه البلغاء أوفى كلامٍ بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلامٍ وأقربه إلى عقولهم لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمانٍ وراء وضع اللُّغة فهو متعة العامة والخاصة على السَّواء، ميسَّر لكلِّ من أَرَادَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر/١٧]"^(١)

- ويتمُّ في هذا المبحث دراسة قواعد التَّدبُّر البلاغيَّة التي تتعلَّق بخصائص أسلوب القرآن الكريم، عند الميدانيّ، وهذه القواعد هي:

- ١ - "حول النَّظر في ملاءمة الأسلوب البيانيِّ للهدف منه"
- ٢ - "حول التَّنويع في أساليب الأداء البيانيِّ"
- ٣ - "حول البحث عن أغراض الاختلاف في التَّعبير في مختلف النُّصوص"
- ٤ - "حول الاستغناء في الأداء البيانيِّ بتعبيراتٍ مختلفاتٍ موزَّعاتٍ على الأشباه والنِّظائر للدَّلالة على التَّكامل البيانيِّ فيما بينها وطرد استعمالها في سائرهما"
- ٥ - "حول تكامل النُّصوص القرآنيَّة في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التَّكرير لمجرَّد التَّأكيد ما أمكن"
- ٦ - "حول البحث عن الوجوه البلاغيَّة والغرض الفكريِّ من الصُّور البلاغيَّة في القرآن المجيد"
- ٧ - "حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها"
- ٨ - "حول النَّظر في توجيه الخطاب الرِّبَّاني"
- ٩ - "حول أوجه النَّص التي يهدف إليها"

وذلك وفق المطالب الآتية: المطلب الأوَّل: القاعدة وبيانها عند الميدانيّ

المطلب الثَّاني: المناقشة

المطلب الثَّالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر"

(١) المرجع السابق، ١١٣. ومن خصائص أسلوب القرآن الأخرى التي ذكرها: إقناع العقل وإمتاع العاطفة، البيان والإجمال. انظر:

١ - عنوان القاعدة: "حول النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه" ^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

"على متدبر كتاب الله ﷻ أن يضع في حسابه اعتبار موضوع الملاءمة بين الأسلوب الكلامي وبين الهدف العام من القول، والوضع العام للمخاطب به، وحالته الخاصة." ^(٢)

ثانياً: بيان القاعدة:

- وضّح الميداني المراد من الأساليب البيانية، من خلال ذكر طائفة من الأساليب الكلامية، التي إذا كانت ملائمة للهدف العام من القول، والوضع العام للمخاطب، والحال الخاص له، كانت أسلوباً بيانياً مرتقياً في معارج البلاغة الرفيعة، وسنذكرها هنا باختصار، وهي:

(أ) أسلوب العرض المباشر الصريح للفكرة المراد الإعلام بها. ^(٣)

(ب) أسلوب العرض غير المباشر، ويُعتمد فيه على مقدار ذكاء المخاطب. ^(٤)

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٩٩. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الحادية والعشرون.

(٢) المرجع السابق، ٥٠٢.

(٣) يُشار هنا إلى أنّ الميداني وضّح الأحوال التي يكون فيها هذا الأسلوب أوقع، وأكثر تأثيراً في النفس، وذلك في كتابه "البلاغة العربية"، ومن تلك الأحوال باختصار: - خطاب الذين يصعب عليهم الفهم بأسلوب غيره، كالصغار وضعفاء التفكير. - حينما يكون المخاطب في حالة انفعالية أفقدته الهدوء والصفاء الفكري. - لدى بيان الحقائق الكبرى العقدية، كالكلام الذي يحدد قضايا الإيمان. - لدى التعبير عن الأحكام القضائية. - في معظم مواقف الدعاء لله تعالى. انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٤٢/١-٤٣ ومثال هذا الأسلوب في القرآن الكريم، في قوله تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد/١٩].

(٤) يستعمل هذا الأسلوب لتحقيق أغراض معينة، أشار إليها الميداني في كتابه "البلاغة العربية"، ومن تلك الأغراض باختصار: - عدم مواجهة المخاطبين بما يراد إعلامهم به لدواعٍ تربوية، أو لدواعٍ نفسية. - وإرضاء نفس من يخاطب به، فهو من مستوى الأذكياء وكبراء القوم الذي يخاطبون بإشارات الكلام وكنائنه، ولا يحتاجون إلى صريح القول. - والتوصل عن طريق اللوازم العقلية إلى معانٍ قد لا يكون لها ألفاظ تدلّ عليها دلالة مباشرة. - وإمكان التهرّب من إرادة المعنى عند الإحراج، وذلك إذا كانت إرادته تسوء المخاطب به، أو تسوء غيره من أئداده أو حسّاده أو غيرهم. انظر: المرجع السابق، ٤٥/١-٤٦.

ومثال هذا الأسلوب في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ لَعِنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)﴾ [الأنعام]، إذ كان قوم سيّدنا إبراهيم عليه السلام وأبوه يعبدون الأصنام والشّمس والقمر والكواكب، فأراد أن يرشدهم إلى طريق التّظر والاستدلال، مع تعريضه بهم بأنهم ضالّون.

(ج) أسلوب الإطناب^(١)، وعرض الفكرة مبسطةً موضحةً من كل جوانبها.

(د) أسلوب الإيجاز والاختصار.^(٢)

(هـ) أسلوب التّغريب، ويلائم معظم النفوس الإنسانيّة، لما خلق الله فيها من مطامع.^(٣)

(و) أسلوب التّرهيب، ويلائم معظم النفوس الإنسانيّة، لما خلق الله فيها من حذرٍ وخوفٍ.^(٤)

(ز) أسلوب العنف والقوة.^(٥)

(ح) أسلوب الرّقة واللّين.^(٦)

(ط) أسلوب الإثارة للعواطف والانفعالات، ويكون نافعاً كثيراً في مواقف الحماسة والخطابة، والتّشجيع على الإقدام والبسالة.^(٧)

(ي) أسلوب الإقناع الفكريّ الهادئ، ويكون نافعاً في تأسيس العقائد، والمفاهيم الاجتماعيّة، والأسس

(١) هو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لفائدة. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم/٤]، يمكن أن يختصر المعنى بألفاظ ثلاثة (ربّ، إنّ، كبرت)، ولكنّ هذه الزيادة يقتضيها موقف بثّ الشكاية واستدراار الرحمة واستعطاف البارئ ﷻ. انظر: المفصل في علوم البلاغة العربيّة، عيسى علي العاكوب، ٣٢٧-٣٢٨

ويحسّن هذا الأسلوب "في دروس التّعليم، وفي مجالس الوعظ العامّة، وفي الخطب التي تلقى على جماهير، وفي بعض مجالس المؤانسة والمحادثّة، وفي إلقاء القصص أو كتابتها". البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٣٥/١

(٢) يستعمل هذا الأسلوب "لدى مخاطبة الأذكياء وكبار القوم وأمرائهم، بشرط أن يكون المخاطب بما قادراً على فهم المراد، ولو بتأمل يسير". البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٣٤/١، ومثال هذا الأسلوب في القرآن الكريم، في قوله تعالى فيما يخاطب به النبي ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩) [الأعراف]، فهذه الآية على قصرها تشتمل - كما قال العلماء - على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان لأخيه الإنسان. وسيأتي تفصيل هذا الأسلوب في مبحث مستقل، انظر الصّفحة (٢٠١)

(٣) مثاله، في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح/٢٩]، فكلّ من اتّصف بالإيمان بالله تعالى بعد الكفر، وعمل صالحاً، فهو داخل في الوعد مستحقّ له، فهذه سنّة من سنن الله في خلقه لا تتخلّف.

(٤) مثاله: في إخباره تعالى عما ينتظر الكافرين وأمثالهم من عذاب في الآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٥٦) [النساء].

(٥) يكثر هذا الأسلوب في القرآن المكي (كسور: "الذّاريات" و"الطور" و"النجم").

(٦) مثاله، في خطاب الله تعالى لنبيّنا محمد ﷺ في سورة "الصّحى": ﴿ وَالصّحى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَآخِرُهُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأَوَّلَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) ﴾.

(٧) مثاله، في قوله تعالى خطاباً للمؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة/٢٥٤]، إذ يستثير فيهم صفة الإيمان.

وفي قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح/٢٩] الذي تضمّن مدحاً للمؤمنين على الوصفين المذكورين في الآية.

الأخلاقية، ومبادئ المعرفة، ومسائل العلوم.^(١)

(ك) أسلوب الجدال المنطقي، ويجدي مع بعض المخالفين في الرأي، الذين لهم مهارات جدلية.^(٢)

وقد يجتمع عدد من هذه الأساليب في كلام واحد حينما لا تكون متنافية.^(٣)

- ووصف الميادني ملاءمة الأساليب الكلامية للهدف منها في كلام البشر، وتوقف عند القرآن الكريم وملاءمة أسلوبه البياني، لكل من:

- الهدف العام من الكلام: فلكل هدف من أهداف الكلام أسلوب من القول يلائمه.

- الوضع العام للمخاطب: فالتناس أصناف منهم عامة وخاصة، وجاهلون وعلماء، وأغبياء وأذكياء... إلى غير ذلك.

- الحال الخاص للمخاطب (الفكرية والنفسية والاجتماعية): فما يلائم الإنسان وهو هادئ الفكر،

قد لا يلائمه وهو مشوش الفكر، وما يلائمه وهو في حالة الرضى، قد لا يلائمه وهو في حالة

الغضب... إلى غير ذلك، فلكل حال أساليب من القول مناسبة، وبعضها أكثر مناسبة وأعظم تأثيراً

من بعض.^(٤)

- وقد أشار في بداية هذه القاعدة إلى العلاقة بين المعنى القرآني والأسلوب القرآني، فكما أن المعنى القرآني

هو الذي يدفع لاختيار أسلوب دون آخر، فقد يرشد الأسلوب القرآني أيضاً إلى فهم المعنى المراد منه،

ويقول في ذلك: "وقد يوحي الأسلوب القرآني لمتدبره الحضيف بالتصورات الصحيحة لكل هذه الأمور،

فالتأثير المفصل تفصيلاً محكماً يدل على هيكل الجسم المفصل له، كما أن المعرفة السابقة للجسم تلفت

النظر إلى إحكام التفصيل وإتقانه."^(٥)

- كما أشار إلى أهمية النظر في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه، إذ تأتي من كونها توضح كثيراً من

(١) مثال هذا الأسلوب في القرآن الكريم، طريقة إقامة الدليل على بطلان الشرك في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) [الأنبياء].

(٢) مثاله، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤) [الأنعام]، جاء تعليم النبي ﷺ حواراً جدلياً، يبين من خلاله أن دعوى المشركين باتخاذ مخلوق من مخلوقات الله ولياً معبوداً من دون الله ﷻ مناقضة للعقل السليم.

(٣) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميادني، ٥٠١-٥٠٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥٠٠.

(٥) المرجع السابق، ٤٩٩.

دلالات النص^(١).

- لم يذكر الميداني لهذه القاعدة أمثلة تطبيقية، كما عودنا، ونذكر هنا المثال الآتي من تفسيره "معارج التفكير". جاءت معالجات كثيرة للكافرين المكذبين بيوم الدين في نحو أربعين سورة نزلت قبل سورة الواقعة، بمختلف أساليب الإقناع الفكري الهادئ الحكيم، وأساليب الترغيب والترهيب فأصروا على كفرهم، فالمناسب بعد هذا الصبر الطويل عليهم - كما يشير الميداني - مخاطبتهم بأسلوب العنف والجفاء والمخاشنة، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَا كَيْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٥)﴾ [الواقعة]، فالقرآن الكريم يتوعدهم بعد أكلهم من ثمر شجرة الزقوم في جهنم وملئهم منها البطون، سيلجئهم ظمأهم الشديد إلى شرب ماءٍ حارٍّ شديد الحرارة، فيشربون منه مثل شرب الهيم - الإبل المصابة بداء الهيام فهي تشرب فلا تُروى - فلا يُروى ظمؤهم، فيهيمون.^(٢) فمن الملاحظ أنَّ هذا الأسلوب ملائمٌ للهدف العام من الكلام، ولوضع هؤلاء الكافرين المكذبين وحالهم إذ يصرون على كفرهم.

ويُضاف إلى ما أشار إليه الميداني أنَّ البيئة العربية تُراعى في وعيد القرآن بوضوح، ومشاهدها واضحة فيه، فمن مشاهدها هنا الإبل.

المطلب الثاني: المناقشة:

نال أسلوب القرآن الإلهي المعجز اهتمام العلماء - لاسيما علماء الإعجاز القرآني - كالباقلائي (ت ٤٠٣ هـ) الذي جعل الأسلوب المخصوص للقرآن الكريم وجهاً من وجوه الإعجاز.^(٣) في حين أنَّ الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) رأى أنَّ المعوّل عليه في إعجاز القرآن الكريم هو نظمه البديع، وأسلوبه الفريد.^(٤) وتكلّم الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) عن أسلوب القرآن الكريم - في النوع السادس والأربعين (في أساليب القرآن)^(٥) - في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، وكذا الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن"^(٦).

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٩٩.

(٢) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٤٦٩/٨ - ٤٧٤.

(٣) انظر: إعجاز القرآن الكريم، الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد صقر، (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، ٣٥.

(٤) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الرّماني الخطّابي عبد القاهر الجرجاني، ١٣٣.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣٨٢/٢.

(٦) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٢١٧/٢.

وَأُلْفَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ مُؤَلَّفَاتٍ مُسْتَقَلَّةٍ فِيهِ، مِنْ أُبْرَزْهَا، كِتَابُ "دَرَا سَاتٍ فِي أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ" لِعَبْدِ الْخَالِقِ عَضِيْمَةِ^(١)، إِذْ يَعُدُّ هَذَا الْكِتَابُ مَجْهُوداً ضَخِماً لَمْ يُسَبِّقْ صَاحِبُهُ إِلَيْهِ، وَيُوجَدُ أَيْضاً عَشْرَاتٌ مِنَ الْكُتُبِ الْآخَرَى الَّتِي تَنَاوَلَتْ الْأَسْلُوبَ الْقُرْآنِيَّ بِالْبَحْثِ وَالْدِّرَاسَةِ.^(٢)

- وَبِمَا أَنَّ بِلَاغَةَ الْقُرْآنِ الْمَعْجَزِ قَدْ حَازَتْ أَعْلَى طَبَقَةٍ مِنَ طَبَقَاتِ الْبِلَاغَةِ وَأَحْسَنَهَا^(٣)؛ لِذَا فَإِنَّ هَذِهِ الْبِلَاغَةَ الْعَالِيَةَ تَقْتَضِي الْمَلَاءَمَةَ بَيْنَ الْأَسْلُوبِ الْكَلَامِيِّ، وَالْهَدَفِ مِنَ الْقَوْلِ، وَالْوَضْعِ الْعَامِ وَالْحَالِ الْخَاصِّ لِلْمُخَاطَبِ، وَهَذَا أَمْرٌ جَلِيٌّ وَاضِحٌ وَسَمَّةٌ عَامَّةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَخْتَصُّ بِهِ، وَتَنْطَوِي تَحْتَ خِصَائِصِ أَسْلُوبِهِ الْمَعْجَزِ، الَّذِي نَاسِبٌ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ، وَتَجَاوَزَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ "يَتَعَاطَلُ مَعَ (مُخَاطَبٍ) مِنْ وَرَائِهِ (مُتَلَقٍّ)، وَهِيَ زَاوِيَةٌ مُهِمَّةٌ جَدًّا، يَكُونُ فِيهَا التَّنْزِيلُ مُتَخَيَّرًا بِدَقَّةٍ مُعْجَزَةٍ، لِيَصَاقِبَ^(٤) حَالَ الْمُخَاطَبِينَ - أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ - وَيَكُونُ الْمُقْتَضَى وَالْأَسْلُوبُ الْمُسْتَعْمَلُ أَوْسَعُ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ لِيَشْمَلَ كُلَّ مُتَلَقٍّ، وَلِيَصِيرَ كُلُّ مُتَلَقٍّ مَهْمَا كَانَ زَمَانُهُ، وَمَهْمَا كَانَ مَكَانُهُ (مُخَاطَبًا) فِي تَفَاعُلٍ مُتَمَيِّزٍ بَيْنَ النَّصِّ وَمُتَلَقِّيهِ"^(٥)

- وَقَدْ بَيَّنَّ الْعُلَمَاءُ أَنَّ نَظْمَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ رُوعِي فِيهِ الْمَقَامُ^(٦)، فَكَانَ لَا بَدَّ لِمَنْ أَرَادَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ إِدْرَاكَ أَهْمِيَّةِ مَعْرِفَةِ عَادَاتِ الْعَرَبِ فِي أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَمَجَارِي أَحْوَالِهَا حَالَةَ التَّنْزِيلِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى السَّبَبِ الْخَاصِّ لِنَزُولِ الْآيَاتِ^(٧) - الَّذِي يَبَيِّنُ حَالَ الْمُخَاطَبِ - "فَقَدْ تَشْتَمِلُ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى خِصُوصِيَّاتٍ تَتَسَاءَلُ نَفْسُ الْمَفْسِّرِ عَنْ دَوَاعِيهَا وَمَا يَقْتَضِيهَا، فَيَتَصَدَّى لِتَطْلُبِ مُقْتَضِيَّاتٍ لَهَا رِمَا جَاءَ بِهَا مُتَكَلِّفَةً أَوْ مَغْصُوبَةً؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَّا إِلَى مَوَاقِعِ أَلْفَاظِ الْآيَةِ، فِي حَالِ أَنَّ مُقْتَضِيَّاتِهَا فِي الْوَاقِعِ مَنْوُطَةٌ بِالْمَقَامَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا الْآيَةُ".^(٨)

(١) مطبوع، (القاهرة، دار الحديث، د.ت).

(٢) من هذه الكتب: "من أساليب القرآن"، إبراهيم السامرائي، ط ٢، (دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، و"الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم"، محمد كريم الكوّاز، (دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٤٢٦هـ).

(٣) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الزماني الخطابي عبد القاهر الجرجاني، ٧٥.

(٤) الصّاقب: "القريب"، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (باب الصاد والقاف وما يثلثهما)، ٢٩٦/٣.

(٥) أساليب التمكن في القرآن الكريم، بحث أعدّ لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، من إعداد الباحث حذيفة تقي الدين الخطيب، بإشراف الدكتور أحمد محمد نتوف، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١٧٣.

(٦) انظر الصفحة (٦٥).

(٧) انظر: الموافقات في أصول الفقه، الشّاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ٣٥١/٣.

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١١/١.

مع العلم أنَّ الميدانيَّ قد أشار في قاعدةٍ مستقلةٍ، وهي القاعدة الرَّابعة التي يدور موضوعها: "حول بيئة نزول النصِّ البشريَّة والزَّمانيَّة والمكانيَّة والنَّفسيَّة والفكريَّة الفرديَّة والاجتماعيَّة"^(١) إلى ملائمة أسلوب الآيات القرآنيَّة مع بيئة العهد المكيِّ وبيئة العهد المدنيِّ، ووضَّح أنَّه "باستطاعة متدبِّر كتاب الله تمثيلاً مع مراحل التَّنزيل أن يكتشف من صور التَّلاؤم بين النصِّ القرآنيِّ والبيئة التي نزل فيها، ما لا يمكن استيفاؤه بنظراتٍ عامَّاتٍ، وعناصر محدَّاتٍ مفصَّلاتٍ"^(٢).

فحبَّذا لو أنَّ الميدانيَّ أتبع هذه القاعدة مباشرةً القاعدة الرَّابعة، لكان أفضل؛ فبعد أن يضع المتدبِّر في حسبانهِ تصوُّر بيئة نزول النصِّ القرآنيِّ سيسهل عليه النَّظر في ملائمة الأسلوب البيانيِّ للهدف منه، "فالقرآن الكريم راعى مقتضى حال المخاطبين على أعلى مستوى معجزٍ، في الوقت ذاته الذي تلائم أسلوبه وأداؤه مع مقتضى حال العالمين إلى يوم الدِّين"^(٣).

- ويجب الانتباه هنا إلى أنَّ مراعاة القرآن الكريم البيئة البشريَّة والزَّمانيَّة والمكانيَّة لأحوال المخاطبين، لا تعني أبداً - حسبما ذهب إليه بعض المستشرقين^(٤) - أنَّ القرآن الكريم تأثَّر بالوسط الذي نزل فيه، وأنَّ هذا سبب اختلاف الأساليب البيانيَّة في السُّور المكيَّة عنها في السُّور المدنيَّة، فكلُّ ما في الأمر أنَّه راعى ظروف تلك البيئة وأحوال المخاطبين فيها، فلكلِّ مرحلةٍ من مراحل الدَّعوة الإسلاميَّة موضوعاتها التي تعالجها، والتي قد ينتج عنها اختلاف الأسلوب، وهذا يرجع إلى بلاغة القرآن الكريم، فإنَّ "سمات المكيِّ والمدنيِّ الأسلوبية، وكذا الموضوعية خاضعة لقضية البلاغة الجوهرية والمسألة لدى كلِّ ذي إلمام بالبلاغة والبيان عريياً أو غير عربيٍّ، وهي مراعاة مقتضى الحال"^(٥).

- ومن جهةٍ أخرى فإنَّ مضمون هذه القاعدة من أهمِّ عناصر الجمال الأدبيِّ في الكلام، كما صرَّح الميدانيُّ في حديثه عن منشورات في عناصر الجمال الأدبيِّ، في كتابه "البلاغة العربيَّة"^(٦) وأراد منها هنا أن تكون قاعدة مستقلة من قواعد التَّدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ.

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٧.

(٣) القرآن الكريم والدراسات الأدبيَّة، نور الدِّين عتر، (دمشق، المطبعة الجديدة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ٥٨.

(٤) انظر على سبيل المثال: المستشرق بلاشير، في كتابه: القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة: رضا سعادة، ط ١، (بيروت، دار الكتاب اللَّبناني، ١٩٧٤م).

(٥) علوم القرآن الكريم، نور الدِّين عتر، ٦٩.

(٦) البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٦١/١-٧١.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

- لا يخفى على متدبر كتاب الله ﷻ الأثر البلاغي والمعنوي الذي يبرز من خلال تطبيق هذه القاعدة، لذا نجد الميداني قد اعتنى - غالباً - ببيان الأساليب الكلامية الواردة في ظل سياق الآيات القرآنية الملاءمة للهدف من الكلام، والوضع العام للمخاطب به وحالته الخاصة، فيما تدبر من كلام الله ﷻ، فتوضّحت معانٍ تفسيرية تكشف عن بلاغة القرآن الكريم، إلا أنه لم ينص - غالباً - بوضوح وبشكل مباشر على تلك الملاءمة، وهذا لا يعني أنه لم يضع موضوعها في حسابه، بل تنبّه لبيئة نزول النص القرآني، والسياق الذي جاءت فيه الآيات، كما ستبين الأمثلة الآتية:

- في تدبره التحليلي لقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ [الطور/٣٢] يقول: "وكان أئمة الكفر والشرك في مكة الذين يُروّجون هذه الإشاعات الإعلامية الباطلة؛ يوصفون بأنهم أهل الأحلام والعقول الرّاححة، فاقتضت الحكمة الربّانية؛ أن يبيّن الله ﷻ أنّ إشاعاتهم الإعلامية؛ تتنافى مع ما يوصفون به من أنهم أهل أحلام وعقول راححة، فقال بأسلوب الاستفهام^(١) بين أمرين، أحدهما مرفوض مستنكر، والآخر هو الواقع الذي يشهد له سلوكهم الجاحد للحق، والظالم له بطغيان.^(٢)" فيلاحظ من مضمون تحليل الميداني للآية بهذا الشكل، وضوح القاعدة في ذهنه وتطبيقه لها، وإن لم ينص على ذلك.

- وفي تدبره التحليلي لسورة "المسد" وذلك بعد بيانه سبب نزول السورة^(٣)، ذكر أنّ أبا لهب كان معترّاً في

(١) الاستفهام: نوع من الإنشاء الطلبي، وحقيقته طلب الفهم، نحو: أزيد قائم؟، والألفاظ الموضوعة له: الهمة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأيّ، ومتى، وأيّان، ويخرج هذا الأسلوب عن حقيقته لأغراض بلاغية كثيرة، منها: الإنكار (ويراد منه النفي، مع الإنكار على المثبت كيف أثبت ما هو ظاهر النفي، وكان الواجب عليه أن ينفي، أو مع الإنكار على المخاطب قضيته، وهي باطلة في تصوّر موجه الاستفهام) نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ [الطور/٣٢] انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ١٣١-١٤١، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ١/٢٧١-٣٠٢.

(٢) معارج التفكير، الميداني، ١٤/٥٩٢-٥٩٣.

(٣) جاء في رواية البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَصِينَ خرج رسول الله ﷺ حتّى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مُصدّقين؟ قالوا: ما جرّئنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب: تبّاً لك ما جمعتنا إلا لهذا ثمّ قام فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ﴾. الجامع الصحيح المختصر، البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط ٣، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م)، باب تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ﴾، رقم الحديث (٤٦٨٧)، ٤/١٩٠٢.

إعلانه معاداة الرّسول ﷺ ومعاداة الإسلام، وإعلانه مقاومتهم، بما ملكت يده من مال، وبما يقدر على كسبه من أعمال، فلمّا كان معتزّاً هذا الاعتزاز كان من الحكمة أن يقول الله تعالى بشأنه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ (١)﴾ أي: خسرت يده وخسر هو كلّهُ. ^(١)

فمن الواضح هنا أيضاً أنّ الميدانيّ وضع في حسبانهِ ملاءمة الأسلوب للهدف من الكلام، إذ كان هذا الأسلوب المباشر العنيف الذي تضمّن حكم الله ﷻ على أبي هب الذي دعا على الرّسول ﷺ، هو المناسب للوضع العامّ للمخاطب وحالهِ الخاصّة. ^(٢)

ويُشار إلى أنّ الميدانيّ قد بيّن - لعددٍ قليلٍ من السّور القرآنيّة - الأسلوب البيانيّ المختار في كامل السّورة. فمثلاً:

- قال في المستخرجات البلاغيّة لسورة "النّجم" أثناء بيانه الأسلوب الكلاميّ الملائم المختار فيها: "الأسلوب البيانيّ الذي صيغت به سورة "النّجم" هو الأسلوب الذي كان يستثير إعجاب بلغاء العرب وفصحائهم إبان تنزيل القرآن، إنّهُ الأسلوب القائم على تقصير الجمل، والسّجع ^(٣) البديع الذي لا تكلف فيه، والبعد عن التّعبير المباشر، باستخدام الكنايات التي تعتمد على اللّوازم الفكريّة، وتعتمد على الإيجاز الشّديد، وحذف ما يمكن إدراكه ذهنياً ولو لم يكن في اللفظ ما يدلُّ عليه." ^(٤)

- أمّا في سورة "التّين" فذكر أنّ الأسلوب المختار فيها هو الأسلوب غير المباشر، للدّلالة على المراد. ^(٥)

(١) انظر: معارج التّفكير، الميداني، ٣٨٤/١-٣٨٥.

(٢) انظر أيضاً: تحليله للأساليب الآتية، دون أن ينصّ بشكل مباشر على موضوع الملائمة بينها وبين الهدف من الكلام، والوضع العامّ للمخاطب وحالته الخاصّة: الأسلوب غير المباشر، في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف/٢]، المرجع السابق، ٥١/٤-٥٣، وأسلوب التّوكيد في قصّة الرسل الثلاثة الذين أرسلهم الله ﷻ إلى أهل القرية، في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (١٤)﴾ [يس]، المرجع السابق، ٦٩/٦-٧٢، والأسلوب الجدلي القائم على مطالبة الخصم بالأدلة على دعواه، في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)﴾ قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾ [الأنعام]، المرجع السابق، ١١/٤٦٦.

(٣) راجع تعريفه في الصّفحة (٢٥٢). والأولى قوله الفواصل.

(٤) معارج التّفكير، الميداني، ١٧١/٢.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٣٩٧/٢-٣٩٨، ٤٢١، وانظر أيضاً: (سورة العلق) ٤١/١، (سورة البلد) ١٧٢/٣.

٢- عنوان القاعدة: "حول التنويع في أساليب الأداء البياني"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

على متدبر كلام الله ﷻ أن يضع في ملاحظته دائماً، لدى تدبر أي نص قرآني، أن القرآن الكريم عجيب التنويع في أساليب الأداء البياني، حتى في عرض الأقسام التي تدخل في مقسم واحد، أو تدخل تحت عنوان واحد، ويحمل هذا التنويع أغراضاً بيانية^(٢).

ثانياً: بيان القاعدة:

تدور هذه القاعدة حول ظاهرة التنويع في أساليب الأداء البياني التي تتجلى في كل القرآن الكريم، ويريد الميداني هنا أن يلفت نظر المتدبر إلى هذه الظاهرة في عرض الأقسام التي تدخل في مقسم واحد، أو تدخل تحت عنوان واحد، مبيناً أن الغرض الأساسي منها - غير إيصال المعنى - هو إثارة الجمال الفني^(٣) الذي يترتب عليه تنبيه الفكر، وتحريك الذهن^(٤).

وأشار إلى أنه قد يقترن مع هذا الغرض الأساسي غرض بياني آخر، "كاختيار الأسلوب الأكثر ملاءمة للقسم الذي جرى التنويع في الأسلوب عند ذكره، أو الأسلوب الأكثر مضامين فكرية يُراد الدلالة عليها مع ذكره أو الأكثر بلاغة وإيجازاً بالنسبة إلى مضامينه الفكرية التي يُراد بيانها، إلى غير ذلك من أغراض"^(٥) - كما أن التنبيه لهذا التنويع يجعل المتدبر أكثر إدراكاً في موضوع النص، وأما الغفلة عنه فتجعله يفهم النص

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٢٩. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الرابعة والعشرون.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٢٩.

(٣) صرح الميداني في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" أن: "البلاغة بفنونها الثلاثة المعاني - البيان - البديع" وسائر الفنون الأدبية التي تبه عليها أدباء العرب، وكذلك سائر المذاهب الأدبية المستوردة من الشعوب غير العربية ليست إلا بحوثاً وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام، ومحاولات لتحديد معالمها، ووضع بعض قواعدها. ١١/١.

(٤) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٢٩، وقد عدّ الميداني في كتابه "البلاغة العربية" عند حديثه عن أسس البلاغة العالية والأدب الرفيع أن "من أبدع صور الجمال: التنويع فيه والتنقل من لون إلى لون آخر منه، أما الثبات والتكرار للصورة الواحدة في كل الأوقات، فهو مملّ للنفوس مهما كانت هذه الصورة جميلة." البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٢٤/١.

(٥) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٢٩.

"وحداتٍ مجزّاتٍ غير مترابطاتٍ، وتنبّد عنه بسبب ذلك روائع مفاهيم، وقد يقع في أغاليط، إذ يحاول أن ينتزع ارتباطاً من قريب أو بعيدٍ لأدنى مناسبة أو شبهة مناسبة، أو يخترع من عنده أموراً لا أصل لها، ولا دليل عليها."^(١) فأراد الميدانيّ بذلك التنبيه على أهميّة ملاحظة التنوّع الأسلوبيّ، ودوره في فهم النّصّ كقطعةٍ موضوعيّةٍ متكاملةٍ.

- وقد زوّد قاعدته بثلاثة أمثلةٍ تطبيقيّةٍ^(٢)، سنعرض منها المثال الأوّل والثّاني باختصارٍ.
المثال الأوّل:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)﴾ [الأحزاب]، عرضت الآيات ما كان من المنافقين وضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرضٌ، في غزوة الأحزاب، بأساليب متنوّعة، ملائمةٍ لكلّ قسمٍ منهم.

فقسمٌ جاء أسلوب عرضه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ﴾ إذ الظرفية والفعل المضارع، والغرض من هذا الأسلوب الدلالة على أنّ المقالة دارت على الألسنة حتى شاعت.

أمّا القسم الثّاني فجاء أسلوب عرضه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ إذ الظرفية والفعل الماضي، والغرض من هذا الأسلوب الدلالة على أن هذه المقالة قد قيلت من طائفة منهم، ثمّ لم تتكرّر، ولم تدر على الألسنة.

والقسم الثالث جاء أسلوب عرضه: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ صيغة الفعل المضارع، والغرض من هذا الأسلوب الدلالة على تكرار الاستئذان من أفراد هذا الفريق، أو على الإلحاح به.

وقد جاء أسلوب عرض القسم الرّابع مختلفاً اختلافاً كلياً في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨)، إذ عرض الله ﷻ فيه التّعويق وصفاً ثابتاً لفريق من المنافقين، ولم يذكره على أنّه مجرد عرضٍ طارئٍ استدعته حالة مزعجة، وهو الأمر الذي كان في غزوة الأحزاب.^(٣)

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٢٩.

(٢) انظر: المرجع السّابق، ٥٣٠-٥٣٣.

(٣) انظر: المرجع السّابق، ٥٣٠-٥٣١، والغرض من التّوكيد ب (قد) الدّاخله على المضارع في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾؛ "لأنّهم لنفاقهم ومَرَضُ قُلُوبِهِمْ، يشكّون في لازم هذا الخبر، وهو إنباء الله ﷻ رسوله عليه الصّلاة والسّلام بهم، أو لأنّهم لجهلهم الناشئ عن الكفر، يظنون أنّ الله ﷻ لا يعلم خفايا القلوب." التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، ٢٩٣/٢١.

وهكذا وضَّح الميدانيُّ هذه الأساليب البيانيَّة المتنوِّعة في الآيات، ثمَّ أشار إلى أنَّه "مع التَّنويع في الأسلوب لإكساب التَّعبير جمالاً فنيّاً، وإبداعاً معجباً، اختير لعرض كل قسم الأسلوب الأكثر ملاءمة له، والأكثر مضامين فكريَّة يراود الدَّلالة عليها مع ذكره."^(١)

المثال الثَّاني:

- جاء في سورة "الماعون" بيان أربع صفات للمكذِّبين بالدِّين: صفتان جاءتا بأسلوب توجيه النَّظر إلى رؤية صفاته المنكرة على طريقة الاستفهام الاستهجائي^(٢)، في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يُخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ (٣)﴾، وصفتان جاءتا بأسلوب التَّهديد والوعيد بالعذاب يوم الدِّين، في قوله الله ﷻ: ﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ [الماعون]^(٣)

وختم الميدانيُّ حديثه عن هذه الصِّفات، بقوله: "فحصل بهذا الأسلوب التَّنويع الجماليُّ الفنيُّ، مع التَّهديد والوعيد بالويل"^(٤) مبيناً بذلك فنيَّة التَّنويع الأسلوبي الواردة في الآيات، والغرض منها.

المطلب الثَّاني: المناقشة:

- أنزل الله ﷻ القرآن الكريم في أعلى ضروب الفصاحة والبلاغة، فلا عجب في عدم مجيئه على أسلوب واحد من أساليب البيان؛ لأنَّه كما يقول الزُّركشي (ت ٧٩٤هـ): "لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمطٍ واحدٍ، لما فيه من التَّكُلُّف، ولما في الطَّبَع من الملل عليه، ولأنَّ الافتنان في ضروب

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥٣١.

(٢) يُشار هنا إلى أنَّ ابن عاشور قد بيَّن الغرض من هذا الاستفهام المستعمل في التعجيب من حالهم، وما تفرَّع عليه من دَعِّ اليتيم، وعدم الحُضِّ على طعام المسكين، في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾، إذ يقول: "وقد صيغ هذا التعجيب في نظم مشوِّق؛ لأنَّ الاستفهام عن رؤية من ثبتت له صلة الموصول، يذهب بذهن السَّامع مذهب شتى من تعرف المقصد بهذا الاستفهام، فإنَّ التَّكْذِيب بالدِّين شائع فيهم، فلا يكون مثاراً للتَّعَجُّب، فيترقَّب السَّامع ماذا يرد بعده، وهو قوله: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢)﴾"، وجيء بصيغة المضارع في: ﴿يُكَذِّبُ﴾، ﴿يَدْعُ﴾، ﴿يُخْضُ﴾؛ "لإفادة تکرر ذلك منه ودوامه." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/٥٦٤-٥٦٥.

(٣) انظر، قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥٣٢-٥٣٣.

(٤) المرجع السابق، ٥٣٣.

الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد.^(١)

فالقرآن الكريم لا يستمر طويلاً على هدفٍ واحدٍ من المعاني، والتنويع الأسلوبيُّ سمةٌ غالبيةٌ فيه، هذا ما بيّنه درّاز (ت ١٩٥٨م)^(٢)، إذ يقول: "الأعجب أنّه مع كونه أكثر الكلام افتناناً وتنوعاً في الموضوعات، هو أكثره افتناناً وتلويناً في الأسلوب في الموضوع الواحد. فهو لا يستمر طويلاً على نمط واحد من التعبير، كما أنّه لا يستمر طويلاً على هدفٍ واحدٍ من المعاني، ألا تراه يتنقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى، ويتنقل في المعنى الواحد بين إنشاءٍ وإخبارٍ، وإظهارٍ وإضمارٍ، واسميّةٍ وفعليةٍ، ومضيٍّ وحضورٍ واستقبالٍ، وتكلمٍ وغيبةٍ وخطابٍ، إلى غير ذلك من طرق الأداء، على نحوٍ من السرعة لا عهد لك بمثله، ولا بما يقرب منه في كلام غيره قط."^(٣)

- ولا بدّ من غرضٍ وراء هذا التنويع والتفنن في أساليب الأداء البيانيّ، هذا ما يؤكده الطّوفي (ت ٧١٦هـ) بقوله: "لا شكّ في ورود الكلام قرآناً كان أو غيره على أنحاء مختلفة، وأحوال متفاوتة، تارة في الوضع، وتارة في العموم والخصوص، وآونة في الزيادة والنقص،... فلو لم يكن اختصاصه ببعض هذه الأحوال دون بعض في بعض الأماكن، لمقتضى وموجب، لكان عبثاً، وترجيحاً من غير مرجح، وهو محال."^(٤)

فكلّ تغييرٍ في الأسلوب أو تلوين أو زيادة أو حذف أو تقديم أو تأخير مقصود لذاته، يقول صاحب كتاب "التعبير القرآنيّ": "التعبير القرآنيّ تعبير فنيّ مقصود، كلّ لفظةٍ بل كلّ حرفٍ فيه وُضع وضعاً فنيّاً مقصوداً، ولم تُراعَ في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها، بل رُوعي في هذا الوضع التعبير القرآنيّ كلّهُ."^(٥)

- إذاً تبين ممّا سبق أنّ المتقدّمين والمتأخّرين قد تنبّهوا لهذه الظاهرة البلاغية في القرآن المعجز، وتحدّثوا عنها. ولكن من الملفت للنظر أنّ المبدائيّ صرّح في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" أنّ التنويع في أساليب الأداء البيانيّ، من الظواهر التي اكتشفها هو في القرآن الكريم، ورأى إضافتها إلى علم البيان^(٦)،

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٦٠/١.

(٢) هو محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حسن بن درّاز، ولد عام ١٨٩٤م في مصر، وتوفيّ فيها سنة ١٩٥٨م، عضو في هيئة كبار العلماء وعدد من الهيئات الثقافية واللجان العلمية بمصر، كما عمل محاضراً في عدّة حقول معرفيّة بعدد من الجامعات المصرية، من مؤلفاته: "النبأ العظيم"، و"مدخل إلى القرآن الكريم". انظر: محمّد عبد الله درّاز حياته وآثاره، محمّد بن المختار الشنقيطي، (مصر، دار المشرق، د.ت) ٢١، ٢٤، الأعلام، الزركلي، ٢٤٦/٦.

(٣) التّبّ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمّد عبد الله درّاز، ١٤٤.

(٤) الإكسير في علم التفسير، الطّوفي، ٧١.

(٥) التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ط ٤، (دار عمّار، عمّان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ١٠.

(٦) إذ يقول: "وقد رأيت أن أضيف إلى علم البيان فصلاً يتعلّق بما اكتشفته في القرآن المجيد من ظواهر بيانيّة يفيد منها متدبّر كتاب =

إِلَّا أَنَّ ظَاهِرَةَ التَّنْوِيعِ فِي أُسَالِيبِ الْأَدَاءِ الْبَيَانِيِّ مِنْ الْحَقَائِقِ الْبَارِزَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْهَا الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ بِعِبَارَةِ "صَرَّفْنَا" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف/٥٤] أَي: نَوَّعْنَا وَغَيَّرْنَا.^(١) كَمَا دَرَسَتْ تَحْتَ أَلْوَانِ مِنَ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ، أَهْمُهَا: الْإِلْتِفَاتُ^(٢)، الَّذِي عَدَّهُ الْقَزْوِينِيُّ (ت ٧٣٩هـ) مِنْ مُحَاسِنِ الْكَلَامِ، وَوَجَّهَ حَسَنَهُ عَلَى مَا ذَكَرَ الرَّخْشَرِيُّ (ت ٥٣٨هـ)؛ "لَأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ، كَانَ ذَلِكَ أَحْسَنَ تَطْرِيقًا لِنَشَاطِ السَّمَاعِ، وَإِقْبَاضًا لِلْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى أَسْلُوبٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ تَخْتَصُّ مَوَاقِعُهُ بِفَوَائِدَ."^(٣)

- كَمَا أَنَّ الْمِيدَانِيَّ فِي بَيَانِهِ لِلْقَاعِدَةِ، أَوْضَحَ بِأَنَّهُ قَدْ يَقْتَرِنُ غَرَضُ إِثَارِ الْجَمَالِ الْفَنِيِّ بِغَرَضِ بَيَانِيٍّ آخَرَ، رُبَّمَا كَانَ مِنَ الْأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ بِأَنَّهُ: لَا بَدَّ مِنْ اقْتِرَانِ غَرَضٍ لِلتَّنْوِيعِ مَعَ غَرَضِ إِثَارِ الْجَمَالِ الْفَنِيِّ؛ فَالْجَمَالُ لَيْسَ مَقْصُودًا لِدَاوَتِهِ بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ لِإِيصَالِ الْمَعْنَى، وَغَرَسَهُ فِي نَفْسِ الْقَارِئِ.

= الله وَجَّكَ... وَأَعْرَضَ فِي هَذَا الْفَصْلِ الظَّاهِرَاتِ الَّتِي اكْتَشَفَتْهَا فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ضَمَنَ مَقُولَتَيْنِ، ... الْأَوَّلَى: حَوْلَ مِنْهَجِ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ فِي التَّنْوِيعِ وَالتَّكَامُلِ. "الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ أُسُسُهَا وَعِلْمُهَا وَفَنُونُهَا، الْمِيدَانِي، ٣٢١/٢.

(١) يَقُولُ ابْنُ عَاشُورَ: التَّصْرِيفُ هُنَا "كُنَايَةُ عَنِ التَّبْيِينِ بِمُخْتَلَفِ الْبَيَانِ وَمُتَنَوِّعِهِ". التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، ابْنُ عَاشُورَ، ١٠٩/١٥. وَيَقُولُ الْمِيدَانِيُّ فِي مَعْنَى التَّصْرِيفِ: "هُوَ تَنْوِيعُ مَدْهَشٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بِنَائِهِ اللَّفْظِيِّ، وَفِي أُسَالِيْبِهِ الْبَيَانِيَّةِ، وَفِي صُورِهِ الْبَدِيعَةِ، وَفِي أَدَلَّتِهِ وَحُجْجِهِ، وَفِي تَرْغِيْبِهِ وَتَرْهِيْبِهِ". مَعَآرِجُ التَّفْكَرِ، الْمِيدَانِي، ٥٢٢/٨.

(٢) الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ: "هُوَ التَّعْبِيرُ عَنْ مَعْنَى بِطَرِيقٍ مِنَ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ [التَّكَلُّمُ - وَالْخُطَابُ - وَالْغَيْبَةُ] بَعْدَ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِطَرِيقٍ آخَرَ مِنْهَا". الْإِيضَاحُ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ، الْقَزْوِينِيُّ، ٧٢، وَمِثَالُهُ الْإِلْتِفَاتُ الْوَاردُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾ [الْكَوْثَرُ]، مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ.

وَلَقَدْ أَضَافَ ابْنُ الْأَثِيرِ (ت ٦٢٢هـ) قِسْمًا آخَرَ لِلْإِلْتِفَاتِ وَهُوَ الْإِلْتِفَاتُ الْفَعْلِيُّ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "أَوْ مِنْ فَعْلٍ مَاضٍ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ... إلخ" الْمِثْلُ السَّائِرُ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ، ابْنُ الْأَثِيرِ، ٣/٢.

وَفِي كِتَابِهِ "الْجَامِعُ الْكَبِيرُ" أَضَافَ نَمَطًا ثَالِثًا إِلَى جَانِبِ التَّمْطِينَ السَّابِقِينَ، وَهُوَ نَمَطُ "الْعَدَدِ" بِقَوْلِهِ: "الرَّجُوعُ مِنْ خُطَابِ التَّنْبِيَةِ إِلَى خُطَابِ الْجَمْعِ، وَمِنْ خُطَابِ الْجَمْعِ إِلَى خُطَابِ الْوَاحِدِ". الْجَامِعُ الْكَبِيرُ فِي صِنَاعَةِ الْمَنْظُومِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْتَوَرِ، ضِيَاءُ الدِّينِ ابْنُ الْأَثِيرِ الْجَزْرِي، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَى جَوَادٍ، وَغَيْرُهُ، (د.ب، مطبعة المجمع العلمي، د.ت)، ١٠١.

وَيُشَارُ إِلَى أَنَّ الْعُلُوِيَّ (ت ٧٤٩هـ) وَقَفَ فِي تَعْرِيفِهِ لِلْإِلْتِفَاتِ بَيْنَ مَذْهَبَيْنِ، إِذْ يَقُولُ: "مَعْنَاهُ فِي مُصْطَلَحِ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ هُوَ الْعُدُولُ مِنْ أَسْلُوبٍ فِي الْكَلَامِ إِلَى أَسْلُوبٍ آخَرَ مُخَالَفٍ لِلأَوَّلِ، وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِنَا: هُوَ الْعُدُولُ مِنْ غَيْبَةٍ إِلَى خُطَابٍ، وَمِنْ خُطَابٍ إِلَى غَيْبَةٍ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَعْمُّ سَائِرَ الْإِلْتِفَاتَاتِ كُلِّهَا، وَالْحَدَّ الثَّانِي إِمَّا هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى الْغَيْبَةِ وَالْخُطَابِ لَا غَيْرَ". الطَّرَازُ الْمَتَضَمِّنُ لِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَحَقَائِقِ الْإِعْجَازِ، يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعُلُوِيَّ الْيَمَنِي، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتَ، ١٣٢/٢.

(٣) الْكَشَافُ، الرَّخْشَرِيُّ، ٥٦/١.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير " معارج التفكير ودقائق التدبر ":

- أدرك الميداني بما يحمله من حسن جمالي، وإطلاع على أساليب الأداء البياني، بلاغيات وجماليات النصّ القرآني المعجز، فظهر الأثر البلاغي والجمالي للقاعدة من خلال بيانه للأغراض المترتبة على التنويع الأسلوبي في عرض الأقسام التي تدخل في مقسم واحد أو تدخل تحت عنوان أو موضوع واحد، وذلك - غالباً - عند كلامه عن "الالتفات"، الذي يمنح اللفت الانتباهي، ويجعل موضوع النص أكثر ترابطاً وفهماً. مثال ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨)﴾ [الفرقان]، التفات من ضمير الغائب في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ إلى ضمير المتكلم في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾، والغرض منه التنويع الجمالي في الأداء البياني، ويضاف إليه: غرض امتنان الله وعكس على عباده بإنزال الماء من السماء والذي فيه حياة الكائنات، ومنافع كثيرة للناس، وغرض إظهار عظمة التقدير الحكيم البديع من الربّ العظيم في هذا الإنزال، إذ دلّ على ذلك ضمير المتكلم العظيم.^(١)

٢- في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠)﴾ [يونس]، التفات، يشرحه الميداني بقوله: "كان الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون من عذاب ربكم. فالتفت النص عن الأسلوب المختار أولاً؛ لحكمة وصفهم بأنهم مجرمون، وأنهم يستحقّون العذاب المعجل واستئصالهم به."^(٢)

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٣٩/٦، وبين ابن عاشور أيضاً أنّ الالتفات من الغيبة إلى التكلم في الآية؛ "لأنّ التكلم أليق بمقام الامتنان." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٧/١٩.

(٢) معارج التفكير، الميداني، ٢٧١/١٠، أما ابن عاشور فذهب إلى أنّ الأسلوب البياني في قوله: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ هو الإظهار في مقام الإضمار؛ "لقصد التسجيل عليهم بالإجرام، وللتنبية على خطئهم في استعجال الوعيد؛ لأنّه يأتي عليهم بالإهلاك فيصيرون إلى الآخرة حيث يفضون إلى العذاب الخالد، فشأنهم أن يستأخروا الوعد لا أن يستعجلوه، فدلّ ذلك على أن المعنى لا يستعجلون منه إلّا شراً." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩٣/١١.

ونظير هذين المثالين في "معارج التفكير" ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)﴾ [يس]، في قراءة نافع، وابن عامر، وأبي يعقوب ﴿لِيُنذِرَ﴾ خطاباً للرسول ﷺ. ٢٤٢/٦-٢٤٣.

وما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر/٢٧]، ٢٦٠/٧. وما جاء في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)﴾ [لقمان]، ٧٨٩/١١.

وقد أشار الميداني - أحياناً - إلى فنيّة التنويع الأسلوبيّ، ومثال ذلك:

١- في سورة "يس" بيّن الأساليب المتنوّعة لمجيء آيات الله ﷻ في كونه، ومنها:
استعمال أسلوب الاستفهام الإنكاري التلويحي، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس/٣١].

ثمّ أسلوب العرض الخبريّ، في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ هُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس/٣٣].

أمّا في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس/٣٦]، فاختير أسلوب افتتاح العرض بتنزيه الله ﷻ، ولم يعطف على ما جاء قبلها، لحكمة فنيّة التنويع في الأساليب.^(١)

٢- في حديث سورة "الفرقان" عن الكافرين تنويع بديع في العبارات القرآنيّة، أشار إليه الميداني فيما يلي:
في الآية ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا تُشُورًا﴾ (٣) تحدّث الله ﷻ عنهم بعبارة: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾.

وفي الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤) تحدّث الله ﷻ عنهم بعبارة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وفي الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (٢١) تحدّث الله ﷻ عنهم بعبارة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾.

وفي الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢) تحدّث الله ﷻ عنهم بعبارة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.^(٢)

(١) انظر: معارج التفكّر، الميداني، ١٠٩/٦ - ١١٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٥٣/٦، وانظر أيضاً: تدبّره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَبَسُونَهَا وَتَرى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ [النحل/١٤]، ٥٣٣/١٣، وتدبّره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣) [الأنعام]، ٢٩٨/١١ وتدبّره الآيات (من ١٦ إلى ٢١) من سورة "الملك"، ٦٤٢/١٤.

- ١- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) [الفرقان]، التفاتٌ من ضمير الغائب في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ إلى ضمير المتكلم في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾، والغرض منه التنويع الجمالي في الأداء البياني، ويضاف إليه: غرض امتنان الله وعجل على عباده بإنزال الماء من السماء والذي فيه حياة الكائنات، ومنافع كثيرة للناس، وغرض إظهار عظمة التقدير الحكيم البديع من الرب العظيم في هذا الإنزال، إذ دلّ على ذلك ضمير المتكلم العظيم.^(١)
- ٢- في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَادَّا يَسْتَغْعِلُّ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٠) [يونس]، التفاتٌ، يشرحه الميداني بقوله: "كان الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون من عذاب ربكم. فالتفت النص عن الأسلوب المختار أولاً؛ لحكمة وصفهم بأنهم مجرمون، وأنهم يستحقون العذاب المعجل واستئصالهم به."^(٢)

= يُقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣) [الأنعام]، ٢٩٨/١١ وتدرّج الآيات (من ١٦ إلى ٢١) من سورة "الملك"، ٦٤٢/١٤.

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٣٩/٦، وبين ابن عاشور أيضاً أن الالتفات من الغيبة إلى التكلم في الآية؛ "لأنّ التكلم أليق بمقام الامتنان." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٧/١٩.

(٢) معارج التفكير، الميداني، ٢٧١/١٠، أما ابن عاشور فذهب إلى أنّ الأسلوب البياني في قوله: ﴿مَادَّا يَسْتَغْعِلُّ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ هو الإظهار في مقام الإضمار؛ "لقصد التسجيل عليهم بالإجرام، وللتنبية على خطئهم في استعجال الوعيد؛ لأنّه يأتي عليهم بالإهلاك فيصيرون إلى الآخرة حيث يفضون إلى العذاب الخالد، فشأنهم أن يستأخروا الوعد لا أن يستعجلوه، فدلّ ذلك على أن المعنى لا يستعجلون منه إلّا شراً." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩٣/١١.

ونظير هذين المثالين في "معارج التفكير" ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) [يس]، في قراءة نافع، وابن عامر، وأبي يعقوب ﴿لِيُنذِرَ﴾ خطاباً للرسول ﷺ. ٢٤٢/٦-٢٤٣.

وما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر/٢٧]، ٢٦٠/٧. وما جاء في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا وَالْأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (١٠) [لقمان]، ٧٨٩/١١.

٣- عنوان القاعدة: "حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

"على متدبر كتاب الله ﷻ أن يتأمل بحثاً عن أغراض الاختلاف في التعبير، الذي اشتملت عليه النصوص القرآنية التي تعالج موضوعات متماثلة أو متشابهة أو متقاربة؛ فعسى أن يهتدي إلى دلالات مقصودة زائدة على مجرد التنويع في أسلوب التعبير."^(٢)

ثانياً: بيان القاعدة:

أكد الميداني في هذه القاعدة على أن التنويع الأسلوبي في القرآن الكريم ليس مقصوداً لذاته إنما يكمن وراءه معانٍ متنوعة، من هنا كان على المتدبر أن يبحث بتأمل وتعمق، في الأساليب التعبيرية، "فكثيراً ما يهدي التأمل المتعمق الدقيق لاستبانة دلالات مرادة مختلفة تدل عليها التعبيرات المختلفة، وقد يتحصّل من ذلك لطائف معانٍ أشارت إليها الفروق الواردة في أساليب التعبير."^(٣) لاسيّما في النصوص التي تعالج موضوعات متماثلة أو متقاربة أو متشابهة.^(٤)

- وقد أردف قاعدته بسبعة أمثلة تطبيقية^(٥)، يُكتفى بعرض مثالين منها هنا، وهما باختصار:

المثال الأول:

في موضوع نفي التساوي بين متقابلين، جاءت الآيات الآتية التي يُلاحظ فيها عدم تكرار حرف النفي (لا) أو (ما) في جانب الطرف المقابل:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء/٩٥]

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٣٥، وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الخامسة والعشرون.

(٢) المرجع السابق، ٥٣٥.

(٣) المرجع السابق، ٥٣٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥٣٥.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٥٣٦-٥٤٧.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩)﴾ [فاطر]، [غافر/٥٨]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيِّثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَيِّثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)﴾ [المائدة]

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر/٢٠]

وجاءت آيات أخرى في الموضوع نفسه، ولكن لوحظ فيها تكرار حرف النفي (لا) أو (ما) في جانب الطرف المقابل من هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢)﴾ [فاطر]
وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت/٣٤]

وباستعمال المتدبر أداة البحث في هذه القاعدة (وهي التأمل العميق) سيهتدي إلى أنَّ ما ذُكرت فيه كلمة (لا) في الطرف المقابل، يحمل دلالة عدم التساوي النسبي بين أفراد كلٍّ من المتقابلين، إضافةً إلى عدم التساوي العام بين المتقابلين.

فمثلاً: الظُّلُمَاتُ متفاوتةٌ غير متساوية، والنُّورُ متفاوتٌ غير متساوٍ، إضافةً إلى نفي التساوي بين الظُّلُمَاتِ بوجهٍ عامٍّ والنُّورِ بوجهٍ عامٍّ.

أمَّا النصوص التي لم يأت فيها هذا التكرير لحرف النفي، فقد قصد فيها فقط مجرد نفي التساوي بين المتقابلين دون الدلالة على النسب المتفاوتة في كلِّ طرف.^(١)

(١) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٣٦-٥٣٧.

ظهر للزاري في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢)﴾ [فاطر] أنَّ سبب تكرار كلمة النفي بين الظُّلُمَاتِ والنُّورِ والظُّلِّ والحرور والأحياء والأموات، وترك تكرارها بين الأعْمى والبصير، "وذلك لأنَّ التكرير للتأكيد، والمنافاة بين الظُّلْمَةِ والنُّورِ، والظُّلِّ والحرور مضادة، فالظُّلْمَةُ تنافي النُّورَ وتضادّه، والعْمى والبصر كذلك، أمَّا الأعْمى والبصير ليس كذلك بل الشخص الواحد قد يكون بصيراً وهو بعينه يصير أعْمى، فالأعْمى والبصير لا منافاة بينهما إلّا من حيث الوصف، والظُّلِّ والحرور المنافاة بينهما ذاتية؛ لأنَّ المراد من الظُّلِّ عدم الحرّ والبرد، فلمّا كانت المنافاة هناك أتمّ، أكّد بالتكرار، وأمّا الأحياء والأموات، وإن كانوا كالأعْمى والبصير من حيث إنّ الجسم الواحد يكون حيّاً محالاً للحياة فيصير ميتاً محالاً للموت، ولكن المنافاة بين الحي والميت أتمّ من المنافاة بين الأعْمى والبصير، كما بينا أنَّ الأعْمى والبصير يشتركان في إدراك أشياء، ولا كذلك الحي والميت، كيف والميت يخالف الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما تبين في الحكمة الإلهية. "مفاتيح الغيب، الزاري، ١٦/٢٦.

المثال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة/٥١]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر/٣]

يلحظ في هاتين الآيتين تعدية الفعل (كتب) مع حرفي الجر: (اللام) في الآية الأولى، و(على) في الآية الثانية، مع أَنَّ المكتوب في كلتا الآيتين نوع من المصائب الدنيوية، أي أَنَّهُ قد اختلف التعبير في كلتا الآيتين مع أَنَّهُما يعالجان موضوعات متشابهة! هنا يأتي تطبيق القاعدة، حيث بحث الميداني عن سر الاختلاف في التعبير، فوجد أَنَّ: "التعدية باللام قد جاءت في جانب المصيبة التي تنزل بالمؤمنين، وهي بالنسبة إليهم نعمة من الله وَجَّكَ وليست بنقمة، لأنَّها مكفرة، ورافعة للدرجات، لذلك قال الله لرسوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾. بخلاف التعدية بعلى فقد جاءت في جانب المصيبة التي نزلت بأهل الكفر: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: فهي عقوبة نازلة عليهم."^(١)

المطلب الثاني: المناقشة:

— لما كان نظم القرآن على تصوُّف وجوهه، واختلاف مذاهبه، خارجاً عن المعهود من نظام جميع كلام البشر، ومبائناً للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصُّ به، ويتميز في تصوُّفه عن أساليب الكلام المعتاد.^(٢) ولما كان كلُّ تغيير في النظم يرافقه تغيير في المعنى — كما أثبت الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)^(٣) — كان لابد من البحث عن أغراض اختلاف الأساليب التعبيرية بين نصوصه، والكشف عن حكم ولطائف وراء هذا الاختلاف، تُبرز الإعجاز البياني للقرآن الكريم، نعم هذا ما فعله العلماء المتقدمون والمعاصرون حيث تدافعوا نحو دراسة تلك الأغراض، والكشف عن حكم ذلك الاختلاف في الأساليب التعبيرية ولطائفه، فأصبح لدينا علم خاص هو: "علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"^(٤)، ومن المصنَّفات المستقلة كتاب

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٣٨.

فسر ابن عاشور الآية: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ مبيناً سبب تعدية فعل (كتب) باللام فيها، إذ يقول: "عدم اكتراث المسلمين بالمصيبة وانتفاء حزنهم عليها لأنهم يعلمون أَنَّ ما أصابهم ما كان إلا بتقدير الله لمصلحة المسلمين في ذلك، فهو نفع محض كما تدل عليه تعدية فعل (كتب) باللام المؤذنة بأنَّه كتب ذلك لنفعهم." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢٣/١٠.

(٢) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الزماني الخطابي عبد القاهر الجرجاني، ٥٩-٦٠.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٢٦٥.

(٤) ويُقصد به: "الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير =

"درة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز" للخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ)^(١)، "البرهان في متشابه القرآن" للكرماني (ت بعد ٥٠٠ هـ)^(٢)، و"ملاك التأويل، القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه من آي التنزيل" لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت ٨٠٧ هـ)^(٣). ومن الكتب المعاصرة "معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم" حيث خصّ مؤلفه القسم الثالث منه بدراسة الفروق الدلالية بين التراكيب المتشابهة، وفصل في تنوع أساليب النظم في القرآن الكريم^(٤). وكتاب "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة في العدول البياني" حيث درس مؤلفه المتشابه اللفظي دراسة مستفيضة^(٥).

— كما امتلأت كتب التفسير بلمحات وإشراقات في هذا المجال، ولاسيما تلك التي اعتنت باللغة مثل: تفسير "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، وتفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، و"على طريق التفسير البياني" لفاضل صالح السامرائي^(٦).

— وتعدّ هذه القاعدة فرعاً على ما قعده الميداني سابقاً، وذلك في القاعدة الخامسة عشرة: "حول التكرير وأغراضه" حيث طلب من المتدبر: "أن يبحث في كلّ نصّ يبدو له أنّه من النصوص المكررة في القرآن،

= أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك ممّا يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان. البرهان في متشابه القرآن، الكرماني، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، ط ٢، (بيروت، دار صادر، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م)، ١١٠.

(١) هو محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان، كان إسكافاً، ثم خطيباً بالري، وتوفي رحمه الله سنة ٤٢٠ هـ، ومن كتبه: "مبادئ اللغة" و"درة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز". انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ١/١٤٩-١٥٠، الوافي بالوفيات، الصفدي، ٣/٢٧١.

(٢) هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني التحوي، تاج القراء، وأحد العلماء الفهماء النبلاء، توفي رحمه الله بعد ٥٠٠ هـ، من تصانيفه: "لباب التفسير"، و"الإفادة في النحو". انظر: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م)، ٦/٢٦٨، بغية الوعاة، السيوطي، ٢/٢٧٧.

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر الغرناطي، الحافظ التحوي المؤرخ، ولد عام ٦٢٧ هـ، وتوفي سنة ٧٠٨ هـ، ومن كتبه: "ملاك التأويل في المتشابه اللفظي في التنزيل"، و"البرهان في ترتيب سور القرآن"، انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ١/٩٦، الأعلام، الزركلي، ١/٨٦.

(٤) انظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد محمد داود، ٥١١-٦٣١.

(٥) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة في العدول البياني، محمد ماجد العطائي، (دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٢ هـ/٢٠١٠ م).

(٦) هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، ولد في سامراء سنة ١٩٣٣ م، قضى ما يقارب أربعين عاماً أستاذاً للنحو في جامعة بغداد، من أبرز مؤلفاته معاني النحو، على طريق التفسير البياني. انظر: <http://islamiyyat.com/2009-02-03-05-19-05/>

ليكتشف غرض التكرير إذا كان النص مكرراً حرفياً، وليكتشف فوارق المعاني إذا كان النص المكرر مختلفاً ولو بعض الشيء، ولو بكلمة أو حرف في كلمة.^(١)

- ومن الواضح جداً تكامل مضمون هذه القاعدة مع ما جاء في القاعدة الرابعة والعشرين: "حول التنوع في أساليب الأداء البياني"، فلو أن الميداني جعلهما قاعدة واحدة لكان أولى، ولكن ربما أراد في كل منهما التنبيه على جانب معين من جوانب بلاغة القرآن الكريم.

- ولا بد من الإشارة هنا إلى تنوع أساليب التعبير في النظم القرآني (في النصوص التي تعالج موضوعات متماثلة أو متشابهة أو متقاربة) بين التذكير والتأنيث، وبين التعريف والتشكيك، وبين الفعل المضارع والوصف المشتق، والتنوع والدقة في ألفاظ الجملة القرآنية، وبين التوكيد وتركه، وتنوع الاسم الموصول، والتنوع في أساليب العطف، وبين التقديم والتأخير، وغيرها.^(٢)

- ملحوظات على المثال الثاني والرابع من أمثلة القاعدة:

- المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْجِبَالَ مَدَابِرَ وَمَا جَاءَ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل/ ١٢]

نجد نصوصاً أخرى في موضوع الآيات والظواهر الكونية، ذات أساليب تعبيرية مختلفة، لم يشر إليها الميداني هنا، ولم يبين أغراض اختلاف التعبير فيها.

كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج/ ٦٦] ففي هذا التعبير دعوة إلى التأمل والتدبر، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ [الزخرف/ ١٣] الذي يتضمن معنى الإقرار والإخبار.

- المثال الرابع:

من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام/ ٩٥]

ذكر الميداني أن التنوع في التعبير بين الفعل المضارع (يخرج) الدال على التجدد، واسم الفاعل (مخرج) وهو وصف له معنى الثبات فيه "إشارة إلى أن إخراج الحي من الميت يأتي متدرجاً في أطوار، أمّا إخراج الميت من

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٣٠٧.

(٢) انظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد محمد داود، ٦٦٣-٦٧١.

الحَيِّ فيأتي مرّةً واحدةً، دون أن يمرّ في أطوارٍ، فالحيُّ يموت حين يلفظ النَّفس الأخير.^(١) والملفت للنظر أنّه في تفسيره عدل عن الإشارة إلى ذلك، وقال: "ومحاولات استخراج حكمٍ بلاغيّ من هذا يفضي إلى ادّعاءات وتكليفات لا داعي لها."^(٢) والأصل في ذلك أنّ المفسّر إذا لم يتوصّل أو يهتدي إلى الحكمة أو الغرض البلاغيّ فعليه أن يعتذر عن ذلك فعسى أن يأتي مفسّرٌ آخر ويكتشف تلك الحكمة أو الغرض البلاغيّ. وإنّ الادّعاء والتّكليف في التّفسير - كما قال الميداني - مرفوضٌ ولكنّ البحث العلميّ مطلوبٌ في مثل هذه الآيات التي تتضمّن إشاراتٍ علميّةً.

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٣٩.

(٢) معارج التّفكّر، الميداني، ٣٤٥/١١.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

- تجلّى أثر هذه القاعدة في تفسير الميدانيّ في إبراز ما سمّاه "الإعجاز التكامليّ" في القرآن الكريم - لاسيّما في عرض القصّة الواحدة - حيث قام بجمع عدد من النصوص التي تعالج موضوعاتٍ متماثلةً أو متشابهةً أو متقاربةً، ومقارنة بعضها مع بعض، مظهرًا أغراض الاختلاف في التعبير بينها، كما فعل في القاعدة السادسة: "حول تكامل النصوص القرآنيّة في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التكرير لمجرّد التأكيد ما أمكن"^(١) التي تندرج أيضاً تحت القاعدة الخامسة عشرة: "حول التكرير وأغراضه"^(٢)، وأداته في ذلك التأمل العميق.

ومن الأمثلة الموضّحة للقاعدة، نذكر:

- عبّر في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان/٢٩]، بحرف الجرّ: (إلى) في قوله ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، بينما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر/١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر/٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الزّعد/٢] قد استعمل حرف الجرّ (اللام) في قوله ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فنجد الميدانيّ هنا قد تابع الزّمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) في رفضه الشّديد في ترك القول بالفروق اللّغويّة، ويجب إظهار الحكمة من هذا التّنويع، فالمخالفة ليست مجرّد تفنّن في النّظم، إذ يقول: "إنّ من معاني "الأجل" المدّة المحدّدة للشيء، والمحصورة بين أوّل وآخر، وهذا المعنى يناسبه ويلائمه استعمال حرف (اللام) للإشارة إلى قيام كلّ من الشّمس والقمر بوظائفهما التي سخّرهما الله تعالى لها طوال هذا الأجل... ومن معاني "الأجل" غاية الزّمن المحدّد لشيء ما، وهذا المعنى يلائمه ويناسبه استعمال حرف (إلى) أي: كلّ يجري إلى بلوغ غاية الزّمن المحدّد، إذ يتوقّف جريانها عنده."^(٣)

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٦٧، وتصلح جميع الأمثلة الواردة في القاعدة السادسة أن يمثّل بها هنا.

(٢) المرجع السابق، ٣٠٧.

(٣) معارج التفكير، الميداني، ١٠٤/٧، يرى الزّمخشري أنّ كلا المعنيين ملائم لصحة الغرض؛ "لأنّ قولك يجري إلى أجل مسمّى: معناه يبلغه وينتهي إليه. وقولك: يجري لأجل مسمّى: تريد يجري لإدراك أجل مسمّى، تجعل الجري مختصّاً بإدراك أجل مسمّى. ألا ترى أنّ جري الشّمس مختصّ بآخر السنة. وجري القمر مختصّ بآخر الشّهر. فكلا المعنيين غير ناب به موضعه." الكشاف، الزّمخشري، ٥٠٩/٣.

- يُلاحظ في سورة "إبراهيم" أنه جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٦) [إبراهيم]، التعبير بـ: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

أما في سورة "الأعراف" فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (١٤١) [الأعراف]، التعبير بـ: ﴿يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، واهتدى الميداني إلى دلالة زائدة عن مجرد التنويع البياني، وهي أن: "القاعدة العامضة كانت تذيبها بأداة حديدية حادة، كالسكين، ولكن إذا لم توجد أداة حادة كان القتل بأيّة وسيلة أخرى، كالخنق، والضرب بحجرٍ على مقتل." (١)

فيلاحظ من المثالين السابقين أن الميداني بعد جمعه للنصوص القرآنية ذات الموضوعات المتماثلة أو متشابهة أو متقاربة قد أبرز لطائف معانٍ أشارت إليها الفروق الدقيقة التي استخرجها بالتأمل العميق؛ فظهر الأثر المعنوي والبلاغي الذي تركه التنوع الأسلوبي في تلك النصوص. (٢)

(١) معارج التفكير، الميداني، ٢٨/١٤-٢٩.

وفرق الشعراوي بين الذبح في قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، والقتل في قوله: ﴿يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾

إذ قال: "الذبح لا بدّ فيه من إراقة دماء، والذبح عادة يتمّ بقطع الشرايين عند الرقبة، ولكنّ القتل قد يكون بالذبح أو بغيره كالخنق والإغراق، كلّ هذا قتل ليس شرطاً فيه أن تسفك الدماء." وقال في موضع آخر إنّ "قتل الذّكران أخذ أكثر من صورة، فمرة يُذَبِّحُونهم ومرة يخنقونهم." خواطر الشعراوي، محمّد متولّي الشعراوي، (مصر، مطابع أخبار اليوم، د.ت)، ٣٢٧/١

(٢) ومن أمثلة التنوع الأسلوبي والغرض منه انظر أيضاً:

- في سورة "الأعراف" الآية (١٦٢، ١٦١) وسورة "البقرة" الآية (٥٨، ٥٩)، انظر: معارج التفكير، الميداني، ٦٤٩/٤-٦٥٣.

- في سورة "الأعراف" الآية (١٨٩) وسورة "النساء" الآية (١)، انظر: المرجع السابق، ٩٤/٥-٩٥.

- في سورة "الأنعام" الآية (١١٧) وسورة "القصص" الآية (٨٥)، خرجت هاتان الآيتان عن القياس العربي، في أنّ أفعال التفضيل لا يتعدّى إلى المفعول به مباشرة، انظر: المرجع السابق، ٤٩٩/١١.

- في سورة "فصلت" الآية (٣٦) وسورة "الأعراف" الآية (٢٠٠)، انظر: المرجع السابق، ٥١٢/١٢-٥١٣.

٤ - عنوان القاعدة: "حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيراتٍ مختلفاتٍ موزَّعاتٍ على الأشباه والنظائر للدلالة على التَّكامل البياني فيما بينها وطرْد استعمالها في سائرهما"^(١)

المطلب الأوَّل: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أَوَّلًا: القاعدة:

على متدبِّر كتاب الله ﷻ ملاحظة: "أسلوب تخصيص كلٍّ من الأشباه والنظائر"^(٢) في النصِّ بتعبيرٍ يفيد معنىً خاصًّا، وهذا التعبير يصلح أطْراده في سائر الأشباه والنظائر، وتوزيع التعبيرات ذوات الدلالات المختلفة على الأشباه والنظائر يحصل الاستغناء عن إعادة كلِّ شبيهٍ ونظيرٍ عدَّة مرَّاتٍ بعدد هذه التعبيرات، للإتيان به في كلِّ مرَّةٍ مقترنًا بواحدٍ منها حتى استغراقها."^(٣)

(١) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٥١٥. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الثالثة والعشرون.

(٢) استعمل الميداني في هذه القاعدة مصطلح "الأشباه والنظائر"، ولكن ما معنى "الأشباه والنظائر"؟

الأشباه، لغةً: جمع شَبَّه، "والشَّبَّه والشَّبَّيه المِثْل، وأشَبَّه الشيءَ مائِله". لسان العرب، ابن منظور، مادة (شَبَّه)، ٥٠٣/١٣ والنظائر، لغةً: جمع نظير، والنظير المِثْل، وقيل المِثْل في كلِّ شيءٍ، والنظائر في الكلام والأشياء كلّها. مادة (نظَر) انظر: المرجع السابق، ٢١٩/٥ أمَّا في الاصطلاح فقد ورد في مقدِّمة كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" تعريف الوجوه والنظائر، إذ يقول: "أن تكون الكلمة الواحدة، ذُكرت في مواضع من القرآن، على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكلِّ مكان معنى غير الآخر. فلفظ كلِّ كلمة ذُكرت في موضع، نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كلِّ كلمة بمعنى غير المعنى الآخر هو الوجوه. فإذا النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر". نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ٨٣

و"الأشباه" هي الاصطلاح الثالث الشائع عند الحديث عن هذا العلم، وأوَّل ما أُلِّف فيه كتاب "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ). وللباحثة سلوا العوّاء، رأي في هذه التسمية، إذ تقول: "وضعها - أي الأشباه - مكان كلمة (الوجوه) يوحي بأنَّها كلمة أخرى للمعنى نفسه، وهو ما لا يستقيم بالمعنى نفسه، ولا يستقيم - كذلك - بالمنطق العقلي؛ لأنَّ الوجوه معانٍ أو مفاهيم مختلفة فكيف تسمَّى (أشباهاً) وهي كلمة دالَّة على الاتفاق والتماثل؟ فهل تكون الأشباه هي الألفاظ المتماثلة، وتكون النظائر هي الآيات التي ترد فيها الأشباه، بحيث لا يكون في هذه التسمية (الأشباه والنظائر) جزء يشير إلى المعاني أو الدلالات. ربَّما يكون الأمر هكذا، ولا دليل لدينا على صحَّته أو انتفائه!". الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوا العوّاء، ٤٧-٤٨. وسيأتي فيما بعد بيان المقصود بالأشباه والنظائر في قاعدة الميداني، حيث لم يقصد بهما المعنى الاصطلاحي لهما.

(٣) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٥١٥.

ثانياً: بيان القاعدة:

- وصف الميداني أسلوب تخصيص الأشباه والنظائر المذكور في القاعدة بأنه: "من التّكامل البيانيّ البديع في القرآن الكريم"^(١)، مع الانتباه إلى أنّه لا ينفي موضوع ملائمة التّعبيرات ذوات الدّلالات المختلفة للأشباه والنّظائر في النّصّ الواحد، إنّما يوجّه المتدبّر لملاحظة أنّه: "مع التّوزيع التّكاملي في العبارات ذوات الدّلالات المختلفة براعة انتقاء التّعبير الأكثر ملائمة للشّبيه الذي يُقرن به، مع صلاحية التّعبيرات الأخرى له."^(٢) وتتجلّى أهميّة الاستغناء في هذا الأداء البيانيّ - كما يقول - بأنّه "إيجاز رائع من جهة، ومسرّة لنباهة الأذكياء، وتخلّص من الرّكاكة التي يجلبها التّكرير في طريقة التّعبير."^(٣)

- ويضاف إلى الإيجاز الرّائع الذي يُستفاد من تطبيق هذه القاعدة، والذي ينطوي على تكثير المعاني بكلامٍ قصيرٍ، ويناسب أصنافاً من النّاس كالأذكياء والأمرء وأهدافاً خاصّة للمخاطبين، يضاف مراعاة الجمال والفنّيّة بالأداء البيانيّ، وقد نصّ عليه أثناء عرضه للأمثلة.^(٤)

- وقد عرض ثلاثة أمثلة للقاعدة^(٥)، وسنعرض منها المثال الأوّل:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾ [المحرات]، ينهى الله ﷻ الذين آمنوا عن ستّ قبائح اجتماعيّة (السّخرية، اللّمز، التّنابز بالألقاب، اتّهام المؤمنين بالظّنون الضّعيفة التي لا تقوى على الاتّهام، التّجسّس على المؤمنين، الغيبة للمؤمنين المتّقين)، وهذه القبائح أشباه فيما بينها ونظائر، كأنواعٍ من جنسٍ واحدٍ - في تصوّر الميدانيّ - انفردت بألوانٍ تعبيريّة ذات دلالاتٍ خاصّة.^(٦)

ويلحظ أنّه "يصحّ في كلّ من هذه المنهيات استعمال التّعبيرات الأخرى، لتؤدّي فيه دلالاتها، فيقال مثلاً في

(١) قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٥١٥.

(٢) المرجع السابق، ٥١٥.

(٣) المرجع السابق، ٥١٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥٢٧.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٥١٦-٥٢٨.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٥١٧.

السُّخْرِيَّةُ مع ما جاء في النَّصِّ: (لا تسخروا من أنفسكم - ولا تتساخروا - اجتنبوا السُّخْرِيَّةَ - لا تسخروا - لا يسخر بعضكم من بعض)، فأغنى أسلوب التَّعبير الذي جاء في واحدةٍ منها عن إعادته في سائرهما فتكاملت التَّعبيرات في أداء المقصود من دلالاتها المختلفة. ^(١)

وتَمَّ بذلك الاستغناء في الأداء البيانيِّ بتعبيراتٍ مختلفاتٍ موزَّعاتٍ على الأشباه والنِّظائر (القبايح السَّت) للدِّلالة على التَّكامل البيانيِّ فيما بينها وطرده استعمالها في سائرهما.

وقد بيَّن الميدانيُّ أيضاً في هذا المثال الدِّلالات الخاصَّة وبراعة انتقاء كلِّ صيغةٍ تعبيريةٍ لكلِّ قبicheٍ من هذه القبايح السَّت، نذكرها باختصار:

السُّخْرِيَّةُ تغلب فيها المشاركة الجماعية، فجاء التَّعبير فيها بأسلوب: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾.

واللَّمز يغلب فيه الطَّابع الفرديُّ الخفيُّ، فجاء التَّعبير فيه بأسلوب: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وللدِّلالة على أنَّ من لَمَز أخاه المؤمن فكأنَّما لَمَز نفسه.

والنِّبْز باللقب عمل تغلب فيه المشاركة بين فريقين، من أجل ذلك جاء التَّعبير فيه بأسلوب: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

وأفضل وسيلة لترك الظَّن الذي يَأْثَم به صاحبه هو اجتناب كثير من الظَّن، فجاء التَّعبير فيه بأسلوب: ﴿اجْتَنِبُوا﴾.

والتَّجَسُّس يغلب فيه العمل الفرديُّ ضدَّ فرد أو جماعة، فجاء التَّعبير فيه بأسلوب: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. والغيبة ظاهرة يؤذي ويضرُّ بها النَّاس بعضهم بعضاً، إذ فيها مغتاب وسامع مشارك له أو أكثر، فجاء التَّعبير في النَّهي عنها بأسلوب: ﴿وَلَا يَعْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ودلالة كلِّ تعبيرٍ من هذه التَّعبيرات يصلح تعميمها على سائر القبايح السَّت، كما أشرت.

وهذا من روائع الإعجاز البيانيِّ، كما ظهر للميدانيِّ رحمه الله، والله أعلم. ^(٢)

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥١٦-٥١٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥١٧ - ٥١٩، لم يشر أحد من المفسِّرين - حسبما اطلعت عليه الباحثة - إلى هذا البيان في الآية.

المطلب الثاني: المناقشة:

- تتعلّق هذه القاعدة بظواهراتٍ بيانيّةٍ اكتشفها الميدانيّ في القرآن المجيد^(١)، وأضافها إلى علم البيان^(٢) في كتابه "البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها" وذلك في الفصل الخامس: "منهج البيان القرآنيّ في التّنوين والتّكامل وفي حكاية الأقوال والأحداث والقصص"، ضمن المقولة الأولى: "منهج البيان القرآنيّ في التّنوين والتّكامل" أثناء حديثه عن التّكامل في أساليب البيان القرآنيّ بين الأشباه والنّظائر، وعدّ ذلك من روائع الإبداع في البيان القرآنيّ^(٣). مع العلم أنّه نقل كلامه في هذا الموضوع من "قواعد التّدبّر الأمثل" إلى "البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها" كما هو، من غير أن يضيف أي جديد عليه، إذ لم يظهر له جوانب جديدة في الموضوع.

- ويُلحظ أنّه استند في نصّ القاعدة على المعنى اللّغوي للأشباه والنّظائر في المعاني الفكرية، ولكنّه لم يوضّح ذلك في بيانه للقاعدة، ممّا يكفل أن يذهب ذهن القارئ لأوّل وهلة إلى أنّه قصد بكلامه علم الوجوه والنّظائر، وهذا يجعل القاعدة غير واضحة إلّا بعد فهم المثال التّطبيقي عليها، والانتباه إلى إشارة الميدانيّ إلى أنّ الأشباه والنّظائر، كأنواع من جنسٍ واحدٍ، ومن الواضح أيضاً أنّ فهم هذه القاعدة المركّبة وتطبيقها يحتاج إلى دقّة، ومزيدٍ من التّدبّر العميق.

- ويُشار أيضاً إلى أنّه وإن كان في الاستغناء المستفاد من تطبيق القاعدة إيجازاً وتكثيفاً لدلالات المعاني قصد الميدانيّ تفعيده بهذه القاعدة، لكنّه لم يلفت نظرنا إلى مدى تمكّن التّعبيرات ذوات الدّلالات المختلفة في مكانها عندما تكون فواصل قرآنيّة، أي تمكّن الفاصلة القرآنيّة في هذه الحالة في مكانها، ومدى اتّساقها مع الفواصل القرآنيّة الأخرى في نفس السّورة، فغيّب الميدانيّ بذلك الأثر اللفظي والجمالي للفاصلة القرآنيّة^(٤).

أمّا فائدة التّخلّص من الرّكاكة التي يجلبها التّكرار في طريقة التّعبير، فقد يُفهم منها أنّ التّكرار بذاته أسلوب فيه ركاكة، ولكنّ واقعه في القرآن الكريم يؤكّد لنا أنّه جاء لإضافة معنى أو لتحقيق غرضٍ بلاغيّ جديدٍ وهذه هي البلاغة بعينها، لذا كان على الميدانيّ أن يضبط معنى التّكرار، إذ الرّكاكة لا تلحق إلّا التّكرار

(١) انظر: البلاغة العربيّة، الميداني، ٢/٣٢١.

(٢) انظر الصّفحة (١٦٨).

(٣) انظر: البلاغة العربيّة، الميداني، ٢/٣٣٥.

(٤) انظر تعريف الفاصلة القرآنيّة والحديث عن القيمة اللفظية والجمالية له في مبحث الفاصلة القرآنيّة.

المجاني الذي لا يقترن بفائدة أو غرضٍ بلاغيٍّ أو فكريٍّ.

- ولم يظهر تطبيق القاعدة بشكل يبيّن مضمونها إلا في المثال الأول، أمّا في كلّ من المثالين الثاني والثالث اللذين عرضهما الميدانيّ تطبيقاً للقاعدة، فنجد الاضطراب والإيهام والتّطبيق غير الواضح فيهما.

ففي المثال الثاني، من قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ أَلَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِأَنَّ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِأَنَّ هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِأَنَّ هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِأَنَّ هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِأَنَّ هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾ [النمل]

يقول الميدانيّ: "إنّ ختم كلّ فقرة منها يصلح لأن يكون ختاماً لسائر الفقرات، مع أنّ كلّ فقرة منها قد خُتِمت بما هو ألصق بها، وأكثر ملاءمة لها فاختيار كلّ ختام ليكون خاتمة الفقرة بعينها فيه مراعاة الأمر المناسب، مع الإشارة بالجمع العام إلى صلاحيّته للتعميم على كلّ الآيات. فيمكن أن نقول في كلّ منها: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونَ - بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ - قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ - هَآتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾" ^(١) ويلحظ من كلامه هذا أنّه عدّد صدور الآيات أشباهاً ونظائر، وقد ختمت كلّ آية منها بختام ذي دلالة خاصّة، يصلح تعميمه على سائر الآيات، فحصل بذلك الاستغناء في الأداء البيانيّ.

لكنّه خالف بذلك نصّ قاعدته، إذ إنّّه لم يعمّم التّعابير في الأشباه والنظائر - كما فعل في المثال الأول - إنّما عمّم خواتيم الآيات التي انفردت بدلالاتٍ خاصّةٍ على كلّ عناصر النصّ القرآنيّ السّابق. تؤدّي معنىً مختلفاً ومنافياً للآخر.

- وما قيل في نقد هذا المثال ينطبق على المثال الثالث من أمثلة القاعدة.

- وتشير الباحثة إلى عدم التزام الميدانيّ في تفسيره، تطبيق القاعدة على كلّ من الآيات الواردة في المثالين

(١) قواعد التّدبر الأمل، الميداني، ٥٢٤.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

- توصلت الباحثة بعد تتبع الميداني في تفسيره للسور المكيّة إلى أنّه لم يلتزم تطبيق هذه القاعدة، فلم يظهر الأثر التطبيقي لها في تفسيره "معارج التفكير ودقائق التدبر".
- وتبقى هذه القاعدة لفئة بيانيّة بديعة منه كان له سبق التنبيه عليها، وإبداعاً لم يسكبه في مصطلحات ومقاييس منضبطة، لذا يبقى مرتبطاً بتذوق المفسر وقدرته الأدبيّة الخاصّة.
- ويمكن القول بأنّ هذا النّجاح النسبي لهذه اللفّة البلاغيّة التي طبّقها في سورة "الحجرات" ما كان ينبغي أن يبيّن عليه قاعدة كليّة منضبطة قابلة للتطبيق على آلاف الجزئيات تعمّم في القرآن الكريم، لاسيّما أنّه نفسه عجز عن تطبيقها أو الإتيان بتطبيقات مناسبة لها، فحبذا لو أنّ الميداني اكتفى بالإشارة إليها في حدود عمله التفسيري عند تمكّنه من تطبيقها فقط لكان أفضل.

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ١٢٧/٩-١٤٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٣/٥٢٧-٥٣٨. قوله تعالى في سورة "التحل": ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)﴾.

٥ - عنوان القاعدة: "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

"على متدبر كتاب الله ﷻ أن يتتبع في الموضوع الواحد كل النصوص القرآنية المتعلقة به، ويتدبرها معاً ملاحظاً تكامل دلالاتها، ومستبعداً ما أمكن تصوّرات التكرار، فالأصل التأسيس لا التأكيد"^(٢). "^(٣)

ثانياً: بيان القاعدة:

- وضع الميداني مبدأ تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وهو: "كل نص من النصوص الواردة حول موضوع واحد، يشتمل على ما يملأ فراغ حبة في عقد الموضوع، ويمتاز ببيان فكرة إذا انضمت مع سائر الأفكار التي أبانها سائر النصوص، تكامل بيان الموضوع بكل عناصره، ومن كل جوانبه."^(٤) وهذا المبدأ يقتضي نفي تكرار النصوص القرآنية التي تدور حول موضوع واحد. فالتأسيس في كل نص من تلك النصوص، أي: فهمه على أنه يحمل فكرة جديدة، مقدّم على التأكيد، أي: فهمه على أنه يؤكّد فكرة سابقة.^(٥)

ويحتاج المتدبرون للاهتمام إلى مبدأ التكامل بين النصوص إلى أمرين، هما: "التدبر العميق، والبحث المستقصي لأطراف الموضوع."^(٦) مع التنبيه إلى أنّ الذين لا يفهمون هذا المبدأ سيقعون في أخطاء، وهي أهم: "لا يتنبّهون إلى المعنى المضاف الذي اشتمل عليه النص الثاني، ويفرقون بين آيات الله ﷻ في كتابه

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٦٧ وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: السادسة.

(٢) الأصل في الكلام التأسيس لا التأكيد: هذه قاعدة من القواعد الأصولية المتفرعة عن القاعدة الكلية "إعمال الكلام أولى من إهماله"، التي قررها علماء الأصول، فهم متفقون على أنّ التأكيد على خلاف الأصل؛ لأنّ الأصل في وضع الكلام إنّما هو إفهام السامع ما ليس عنده، فإذا دار اللفظ بين التأسيس والتأكيد، تعيّن حمله على التأسيس. انظر: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، الأسنوي، تحقيق: محمد حسن هيتو، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ)، ١٦٦، البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ١/٤٨٤

(٣) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٦٧.

(٤) المرجع السابق، ٦٨.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٦٩.

(٦) المرجع السابق، ٦٧.

فيفهمونها أشتاتاً ولا يتدبرونها على أنها وحدة مجتمعة، وأنّ كلاً منها يملأ فراغاً من الموضوع العام لا يزاحم فيه غيره. ومنها أنهم قد يطبقون بعض الآيات على بعض فيجعلونها مكررات، ويلغون بذلك الدلالات الخاصّة التي انفرد بها كل نصّ.^(١)

— ولما كان تكامل الموضوعات القرآنيّة أكثر ما يكون ظهوراً في القصص القرآنيّ، فإنّ أغراض التّوزيع المتكشّفة فيها على سورٍ ومراحل من التّنزيل — كما وضّحها الميداني — هي:

الأوّل: إنّ الإبداع البيانيّ البليغ يكون أكثر ارتقاءً وأعلى كعباً بمثل هذا التّوزيع.

الثّاني: استغلال المناسبات لإيراد الشّاهد التّاريخي عند المناسبة الدّاعية إلى ذكره، مع إبراز ما يتصل بالمناسبة منه.

الثّالث: تحقيق الإعجاز التّكامليّ في رواية القصّة.^(٢)

— وهناك أمر مهمّ نبّه إليه، وتجب ملاحظته في طريقة تفسير القرآن بالقرآن^(٣)، وهو "توزيع دلالات الآيات على المعاني التي تملأ فراغات في ساحة الموضوع، أو في خريطة الموضوع، فهذا أولى من تجميعها وتطبيقها جميعاً على فكرة واحدة، بل هو الذي يوجب التّدبر الصّحيح لكتاب الله المجيد.^(٤)

— وقد قام بجمع النّصوص المتعلّقة بأحد عشر موضوعاً من الموضوعات القرآنيّة المتنوّعة، وتدبرها وفق منهج تكامليّ.^(٥) ونكتفي هنا بعرض مثالين فقط، هما:

المثال الثاني: في موضوع النّهي عن قتل الأولاد، جاء نصّان في القرآن الكريم متكاملان، هما: قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (٣١) [الإسراء]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام/١٥١]

في النّصّ الأوّل وهو الأسبق نزولاً يبيّن الميداني أنّ الله عيّن الميادان، وعطف عليه تكفّله برزق أوليائهم المنفقين عليهم، وذلك في موضوع محاولة قتل الأولاد؛ خشية حدوث الفقر في المستقبل بسبب

(١) قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٦٩.

(٢) انظر: المرجع السّابق، ٧٠.

(٣) هي: "الرجوع إلى القرآن نفسه، وذلك بأن ينظر في القرآن نظرة فاحص مدقّق، ويجمع الآيات التي في موضوع واحد، ثمّ يقارن بعضها ببعضها الآخر، فإنّ من الآيات ما أجمل في مكان وفُسّر في مكان آخر، ومنها ما أوجز في موضع وبُسط في موضع آخر، فيحمل المجرى على المفسّر، ويشرح ما جاء موجزاً بما جاء مُسهباً مُفصّلاً." التفسير والمفسرون، حسين الدّهبي، ٢٧٣/١.

(٤) قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٧١.

(٥) انظر: المرجع السّابق، ٧١-١٣١.

الإنفاق عليهم، والفقر أمرٌ محذورٌ وقوعه في المستقبل المجهول وليس واقعاً في الحال. أمّا في النصّ الثاني فإنَّ الله ﷻ قد تكفّل برزق الأولياء، وعطف عليه تكفّله برزق أولادهم، وذلك في موضوع محاولة قتل الأولاد؛ تخلصاً من أزمة الفقر الواقع فعلاً، فكان المناسب هنا تقديم التّعهد برزق الأولياء على التّعهد برزق أولادهم.^(١)

"فتكامل النصّان، وتمّ الموضوع من مختلف جوانبه، وحصل مع ذلك تأكيد النّهي عن قتل الأولاد الذي هو أساس الموضوع بما جاء في النصّ المتأخّر."^(٢)

المثال العاشر: في موضوع إثبات شمول علم الله ﷻ الذي لا يعزب عنه مثقال ذرّة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، نصّان هما:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس]

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ]

ونجد الميداني يطبّق مبدأ التّكامل القرآنيّ عليهما، ففي النصّ الأوّل: "لما جاء بعد بيان أنّ الله شهيد على أعمال الناس، ناسبه أن ينصّ على التّعميم، بإيراد (من) الزائدة... وناسبه أيضاً أن يقدّم الحديث عن الأرض قبل الحديث عن السّماء، لأنّ النّاس من سكّان الأرض."^(٣) وأمّا في النصّ الثاني "فالحديث عن شمول علم الله لما في السّماوات أولى بالتّقديم في هذا المقام، إذ يتعلّق بقضيّة كلّية، غير مرتبطة بمناسبة خاصّة تتعلّق بالنّاس."^(٤) وبهذا بيّن الفروق البيانيّة بين النصّين اللذين تكاملا في فنيّة الأداء البيانيّ، مع استبعاد

(١) انظر: قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٧٤-٧٥.

(٢) المرجع السابق، ٧٥، وأشار ابن عاشور إلى الفروق ذاتها بين هاتين الآيتين أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ إذ يقول: "الإملاق الدّافع للوّد المحكي به في آية الأنعام هو إملاق الآباء، فقدّم الإخبار بأنّ الله ﷻ هو رازقهم، وكَمَل بأنّه رازق بناهم. وأمّا الإملاق المحكيّ في هذه الآية، فهو الإملاق المحشيّ وقوعه. والأكثر أنّه توقّع إملاق البنات كما رأيت في الآيات، فلذلك قدّم الإعلام بأنّ الله ﷻ رازق الأبناء، وكَمَل بأنّه رازق آبائهم. وهذا من نكت القرآن." التّحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨٨/١٥

(٣) قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ١٢٠.

(٤) المرجع السابق، ١٢٠، أشار ابن عاشور إلى التّكامل أثناء تفسيره الآية (٦١) في سورة "يونس"، إذ يقول: "وتقدّم الأرض هنا لأنّ ما فيها أعلق بالغرض الذي فيه الكلام، وهو أعمال النّاس، فإنّهم من أهل الأرض، بخلاف ما في سورة سبأ (٣) ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ

احتمال التكرار عنهما. ثم تابع الميداني دراسته التحليلية للنصين، موضحاً سبب تقديم الأصغر من الذرة على الأكبر منها^(١)، وجمي الاستثناء فيهما ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ على طريقة تأكيد عموم النص بما يشبه تخصيصه ببعض أفرادها، فالمدوّن في كتاب مبين محفوظ من الضياع والنسيان والابتعاد عن العلم.^(٢)

المناقشة:

- طبق المفسرون مبدأ تكامل النصوص القرآنية عندما عدّوا تفسير القرآن بالقرآن، من أهم المصادر التي يجب على المفسر أن يرجع إليها عند تفسيره للقرآن الكريم، وهذا أحسن طرق التفسير^(٣).

فإنّه: "لا بدّ لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرّر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض؛ ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مُبيناً على فهم ما جاء مُجملّاً، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسّر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحدٍ مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطّاها إلى مرحلة أخرى، لأنّ صاحب الكلام أدري بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره."^(٤)

- ومن جهة أخرى تنبّه كثيرٌ منهم لمبدأ تكامل النصوص القرآنية عندما تنبّهوا للمعاني الجديدة المستفادة من المكررات في الموضوعات، ولم يقصروها على التأكيد فقط، بل أوقفوا فهمها على النظر إلى سياقها. وكنت قد بيّنت سابقاً^(٥) أنّ بعض العلماء اعتنوا بدراسة الآيات المتشابهات في سياقها وتوجيهها، وذكر أسرارها في مصنّفاتٍ مستقلة.

- وإنّ التكرار في القصص القرآنيّ فيه شيءٌ من التّباين والتّنوع في طريقة العرض، لذا كان محطّ اهتمام المتقدّمين الذين التفتوا إلى أغراض التّوزيع في القصص القرآنيّ، ومنهم أبو بكر الباقلانيّ (ت ٤٠٣ هـ) في كتابه "إعجاز القرآن"، الذي يرى أنّ إعادة القصّة الواحدة بألفاظٍ مختلفةٍ تؤدّي معنى واحداً من الأمر

= عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ ۖ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَقَامَ لِذِكْرِ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَالْغَيْبُ مَا غَابَ عَنِ النَّاسِ، وَمَعْظَمُهُ فِي السَّمَاءِ، لِأَنَّهُ ذَلِكَ أَنْ قَدِّمَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ. "التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١/٢١٤.

(١) إذ إنّ: "لما كانت الموجودات التي هي أصغر من الذرة أبعد عن تصوّر الناس، كانت أخرى بتقدّم توجيه النظر نحوها، من الأشياء التي هي أكبر من الذرة." قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ١٢١.

(٢) انظر، المرجع السابق، ١٢١.

(٣) انظر، مقدمة في أصول التفسير، تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم، ٩٣.

(٤) التفسير والمفسرون، حسين الذهبي، ٣٧/١.

(٥) انظر الصّفحة (٢٢٠).

الصَّعْب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتبين فيه البلاغة.^(١)

كما يرى السيوطي (ت ٩١١هـ) أنَّ التَّكرار القرآنيَّ إمَّا يكون من أجل أن تحدث الفائدة في موضع خلت عنه في الموضع الآخر، ويذكر أن القصَّة القرآنيَّة إذا كرَّرت زاد فيها شيء.^(٢)

ونذكر هنا قول ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)^(٣) في التَّوزيع في القصص القرآنيَّ، إذ يقول: "كانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم.

وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسُّور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناةً ومكرَّرةً لوقعت قصَّة موسى إلى قوم وقصَّة عيسى عليه السلام إلى قوم، وقصَّة نوح عليه السلام إلى قوم، وقصَّة لوط عليه السلام إلى قوم.

فأراد الله ﷻ، بلطفه ورحمته، أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كلِّ سمعٍ، ويثبتها في كلِّ قلبٍ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتَّحذير."^(٤)

وعدَّ أحد الباحثين التَّناسب بين الحلقات القصصية وموضوع السُّورة، مظهرًا من مظاهر وحدة السُّورة وتناسب معانيها، إذ يقول: "وقلَّ أن ترد قصَّة بكلِّ حلقاتها في سورةٍ واحدةٍ، وإمَّا يأتي في سياق كلِّ سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السُّورة ومحورها وأهدافها. وهذا مظهرٌ آخر من مظاهر وحدة السُّورة وتناسب معانيها."^(٥)

- ويُشار إلى أنَّ هذه القاعدة تأتي في إطار الوجوه الفنيَّة المختلفة التي قال الميدانيُّ بأنَّه اكتشفها^(٦) في القرآن المجيد حول منهج البيان القرآنيَّ في حكاية الأقوال والأحداث والقصص، وتبيَّن ممَّا سبق خلاف ذلك.

- ومن الواضح أنَّ الميدانيَّ أثقل قاعدته بالأمثلة الموضَّحة التي ساقها للاستشهاد عليها، والتي أخذت إحدى وخمسين صفحة من كتابه "قواعد التَّدبُّر الأمثل".

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم، الباقلائي، تحقيق: السيّد أحمد صقر، (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، ١/٦١.

(٢) انظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/٣٢٤.

(٣) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري النَّحوي اللَّغوي الكاتب، ولد ببغداد عام ٢١٣هـ، وسكن الكوفة، ثمَّ ولي قضاء الدِّينور مدة، فنسب إليها، وتوفِّي رحمه الله ببغداد سنة ٢٧٦هـ، ومن كتبه: "غريب القرآن"، و"تأويل مختلف الحديث" و"أدب الكاتب".

انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٢/٦٣-٦٤، سير أعلام النبلاء، الدَّهبي، ٢٥/٢٩٩-٣٠٠.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدِّين، (بيروت، دار الكتب العلميَّة، د.ت)، ١٤٩.

(٥) التَّناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد، (الرباط، مطبعة النَّجاح الجديدة، د.ت)، ٦٧.

(٦) إذ يقول: "وأعرض في هذا الفصل الظَّاهرات التي اكتشفتها في القرآن المجيد ضمن مقولتين... الثانية: حول منهج البيان القرآني في حكاية الأقوال والأحداث والقصص."، البلاغة العربيَّة، الميداني، ٢/٣٢١، ولعلَّ الميداني لا يقصد بكلمة اكتشفتها هنا أنَّه لم يسبق إليها، فمن المؤكَّد أنَّه اطَّلَعَ على جهود من قبله، لذا فقد يكون قصده أنَّه ضَمَّها وصاغها ضمن منهج متكامل.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكر ودقائق التدبر":

تبين من خلال البحث اعتناء الميادني بتطبيق هذه القاعدة على نصوص كثيرة من القرآن الكريم - قد يُظن أنها مكررات - تشترك مع بعضها بمواضيع جزئية قصيرة غالباً - حيث قام بسرّها ثمّ جمعها في مكان واحد والنظر فيها - ممّا جعل تفسيره من التفاسير التي تميّزت بجمع النصوص المتشابهة، وإظهار الأثر البلاغي المعنوي فيها، بعد تطبيق مبدأ التكامل عليها، ومثال ذلك:

١- جاء في ختام سورة القلم أن القرآن الكريم ذكر للعالمين، في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥٢)، ويذكر الميادني أن هذا ما سبق بيانه أيضاً في سورة المدثر، من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ (٥٤) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (٥٥)، وسورة المزمل من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل/١٩]. مستبعداً التكرار عن هذه النصوص الثلاثة، فمع تأكيدها لأصل الفكرة فبينها تكامل في المعاني، إذ يقول: "ومع تأكيد أصل الفكرة فبين هذه النصوص الثلاثة تكامل في المعاني فالقرآن تذكرة لمن شاء أن يذكره، ولمن يشاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً، وهو ذكر لكلّ العالمين المكلفين إنسهم وجنّهم." (١)

- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤) حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحقّ قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل (١٠٥) [الأعراف]، العطف بالواو ليس من قبيل عطفها على الجمل التي قبلها، إنّما الإشارة إلى كلام مطوّي جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون، منه ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥) إذ ناداه ربّه بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) [النازعات] (٢)، وجمع الميادني ما جاء في هذا النصّ مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) [الزخرف]، فظهر له "أنّ أول ما بدأ به موسى عليه السلام خطابه لفرعون وملئه، هو قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليعرّف بالمهمّة التي دخل على فرعون وملئه من أجلها، بدليل (الفاء) في: ﴿فَقَالَ﴾. ويدلّ الترتيب الطبعي على أنّ التعلّم الذي جاء في سورة (النّازعات) قد كان عقب بيانه أنّه رسول ربّ العالمين." (٣)

(١) معارج التفكر، الميادني، ٢٠٢/١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٦٣/٤.

(٣) المرجع السابق، ٤٦٣/٤-٤٦٤، وذهب ابن عاشور إلى أنّه قد غُطف قول موسى عليه السلام بالواو، ولم يفصل عمّا قبله، مع أنّ جملة هذا القول بمنزلة البيان لجملة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾ [الأعراف/١٠٣]، لأنّ "جملة ﴿قال﴾ تفصيل لبعض ما تقدّم، فلا تكون مفصولة لأنّ الفصل إنّما يكون بين جملتين، لا بين جملة وبين عدّة جمل أخرى." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٧/٩.

إذاً كان لهذه النظرة التكاملية - من قبل الميداني - التي يجب أن لا تفارق المتدبر لكتاب الله وَعَلَى، كان لها هنا أثر في إظهار بلاغة القرآن الكريم وفهم المعنى المراد من الآيات.^(١)

(١) انظر أيضاً:

- في موضوع وصف القرآن الذي هو كلام منزل من رب العالمين:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾ [البروج]

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾ [الواقعة]

معارج التفكر، الميداني، ٣٩١/٢-٣٩٢.

- في موضوع طعام ناقة سيدنا صالح عليه السلام وشرابها، والعذاب الذي يأخذهم إذا مسّوها بسوء:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف/٧٣]

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)﴾ [هود]

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآءَا شَرِبْتَ وَلَكُمْ شَرِبْتُ يَوْمَ مَعْلُومٍ (١٥٥)﴾ [الشعراء]

المرجع السابق، ٣٧٢/٤-٣٧٤.

- ما جاء في القرآن حول آيات الله في البحرين:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣)﴾ [الفرقان]

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾ [فاطر]

﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ بَلْ أَعْلَمُوا (٦١)﴾

[التمل]

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ (٢٢) فَبِأَيِّ

آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)﴾ [الرحمن]

المرجع السابق، ٥٥٨/٦-٥٦٥.

- ما جاء في القرآن في موضوع تصريف الأقوال والمعاني في القرآن المجيد:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١)﴾ [الإسراء]

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)﴾ [الفرقان]

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣)﴾ [طه]

المرجع السابق، ٦٣٠/٩-٦٣٣.

- قول الله تعالى بشأن المقلّدين تقليداً أعمى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا أَبَاؤُنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ [لقمان]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ [البقرة]

المرجع السابق، ٧٣٨/١١-٧٤٠.

- وقد تعدّى نظره التكاملية إلى ملاحق أفرادها بعد تدبره السورة.^(١)

ومثال ذلك: في موضوع "قصة هود عليه السلام وقومه عاد":

عرض الميداني عشرين نصاً في القرآن الكريم، من تسع عشرة سورة، تتضمن لقطاتٍ من قصة هود عليه السلام مع قومه، عرضها مرتبةً وفق ترتيب نزولها. ثمّ بدأ بمقدمة ذكر فيها أنّه سيتدبر العشرين نصّاً تدبراً تكاملياً، ثمّ بيّن من هم عاد وأين يسكنون، ونسب هود عليه السلام، ثمّ شرع بالنظر التكاملي للنصوص الواردة بشأن هود عليه السلام وقومه مع تدبرها لها تدبراً تحليلياً، في ستّة فصول:

الفصل الأول: لقطاتٌ من مجريات دعوة هود عليه السلام لقومه عاد.

الفصل الثاني: الجدليات بين عادٍ ورسولهم هود عليه السلام.

الفصل الثالث: توجّه كبراء قوم هود لتضليل جماهيرهم مخافة أن يؤمنوا به.

الفصل الرابع: المراحل الأخيرة من مسيرة دعوة هود عليه السلام التي انتهت بإهلاك كفّار قومه.

الفصل الخامس: نصوصٌ خاصةٌ بتوجيه الكافرين برسالة محمد ﷺ للاعطاء بما جرى للكافرين من أهل القرون السالفة.

الفصل السادس: تحذير الرُّسل أو بعض المؤمنين أقوامهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بالمهلكين السابقين.^(٢)

- وقد ينبّه المتدبر لدراسة تكاملية مستقلة لبعض النصوص، كما فعل أثناء تدبره قوله تعالى: ﴿أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف/٤٩]، إذ يقول: "وأضيف هنا أنّ هذا التعبير [أي قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾] قد جاء في القرآن المجيد (١٤) مرّة، وتدبرها ضمن سياقها وسباقها يحتاج دراسةً تكامليةً مستقلةً."^(٣)

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، مثال ذلك: ملحق قصة خلق آدم في القرآن المجيد وما رافقها من أحداث، ٦٦٨/٣-٧٣١، ملحق تدبر بقية ما جاء في القرآن المجيد عن داود عليه السلام بنظرة تكاملية، ٦٤٧-٦٦٨، ملحق بيان أطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم، ٢٨٧/٣-٣٠٠.

(٢) المرجع السابق، ٥٣٣/١٠-٥٧٨.

(٣) المرجع السابق، ٢٥١/٤، انظر أيضاً: ٤٧/١-٤٨، ١٩٤/١٢.

٦- عنوان القاعدة: "حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

"على متدبر كتاب الله ﷻ أن يبحث عن الوجوه البلاغية التي اشتمل عليها أي نص من نصوصه، وأن يعين النظر لاستجلاء الغرض الفكري من الصورة^(٢) البلاغية التي يكتشفها، فليس المهم الإشارة إلى الصورة البلاغية البديعة فقط، بل ينبغي أيضاً استجلاء الغرض الفكري من استخدامها مع غرض الإبداع البلاغي والإعجاز البياني."^(٣)

ثانياً: بيان القاعدة:

- إن بلاغة القرآن العالية تقتضي من المتدبر في هذه القاعدة أن يكون على دراية بعلوم البلاغة وفنونها (المعاني، والبيان، والبديع)^(٤)، متخذاً منها وسيلة يتعرف بها ألوان البلاغة القرآنية، وآفاقها التي ما تزال وجوهها تتجدد حتى لكأنها معين لا ينضب.

- ويستطيع المتدبر - كما يقول الميداني - تمكين تلك العلوم ببحثه عن الوجوه البلاغية في النصوص القرآنية، وسيلحظ انعكاس آثار تلك الدراسة البحثية عليه، إذ سيكتسب ذخيرة فكرية تعبيرية جمالية، ومملكة ذواقة للنصوص الأدبية البشرية من جهة، وارتقاء في نتاجه الفكري من الفنون الأدبية من جهة أخرى.^(٥)

- ونبه الميداني المتدبر في هذه القاعدة على أهمية استجلاء الأغراض الفكرية من الصور البلاغية خصوصاً،

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٠٣، وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الثانية والعشرون.

(٢) عرف الأستاذ "أحمد علي دهمان" الصورة من حيث طبيعتها بأنها: "تعبير عن نفسيّة الشاعر ووعاء لإحساسه وفكره، تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري؛ إذ تقدّم عقدة فكرية وعاطفية في برهة من الزمن، وتوحد بين الأفكار المتفاوتة." الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، أحمد علي دهمان، ط ٢، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠م)، ١٤٢.

(٣) قواعد التدبر الأمثل، ٥٠٣.

(٤) انظر تعريفها: ١٦٧-١٦٨.

(٥) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٠٣.

وعدم الاكتفاء بشرحها فقط، إذ يقول: "ولدى بحث أي جانبٍ بلاغي لا بد من استجلاء الغرض الفكري من الصورة البلاغية، فهذا أمرٌ مهمٌ جداً."^(١)

- ثمّ قدّم أربعة أمثلة موضّحاً فيها الغرض الفكري من الصّور البلاغية الواردة فيها^(٢)، وسنعرض مثالا واحداً فقط، هو:

المثال الرابع:

في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾ [الأعراف]، شرح الميداني أولاً الصّورة البيانية الواردة، إذ يقول: "وفي استعمال الرّسوّ والإرساء للدلالة على وقت انتهاء مسيرة هذه الحياة، استعارة^(٣) قائمة على تشبيهها بالسّفينة، وتشبيه الزّمن بالبحر، وتشبيه انتهاء نظام هذه الحياة الدّنيا بالرسوّ في مرفأ هذا البحر الزّمني."^(٤)

أمّا الغرض الفكري منها، فهو "الدّلالة على معنى فلسفيّ، هو أنّ هذا النّظام الكونيّ بتراتبه وتصاريفه المتتابعة لحظةً فلحظةً، وبالتّغيرات المستمرة التي تجري فيه، يشبه سفينةً جاريةً في البحر، لها في كلّ لحظة موقعٌ وحركةٌ جديداً دائماً، وأنّ هذا التّجدّد لا ينتهي إلّا إذا قامت السّاعة، وانتهى بها كلّ هذا النّظام، كما تتوقّف السّفينة في الميناء، وتلقي مراسيها، وتثبت وتستقرّ عنده."^(٥)

ثمّ أكّد أنّ الاستعارة الواردة في الآية لم تستعمل لمجرّد الإمتاع الفنيّ بصورةً بلاغيةً جماليّة، بل اقترن بها غرضٌ فكريٌّ اشتمل على بياناتٍ ذوات قيمة، مع الإيجاز الشّديد والاقتصاد في العبارة.^(٦)

المطلب الثّاني: المناقشة:

- يمثّل الإعجاز البلاغيّ محور إعجاز القرآن الكريم الذي تحدّى الله ورسوله به العرب فرسان الفصاحة والبيان، فعجزوا عن الإتيان ولو بقدر سورة واحدة من القرآن طالت أم قصرت، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا

(١) قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٥٠٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٠٤ - ٥١٣.

(٣) نوعها هنا تصرّحية (أي صرّح بلفظ المشبّه به).

(٤) قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٥١١.

(٥) المرجع السابق، ٥١١.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٥١١.

نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ [البقرة/٢٣]

وللتعرُّف على ألوان وآفاق البلاغة القرآنيَّة العالية المعجزة، فإنَّه لا بدَّ للمفسِّر من الاطِّلاع على البلاغة وفنونها؛ ليكشف عن الوجوه البلاغيَّة في النُّصوص القرآنيَّة التي يتدبَّرها، ومن أغفل ذلك لم يقع علمه بإعجاز القرآن الكريم، كما يقول أبو هلال العسكري (بعد ت ٣٩٥هـ): "وقد علمنا أنَّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصَّه الله به من حسن التَّأليف، وبراعة التَّركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمَّنه من الحلاوة، وجلَّله من رونق الطَّلَاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتخيَّرت عقولهم فيها." (١)

- وتمثِّل الصُّور البلاغيَّة أهمَّ الألوان والآفاق البلاغيَّة في القرآن الكريم، والسَّمة الأولى للتَّعبير القرآني؛ (٢)
"لأنَّ الصُّورة أقوى تأثيراً في النفوس من التَّعبير المجرَّد، كما أنَّها تزيد من وضوح هذه المعاني في الأذهان، حتَّى تعرض في صورٍ محسوسةٍ قريبةٍ من الإدراك والفهم." (٣)

مع العلم أنَّ الغرض الفكريَّ أحد تلك الأغراض التي تقترن مع أغراض أخرى تؤدِّيها الصُّورة البلاغيَّة كالإيضاح والمبالغة والإيجاز والتَّوكيد والتَّرجيح وغيرها.

- وقد قام كثيرٌ من البلاغيِّين بدراسة الصُّورة البلاغيَّة في القرآن الكريم والشَّعر، كالجرجاني (ت ٤٧١هـ) الذي قدَّم نظرةً جديدةً إلى الصُّورة من خلال العلاقة التي تربط شكلها بمعناها، إذ يقول: "ومعلومٌ أنَّ سبيل الكلام سبيل التَّصوير والصِّيَاغة، وأنَّ سبيل المعنى الذي يعبرُ عنه سبيلُ الشَّيء الذي يقع التَّصوير والصَّوْغ فيه، كالفضَّة والذهب يُصاغ منهما خاتمٌ أو سوارٌ. فكما أنَّ محالاً إذا أنت أردت النَّظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضَّة الحاملة تلك الصُّورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل، وتلك

(١) الصَّناعتين (الكتابة والشَّعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي وغيره، (بيروت، المكتبة العصريَّة، ١٤١٩هـ)، ١.

(٢) انظر: التَّصوير الفنِّي في القرآن الكريم، سيد قطب، (دار الشروق، القاهرة، د.ت)، ٢٤١.

(٣) وظيفة الصُّورة الفنيَّة في القرآن الكريم، عبد السَّلام أحمد الرَّاغب، (حلب، فصَّلت للنشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ٩٩.

الصَّنعة كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزينة في الكلام أن تنظر في مجرد معناه.^(١) وعرض في كتابه "دلائل الإعجاز" للأنواع البليغة مبيناً أن جمالها لا يرجع إلى حسن ألفاظها، إنما قيمتها في كونها صورة للمعاني، والتفت في كتابه "أسرار البلاغة" إلى دراسة الصور الحسية بأنواعها كاللون والهيئة والحركة والصوت والذوق واللمس.

- أمّا المفسّرون فكان لهم الفضل الأكبر في بيان ما في القرآن الكريم من صور بلاغية، وشرح لطبيعتها الفكرية التي تحمل رؤية دينية، إذ إنَّ الصورة القرآنية لا تهدف إلى تصوير الموضوعات التي تتحدث عن المعاني الذهنية والحالات النفسية ومشاهد الطبيعة وغيرها فقط لمجرد التصوير، وإنما لتقلنا إلى المعاني العميقة التي تختفي وراء المعاني الواضحة منها، وهي ما عبّر عنها الجرجاني بـ "معنى المعنى"^(٢)

- ويجب القول هنا إنَّ الصورة البلاغية في القرآن الكريم لا تُدرّس إلّا في ظلّ سياقها القرآني الذي تكتسب فيه إحياءاتها وظلالها، وإنَّ ذلك يزيد من إدراك الأغراض الفكرية لتلك الصور البلاغية (من كناية، وتشبيه، ومجاز) في النصّ القرآني، كما أشار الأستاذ عبد السلام الراغب^(٣)، إذ يقول: "معظم الدراسات البلاغية القديمة، تدرس الصورة المفردة مجرّدة عن سياقها، فتبيّن خصائصها ووظائفها معزولة عن الصورة العامة للنصّ، وهذه الدراسات مفيدة لفهم طبيعة الصورة الجزئية، ولكن الاقتصار عليها وحصر الجهود فيها، وجعلها معياراً للجمال، يضّرّ بالفهم الكلّي للنصّ القرآني، ويضعف من إدراك فكرته التي جاءت الصورة تعبّر عنها في لحمة متماسكة ونسيج فيّ موحّد."^(٤)

وأكدت ذلك أيضاً إحدى الباحثات، إذ تقول: "...وتتكشّف موضوعاتها [الصورة القرآنية] ووظائفها من

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ١٩٧.

(٢) المرجع السابق، ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) هو الأستاذ الدكتور الأديب الداعية عبد السلام أحمد الراغب من مواليد حلب عام ١٩٥٢م، درّس الأدب العباسي في كليّة الآداب، والبلاغة والإعجاز القرآني في كليّة الشريعة بجامعة حلب، ومن مؤلفاته: "بجمع عباد الرحمن"، و"وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم"، و"الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق نصوص قرآنية".

انظر: 07 شباط/٢٠١٩م/ <http://www.odabasham.net>

(٤) وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، عبد السلام الراغب، ٥٧.

خلال ارتباطها بالسياق القرآني، إذ لا يمكن لأي نوع من أنواعها أن يوحي بالفكر المطروح من غير أن يترايط مع السياق العام في القرآن الكريم.^(١)

- وقد عدّ الميداني هذه القاعدة العنصر الثامن من عناصر الجمال الأدبي، وذلك في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"^(٢)، نعم "إنّ الوظيفة الجمالية للصورة وصلت حدّاً معجزاً للبشر، إذ ليس في مقدور البشر أن يأتوا بمثل سور القرآن في التعبير عن المعاني تصوّراً وأداءً وتناسقاً وإيقاعاً وحركة وإيثاراً."^(٣)

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبّر":

- اعتنى الميداني بإبراز كثير من الوجوه البلاغية أثناء تدبّره الآيات، وكذا في المستخرجات البلاغية لكل سورة، وسنعرض هنا بيان مدى عنايته بإظهار تلك الوجوه البلاغية التي تندرج تحت أحد فنون البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)^(٤)، والتي ذكرها في تفسيره ولم يخصّها بقاعدة تدبّرية خاصة، وذلك وفق العناوين الآتية:

أولاً: الوجوه البلاغية المتعلقة بعلم المعاني في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبّر"

- وجّه الميداني اهتمامه نحو الكلمة القرآنية، وتتبّع مواضع ورودها في القرآن الكريم، وتحديد دلالتها في ضوء

(١) الصورة الفنية في القرآن الكريم، دراسة أعدت لنيل درجة الماجستير في الآداب من قبل الباحثة: ألما سليمان المحمّد، بإشراف الأستاذة الدكتورة: هناء دويدري، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، من العام الدراسي ١٤١٥هـ - ١٤١٦هـ، ٧٥.

(٢) انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٨٥/١ - ٨٦.

(٣) الصورة الفنية في القرآن الكريم، ألما سليمان المحمّد، ٢١٧.

(٤) المعاني في اللغة: جمع معنى، ومعنى الشيء ومعناته واحد، ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كلّ هو ما يدلّ عليه اللفظ. انظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي (فصل العين المهملة مع الواو والياء)، ١٢٣/٣٩، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ٦٣٣/٢. وهناك معانٍ أول ومعانٍ ثوانٍ، فالمعاني الأول هي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمّى في علم النحو أصل المعنى، والمعاني الثواني الأغراض التي يُساق لها الكلام. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد علي التّهانوي، ١٦٠٠.

- المعاني اصطلاحاً: "علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٢٣، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ٦٣١ - ٦٣٢، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصّعيدي، ط ١٧، (د.ب، مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ٣٢/١.

والمراد بأحوال اللفظ "ما يشمل أحوال الجملة وأجزائها؛ فأحوال الجملة: كالفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة. وأحوال أجزائها: كأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلّقات الفعل." بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصّعيدي، ٣٢.

ذلك، وبيان ما بينها وبين مثيلاتها من الفروق اللغوية، واستعمالها في أكثر من معنى معاً، وغير ذلك.^(١)

- كما اعتنى بدراسة نظم الجملة، وما فيها من:

١ - الاستفهام^(٢)

يفيد الاستفهام كثيراً من المعاني البلاغية بينها الميداني أثناء تدبره لكتاب الله ﷻ، ومنها:

- إرادة التقرير والامتنان، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)﴾ [الشَّحْ]، إذ جاء الاستفهام لانتزاع

- البيان في اللغة: من (بَيَّن)، والبين بعد الشيء وانكشافه. وبان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف، والبيان الحجة والمنطق الفصيح، والكلام يكشف عن حقيقة حال أو يحمل في طياته بلاغاً. انظر: مقاييس اللغة، (باب الباء والياء وما يثلثهما) ٣٢٧/١-٣٢٨، المعجم الوسيط، ٨٠/١.

- البيان اصطلاحاً: "علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطُرُق مختلفة في وضوح الدلالة عليه." انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٢٠١، المفصل في علوم البلاغة العربية، عيسى العاكوب، ٣٤٩.

وقد رأى الميداني أنّ هذا التعريف ناقص؛ لأنّ "البيان" يهتم أيضاً "بما في الطُّرُق التي يبحثها من عناصر جمالية وإبداعية، ويهتم بتربية الذوق الفني لإدراك نسب الجمال والإبداع، والتّمييز بين مستويات الصّور ودرجاتها جمالاً وإبداعاً، وإدراك الصّور المبتدلة والصّور المزدولة المحرومة من الإبداع أو من الجمال، فأضفت هذه العناصر إلى التعريف." البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ١٢٦/١-١٢٧.

- البديع في اللغة: من البدع، وهو إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة، ويقال أبدع فلان، أي: أتى بما هو مبتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مبدع والشيء مُبدع. انظر: قاموس العين، ابن فارس، (باب العين والدال والباء معهما) ٥٤/٢، لسان العرب، ابن منظور، مادة (بدع) ٨/٦.

- البديع اصطلاحاً: "علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣١٧، معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، (منشورات جامعة طرابلس، لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ٧٢/١ ومحسنات الكلام منها ما هو معنوي ومنها ما هو لفظي:

- المحسنات المعنوية: "هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية معنوية، قد يكون بها أحياناً تحسين وتزيين في اللفظ أيضاً ولكن تبعاً لا أصالة." البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٣٦٩/٢.

- المحسنات اللفظية: "هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية لفظية، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضاً، ولكن تبعاً لا أصالة." المرجع السابق، ٣٦٩/٢.

(١) انظر مثلاً معارج التفكر: (قُتِلَ) ٣٥٩/٢-٣٦٠، (أَيَحْسَبُ) ٤٧٠/٢، (الْبَغْيُ) ١٩٢/٤، (الطُّوفَانُ) ٥١٠/٤، والفصل الأول من هذه الرسالة.

(٢) راجع تعريف الاستفهام في الصفحة (١٢٩).

الإقرار من المشركين بنقيض النفي المستفهم عنه، والامتنان على النبي ﷺ بأن شرح صدره^(١).

- الدلالة على المعاتبة كما في قول الله ﷻ خطاباً لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ [عبس]^(٢)

- إرادة إثارة الانتباه لتلقي الخبر، كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص]^(٣)

- الدلالة على التعجب والإنكار، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف]^(٤)

- الحضُّ والحثُّ على الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان]^(٥)

- توجيه المحاطبين للنظر التفكيري، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر]^(٦)

- إرادة الإعلام بالمستفهم عنه، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزَعُونَ أَرْزًا﴾ [مريم]^(٧)

- إرادة التمني، كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) [الشعراء]^(٨)

- الإرشاد إلى ما هو الصواب، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) [يونس]^(٩)

- إرادة التفاخر، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت/١٥]^(١٠)

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٨٥/١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٦٠/٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦٤٦/٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥٢٨/٤.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٤٢٩/٦.

(٦) انظر: المرجع السابق، ١٤٣/٧.

(٧) انظر: المرجع السابق، ٦٣٤/٧.

(٨) انظر: المرجع السابق، ٧٠٩/٨.

(٩) انظر: المرجع السابق، ٢٧٤/١٠.

(١٠) انظر: المرجع السابق، ٤٨٣/١٢.

- إرادة النَّفْيِ، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)﴾ [الأحقاف]^(١)

- إرادة الاستهزاء والسخرية، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)﴾ [الأنبياء]^(٢)

- إرادة العرض برفق، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨)﴾ [النازعات]^(٣)

٢- القصر^(٤)

أولاً: من أمثلة القصر الحقيقي:

- في مقولة النبي شعيب عليه السلام من قوله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الأعراف/٨٩] قصر حقيقي من قصر الصِّفَةِ على الموصوف، أي: على الله وحده لا شريك له توكلنا، وطريقة القصر هنا: تقديم المعمول (عَلَى اللَّهِ) على العامل (تَوَكَّلْنَا).^(٥)

- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/١١]، قصر حقيقي من قصر الصِّفَةِ على الموصوف، أي:

(١) انظر: معارج التفكر، الميداني، ٢١٠/١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٩٧/١٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦٧/١٥.

(٤) هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشَّيْء الأول هو المقصور، والثَّاني هو المقصور عليه، والطَّرِيق المخصوص هو أدوات القصر، والمراد بتخصيص الشَّيْء بالشَّيْء إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره، وبهذا تكون جملة القصر في قوَّة جملتين، (فمثلاً في جملة: ما كامل إلا الله، كامل: المقصور، والله وَجَلَّ: المقصور عليه، وطريق القصر: النفي مع الاستثناء، وإنَّ هذه الجملة تعادل قولك: الكمال لله، وليس كاملاً غيره). والغرض من القصر الإيجاز، وقد يقصد به تمكين الكلام وتقريره في الدَّهن. انظر: بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصَّعِيدِي، ٦٣، وطرق القصر التي يهتم بها البلاغيون، هي: القصر ببعض الأدوات التي تدل عليه بالوضع اللُّغوي، وهي: النفي والاستثناء (مثاله: ما زيد إلا شاعر)، وكلمتا "إنما" و "أتما" (مثاله: إنما زيد كاتب)، والعطف بالحروف التَّالية: "لا - بل - لكن". (مثاله: زيد شاعر لا كاتب). والقصر بدلالات في الكلام تفهم من: - تقديم ما حقَّه التَّأخير في الجملة. (شاعر هو) - إضافة ضمير الفصل (كقولك: زيد هو المنطلق). - تعريف طرفي الإسناد في الجملة. (كقولك: زيد المنطلق) انظر: البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ١/٥٣٠-٥٣١، ويقسم القصر باعتبار الحقيقة إلى قصر حقيقي (وهو ما يكون فيه النفي لكل ما عدا المقصور عليه، كقولك: "ما خاتم الرسل إلا محمد")، وقصر غير حقيقي (الإضافي) (هو ما يكون فيه النفي لبعض ما عدا المقصور عليه، كقولك: "زيد كاتب لا شاعر" فهو يفيد نفي الشعر فقط، لا كل ما عدا الكتابة من أكل وشرب وغيرهما). وكل واحد منهما ضربان: قصر الموصوف على الصِّفَةِ، وقصر الصِّفَةِ على الموصوف. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الفزوني، ١١٨، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصَّعِيدِي، ٦٣.

(٥) معارج التفكر، الميداني، ٤٢٣/٤.

الله ﷻ وحده السميع لكل ما يمكن أن يُسمع في الوجود كله، البصير لكل ما يمكن أن يُرى في الوجود كله. وطريقة القصر هنا: تعريف طرقي الإسناد: (وَهُوَ) (السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).^(١)

ثانياً: من أمثلة القصر الإضافي:

- في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤٦) [يس]، قصر إضافي من قصر الموصوف على الصفة، أي: إن مقابلتهم لآيات الله ﷻ مقصورة على إعراضهم عنها، وطريقة القصر في الآية: النفي والاستثناء.^(٢)

- في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف/١٧٧]، قصر إضافي من قصر الصفة على الموصوف، وهو مستفاد من تقديم المعمول (أَنْفُسُهُمْ)، على العامل (كَانُوا يَظْلِمُونَ)، أي: وما كانوا يظلمون إلا أنفسهم.^(٣)

٣- الإطناب^(٤)

- اهتمَّ الميدانيُّ ببيان التوكيد (من أنواع الإطناب) في تفسيره، والإشارة إلى دواعيه البلاغية، فالتوكيد هو من الزيادات في الكلام عن أصل المعنى المقصود بالبيان، وذلك بإضافة المؤكّدات^(٥) إليه مراعاة لحال من يوجه له. ومثال ذلك: جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) [العاديات]، تأكيد كون الإنسان كنوداً^(٦)، وشهيداً على كنوده، وتأكيد كونه شديد الحبّ للمال، بثلاثة مؤكّدات (القسم - حرف التوكيد (إنّ) - الجملة الاسمية - لام الابتداء المرحّلة إلى الخبر)؛ لأنّ المتلقّين ينكرون هذه الحقائق.^(٧)

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ١٢/٦٧٤، وانظر أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص/٦٥]، ٣/٦٤٥، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الفرقان/١٢]، ٦/٥٧ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (٢٣) [الحجر]، ١١/١٠٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٦/١٣٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٥/٣٣ في قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ (٧) [ص]، ٣/٦٤٤-٦٤٥ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٥٨) [ص/٦٥]، ٩/٧٦٢ في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) [الغاشية]، ١٣/٢٨٩.

(٤) انظر الصّفحة (١٢٤).

(٥) انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٢/١٠٦-١١١.

(٦) أي: كفور لنعمة الله ﷻ، انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٤٤٢.

(٧) انظر: معارج التفكير، الميداني، ١/٦٤٥-٦٤٦، وانظر أيضاً: قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٣) وَلَآخِرُهُ خَيْرٌ لَّكَ مِنْ =

ويُشار هنا إلى بعض الزيادات الإطنابية المفيدة الأخرى التي جاءت في تفسيره، على وجهٍ أقلّ عنايةً من التوكيد، وهي:

- "وضع الاسم الظاهر موضع المضمّر"^(١)

كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤) [الفرقان]، إذ أظهر كلمة (كَفَرُوا) في قوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ولم يقل (وقالوا) مع أنّ سياق الكلام يتحدث عن كفّار مكّة، فالكلام يستدعي الإضمار، ولكن جاء النصّ على خلاف هذا لحكمةٍ بلاغيّة، وهي: "أنّ الغرض من هذا الإظهار، وصفهم بأنهم قد كفروا، بمعنى أنهم ستروا الحقّ الواضح الذي عرفوه حقّاً في قرارة نفوسهم، وإذ ستروه ظلماً زعموا زوراً أنّ القرآن إفكٌ ليس كلام الله، وأنّ محمّداً افتراه، أي اختلقه، وأنّ قوماً آخرين أعانوه على افتراءه."^(٢)

- "الإيضاح بعد الإبهام"^(٣)

كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾ [الشرح] زيد لفظ (لَكَ) في الآية الأولى، ولفظ (عَنكَ) في الآية الثانية، ولفظ (لَكَ) في الآية الرابعة، وقد أفادت هذه الزيادات الإبهام أولاً، فتستشرف النفس للإيضاح، وتشوّق للتفسير، فتأتي عبارات (صَدْرَكَ - وِزْرَكَ - ذِكْرَكَ) فيرتفع الإبهام، ويرتوي ظمأ النفس إلى المعرفة... مع ما في: (لَكَ) و(عَنكَ) من تأكيد وتمكين، وإشعارٍ بالتمييز والتخصيص، إذ المقام مقام امتنانٍ سبقت دواعيه."^(٤)

= الأولى (٤) ﴿[الضحى]، ٥٧٩/١-٥٨٠، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر/٣٤]، ١٩٢/٧، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)﴾ [الجاثية]، ١٣/١٣.

(١) ومن الدواعي البلاغيّة التي ذكرها البلاغيّون لهذا الاستعمال وفوائده: " - إرادة زيادة التقرير والتمكين. - قصد التعظيم والإجلال، أو قصد تعظيم الشيء وبيان ارتفاع منزلته. - قصد الإهانة والتحقير. - إرادة إزالة اللبس إذا كان استعمال الضمير يفضي إليه. - تربية المهابة وإدخال الرّوع على ضمير المتلقّي بذكر الاسم الظاهر إذا كان مما يقتضي ذلك. ... " إلى غير ذلك. البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٩٨-٩٩.

(٢) معارج التّفكر، الميداني، ٧٢٠/٦-٧٢١.

(٣) من فوائد "الإيضاح بعد الإبهام" الدّاعية للإطناب به، والتي ذكرها البلاغيّون: - تقديم المعنى الواحد في صورتين مختلفتين إحداها مبهمة والأخرى موضحة. - تمكين المعنى في نفس المتلقّي تمكيناً زائداً، لوقوعه بعد استشراف النفس إليه بالإبهام. - تكميل لذّة العلم به، إذ بدأت ناقصة بالإبهام، وكمّلت بالإيضاح. انظر: البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٦٦/٢.

(٤) معارج التّفكر، الميداني، ٦٠٠/١.

- "الاعتراض" (١)

ومثاله: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)﴾ [الأعراف]، جملة (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) معترضة بين المبتدأ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وبين الخبر (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). والغرض البلاغي: "المبادرة إلى طمأننة المتقين، بأنَّ الله ﷻ لا يكلف نفساً إلاَّ وسعها، قبل أن ييشَّروهم بأنَّهم أصحاب الجنة، وبأنَّهم سوف يكونون خالدين فيها." (٢)

- "الاحتباس" (٣)

في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)﴾ [النمل]، إنَّ عبارة: ﴿تَخْرُجَ بَيْضَاءَ﴾ تُوهَم أنَّ بياضها ربَّما كان عن برص، فجاءت عبارة: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ تكميلاً احتباساً لرفع هذا الإيهام. (٤)

- ونظر الميداني في صور إجراء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، لاسيَّما استخدام اسم الإشارة في غير ما وضع له (٥)، والالتفات (٦).

(١) "هو مجيء ما لم يُسَقَّ غرض الكلام له، ولكن للكلام والغرض به علاقة وتكميلاً." أمَّا الجملة المعترضة فهي "الواقعة بين جملتين شديدي الاتصال من حيث الغرض المسوق له الكلام." **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ٦٧١/١، ويؤتى بالاعتراض لدواعي بلاغية منها باختصار: "التنزيه والتعظيم. - الدِّعاء. - التنبيه على أمر، وكذلك الإشارة إلى أن ما وقع به الاعتراض قد حصل مضمونه خلال الزَّمن الفاصل بين الكلامين المتصلين. - التبرك. - التقرير في نفس السَّامع." ... إلى غير ذلك. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، الميداني، ٨٠/٢-٨١.

(٢) **معارج التفكر**، الميداني، ١٣٢/٤.

(٣) هو: "أنَّ يؤتى في كلام يوهَم خلاف المقصود بما يدفعه... كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة/٥٤]، فإنَّه لو اقتصر على وصفهم بالدِّلة على المؤمنين لتوهَم أنَّ ذلَّتهم لضعفهم، فلمَّا قيل: أعزَّة على الكافرين علم أنَّها منهم تواضع لهم." **الإيضاح في علوم البلاغة**، القزويني، ١٩٢.

(٤) **معارج التفكر**، الميداني، ٢٢١/٩.

(٥) كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥)﴾ [طه]، إذ جاء بصيغة اسم الإشارة (فَأُولَئِكَ) الموضوع للمشار إليهم البعيدين؛ للدلالة على ارتفاع منزلتهم عند الله ﷻ. انظر: **معارج التفكر**، الميداني، ١٩٦/٨.

وقوله تعالى: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)﴾ [النمل]، ٢١٢/٩.

(٦) انظر الصَّفحة (١٣٥).

- "المجاز العقلي" (١)

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ (٤٨) [يوسف]، أسند الأكل إلى سنوات القحط مع أنَّ الأكل للأحياء الآكلة فيها، على سبيل المجاز العقلي. (٢)

(١) ويسمى مجاز التركيب والمجاز الحكمي والمجاز الإسنادي وهو: "المجاز الذي يكون في الإسناد أو التركيب". معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ٥٩١، كقوله تعالى: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر/٣٦]، فقد أسند الفعل إلى هامان مع أنَّه يستحيل أن يبنى الصرح بنفسه، وإنَّما سيصدر الأوامر لعماله الذين سيقومون بهذا العمل. ولا بد من الإشارة إلى أنَّ الميداني قد وضح بعض علاقات المجاز العقلي في القاعدة السابعة والثلاثين: "حول إسناد الفعل أو ما في معناه إلى فاعله، أو من قام به، أو مسببه، أو الأمر به والداعي له، أو المتهم أو الحاكم أو القاضي به، أو واجده والعائر عليه والواصل إلى العلم به، أو غير ذلك"، حيث أراد في هذه القاعدة التنبيه على أغاليط فاحشة قد يقع بها كثير من مفسري النصوص القرآنية والحديثية، ومن هذه الأغاليط ما وقع به الجبريون - وهم من الفرق الضالة - لدى تفسير النصوص القرآنية والحديثية المتعلقة بموضوع القضاء والقدر، تصوُّراً منهم أنَّ إسناد الفعل أو ما في معناه إلى المسند إليه لا يُفهم منه إلَّا معنى القيام مباشرة بالفعل. فإذا كان المسند إليه من أسماء الله لم يفهموا من الإسناد إلَّا أنَّ الله ﷻ هو الخالق المجبر لماد دلَّ عليه الفعل أو ما في معناه. انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٦٦٥ - ٦٨٢. ولو حظ أنَّ اهتمام الميداني بهذه القاعدة كان ينطلق من منظور عقدي، ولم يتوسَّع فيها من الناحية البلاغية، لذا اكتفيت بالإشارة إليها هنا.

(٢) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٦٨١/١٠.

ثانياً: الوجوه البلاغية المتعلقة بصور البيان في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

من أنواع صور البيان التي وردت في تفسير الميداني:

١ - التشبيه^(١):

- "التشبيه البليغ"^(٢)

كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)﴾ [الجن]، أي: وأمّا الجائرون سيطرحون ويكْبُون في جهنم كما يُطرح ويكبُّ الحطب في النار، فهؤلاء الكافرون كالحطب. وهذا من التشبيه البليغ، إذ حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه. (٣)

- "التشبيه المرسل المجمل"^(٤)

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)﴾ [المعارج]، شبه السماء (المشبه) بالمهل (المشبه به)، والجبال (المشبه) بالعن (المشبه به)، وأداة التشبيه في كلا التشبيهين (الكاف)، ووجه الشبه محذوف، وهذا تشبيه مرسل مجمل. (٥)

- "التشبيه التمثيلي"^(٦)

في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ [الأعراف]

(١) "هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى."، وأركانه أربعة، وهي: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. كقولنا: زيد كالأسد في الشجاعة. فزيد (المشبه)، والأسد (المشبه به)، ووجه الشبه (الشجاعة)، وأداة التشبيه (الكاف). انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الميداني، ٢٠٣، المفصل في علوم البلاغة العربية، عيسى العاكوب، ٣٥٦.

(٢) التشبيه البليغ هو: "التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه." كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل/٨٨]، المشبه: حال مرور الجبال، المشبه به: مر السحاب، أداة التشبيه: محذوفة، وجه الشبه: محذوف، وهو السير محمولاً كسير السحاب. انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ٣٣٠.

(٣) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٩٩/٥.

(٤) قصد به الميداني التشبيه الذي ذكرت فيه أداة التشبيه (المرسل)، ولم يذكر فيه وجه الشبه (المجمل).

(٥) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٧٠٢/١٤.

(٦) هو: "التشبيه الذي وجهه وصف منتزِع من متعدد، أي أمرين أو أمور... كقول الشاعر:

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها
مرآة تَبْرُ بدت في كف مُرتَعش

فقد شبه الشمس عند طلوعها حراء لامعة مضطربة بمرآة من ذهبٍ تضطرب في كف ترتعش. ووجه الشبه هيئة منتزعة من الاستدارة والحمرة واللمعان والاضطراب." المفصل في علوم البلاغة العربية، عيسى العاكوب، ٣٩٧.

شَبَّهَ اللهُ ﷻ صورة المنسلخ من آيات الله بعد انسلاخه منها واتباعه الشَّيْطَانِ وغوايته، بصورة الكلب اللاهث دواماً، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وهذا من التشبيه التمثيلي.^(١)

- "التشبيه المكني"^(٢)

في قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء/٢٤]، تشبيه مكني، إذ "شَبَّهَ التَّذَلُّلَ للوالدين بتذلل الطائر حين يخفض جناحه منكسراً لفراخه أو لزوجته أو لغيرهما، ولكن أضمر التشبيه، فلم يُذكر لفظ المشبّه به، وإِنَّمَا كُنِيَ عنه بشيء من صفاته، وهو الجناح، وأضيف المكني به إلى المشبّه.^(٣)

٢- "الاستعارة"^(٤)

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)﴾ [فصلت]، استعارة قائمة في لفظ (العمى)، إذ استعير هذا اللفظ للدلالة على الكفر والضلال عن الصراط المستقيم؛ "لأنَّ الأعمى يضلُّ في مسيره، إذا رفض هداية من يهديه."^(٥)

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ١٧٦/٥.

(٢) عرّف الميداني التشبيه المكنيّ بأنّه: "تشبيه مضمّر لم يُذكر فيه لفظ المشبّه به، وإِنَّمَا ذُكِرَ فيه بعض صفاته، أو بعض خصائصه، أو بعض لوازمه القريبة أو البعيدة كناية عنه." وقد صرّح بأنّه فهم هذا النوع من التشبيه من بعض كلام الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ). انظر: البلاغة العربية، الميداني، ٢٠٤/٢.

فخالف بذلك جمهور البلاغيين إذ يعدّون هذا النوع من التشبيه "استعارة مكنيّة" انظر: معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، ٨٨. وعند البحث في الاستعارة المكنيّة عند الميداني نجدّه يعدها تشبيهاً حذفت كلّ أركانه باستثناء بعض صفات المشبّه به. انظر: البلاغة العربية، الميداني، ٢٤٤/٢.

ولاحظت الباحثة ندرة أمثلة الاستعارة المكنيّة في تفسيره، ومثالها قوله تعالى: ﴿لَعَنَ أَخْرَجَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتَنِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء/٦٢]، إذ يقول: "في هذه العبارة استعارة مكنيّة، إذ شَبَّهَ إبليس ذريّة آدم عليه السّلام بالدّواب التي تُطَوّع للركوب والقيادة والسّوق، ولم يُصرّح بلفظ الدّواب، بل جاء بشيء من خصائصها يدلُّ عليها، وهو احتناكها لتطويعها." معارج التفكير، الميداني، ٦٧٣-٦٧٢/٩. ففي هذا المثال قد ذُكِرَ المشبّه (وهو ذريّة آدم) مع ذلك عدّه الميداني "استعارة مكنيّة" وحسب تعريفه فإنّ هذا تشبيه مكني!

ومن جهة أخرى نجد الميداني قد تردّد في بعض الأمثلة بين التشبيه المكني والاستعارة المكنيّة، فأتثناء تدبّره قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى (٣٤)﴾ [النجم]، عدّه استعارة، أمّا في المستخرجات البلاغيّة للسورة عدّه تشبيهاً مكنيّاً. انظر: معارج التفكير، الميداني، ١٤٩-١٥٠، ١٧٢/٢.

(٣) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٩٩/٩.

(٤) انظر الصّفحة (٨٤).

(٥) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٤٨٦/١٢، لم يسمّ الميداني نوع الاستعارة في هذا المثال وكذا في كثير من الاستعارات، ونوع الاستعارة هنا تصريحيّة (أي: صرّح فيها بلفظ المشبّه به).

٣- "المجاز المرسل" (١)

في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)﴾ [البدل]، المجاز واقع في كلمة (نَارٌ)، إذ المراد أن دار التعذيب بالنار هي المؤصدة، وهو من إطلاق الحال وإرادة المحل (علاقة المجاز: الحالّيّة)، ولو كان المراد بلفظ (نَارٌ) دار العذاب لقال: في نار مؤصدة. (٢)

٤- الكناية (٣)

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾ [الفجر]، كناية عن مراقبة الله وَجَّكَ للمجرمين دواماً، السَّابِقِينَ منهم واللاحقين. (٤)

(١) هو: "الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي." المفصّل في علوم البلاغة العربيّة، عيسى العاكوب، ٥٠٠، كقوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه/٤٠]، فقد ذكر الجزء، وهو العين، وأراد الكلّ وهو الجسم، فالمجاز مرسل علاقته الجزئية.

(٢) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ٢١١/٣.

(٣) انظر تعريفها في الصّفحة (٧٤).

(٤) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ٥٣٠/١.

ثالثاً: الوجوه البلاغية المتعلقة بألوان البديع في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

وردت بعض مصطلحات فنون علم البديع في تفسير الميداني، فمن المحسنات المعنوية:

– "المذهب الكلامي"^(١)

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)﴾ [فاطر]، جميع الاحتمالات التي يمكن أن يحتج بها المشركون، ونقض لها واحدة فواحدة، بالبرهان العقلي. وهذا ما يسمّى بـ: "المذهب الكلامي" كما يقول الميداني^(٢).

– "حسن النسق"^(٣)

في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣)﴾ [الليل]، عطف خلق الذكر والأنثى على الليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى، فجمع بذلك بين قسمين متلائمين متناسبين من الكائنات، ويدخل هذا – كما يقول الميداني – تحت ما يسمّى بـ: "حسن النسق".^(٤)

– "اللف والنشر"^(٥)

في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ [عبس]، لف ونشر مرتّب، فقد جاء اللف بعبارة (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) إذ جمع الفاكهة والأبّ بحرف العطف. وجاء النشر وفق توزيع مرتّب، فعبارة: (مَتَاعًا لَكُمْ) تتعلّق بالفاكهة، وعبارة: (وَلِأَنْعَامِكُمْ) تتعلّق بالأب^(٦).

(١) هو: "أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام. كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء/٢٢]"
الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣٤١.

(٢) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٢٦٢/١.

(٣) هو: "أن يأتي المتكلم بالكلمات من النشر، والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاهما سليماً مستحسناً لا معيباً مستهجنًا."
بديع القرآن، ابن أبي الإصبع، ١٦٤، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)﴾ [هود]، فقد عطفت جمل هذه الآية بعضها على بعض بواو عطف النسق، على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة. انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٠٩/٢.

(٤) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٠٥/١.

(٥) "وهو ذكر متعدّد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرّده إليه." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣٣٢-٣٣٣، مثاله قولنا: طلعت الشمس وبرز القمر نهاراً وليلاً. (٦) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٢٥١/٢.

- "التَّنْكِيت" ^(١)

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤)﴾ [الجن]، اختيرت عبارة (سَفِيهُنَا) دون (إبليس) لنكتة بلاغية، هي: وصفه بالسفاهة، التي هي قلة العقل، وإدخال كل جنوده من شياطين الجن ضمن عبارة (سَفِيهُنَا)، فالنكرة المضافة إلى معرفة تعم كل الأفراد. ^(٢)

- "الإدماج" ^(٣)

يقول الميداني في سورة الجن أدمج "الثناء على النفر من الجن ضمن عرض أقوالهم عرضاً بيانياً، بطريقة تشعر بصدقهم فيها، وتشعر بفضلهم إذ قاموا بين قومهم دُعاة إلى دين الله، وتشعر بأن ما توصّلوا إليه من قضايا دينية قضايا مطابقة للحق والواقع والمفاهيم الدينية الصحيحة." ^(٤)

- "المبالغة" ^(٥)

في قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن/١]، المبالغة واقعة في كلمة (عَجَبًا)، وهي مصدر وصف به القرآن الكريم، أي: من كثرة عجائبه صار كأنه هو العجب. ^(٦)

- الجمع مع التقسيم ^(٧)

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ [الليل]، فالجمع جاء في قوله

(١) هو: "أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسدّه، لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه"، بديع القرآن، ابن أبي الإصبع، ٢١٢، ومثال ذلك: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى (٤٩)﴾ [النجم] لم لم يقل: الثريا، فقال: كان قد ظهر في العرب رجل يقال له ابن أبي كبشة عبد الشعري؛ لأنها أكبر نجم في السماء فقصدها الله تعالى دون النجوم؛ لأنها عبت ولم تعبد الثريا. "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ٤٢٧.

(٢) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٦٦٢/٥.

(٣) "أن يضمن كلاماً سبق لمعنى معنى آخر." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣٤٨.

(٤) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٦٦٣/٥.

(٥) "ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً." البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ٦٤، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج/٢]، في الآية يصف الله تعالى يوم القيامة بأنّ هوله إذا فاجأ المرضعة وقد لقيت ثديها للصبي نزعته، لما يلحقها من الدهشة والفرع، ولو قال: تذهل كل امرأة عن ولدها، لكان بياناً حسناً وبلاغة كاملة، وإنّما أراد أن يزيد الفرع، ويضاعف في الشدة، فخصّ المرضعة للمبالغة.

(٦) معارج التفكير، الميداني، انظر: ٥٦٦-٥٦٧.

(٧) هو: "إنّما أن يجمع المتكلم أموراً كثيرة تحت حكم ثمّ يُقسّم بعد ذلك، أو يقسّم ثم يجمع." معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ١٤٨/١.

تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، والتقسيم في: ﴿فَأَمَّا﴾ الأولى وما بعدها، وفي ﴿وَأَمَّا﴾ الثانية وما بعدها.^(١)
- "الطَّباق"^(٢)

في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣) [الليل]، الطَّباق بين كلمتي (الذَّكَر) و(الْأُنثَى).^(٣)
- "المقابلة"^(٤)

في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) [الليل]، يقابل كلمة (صَدَّقَ): (كَذَّبَ)، ويقابل كلمة (لِلْيُسْرَى) كلمة (لِلْعُسْرَى).^(٥)
- "مراعاة التَّظْيِير"^(٦)

في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا (٦)﴾ [الشمس]، يُلحظ أنه: "بين الشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والليل إذا يغشاها، والسَّمَاء وما بناها، والأرض وما طحاها، تناسب وائتلاف، روعي فيه ضمُّ النظائر إلى النظائر."^(٧)
ومن المحسنات اللفظية:
- "السَّجْع"^(٨)

في قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤)

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٠٦/١.

(٢) هو: "الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة." معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ٤٤٧/١، ومثال ذلك: أحيا وأمات.

(٣) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٠٨/١.

(٤) هي: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣٢٢، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة/٨٢].

(٥) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٥٠٨/١.

(٦) ويسمى أيضاً: التَّنَاسُب، والتَّوْفُق، والائْتِلَاف وهو "الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التَّضَاد." معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ٣١٢-٣١٣، كقوله تعالى: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فشكل مراعاة التَّظْيِير مناسبة لفظ للفظ.

(٧) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٣٣١/٢.

(٨) انظر الصَّفحة (٢٥٢).

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) ﴿ ربط الآيات في سجع واحد. ^(١)

– "الانسجام" ^(٢)

كالانسجام في كلمات سورة (الشَّمْس) وآياتها. ^(٣)

– "الجناس" ^(٤)

في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام/٢٦]، وقع الجناس بين كلمتي (يَنْهَوْنَ) و(يَنْأَوْنَ)، وهو جناس شبيه بالتَّام، ويسمى "المضارع" ^(٥). ^(٦)

– يضاف إلى البدائع السابقة الواردة في تفسير الميدانيّ بديعّة صرّح الميدانيّ بأنّه لم يذكرها أحد قبله، إذ يقول: "ومنها بديعّة فتح الله عليّ باكتشافها، لم أجد أحداً ذكرها من المهتمّين بعلم البديع، وهي: تقديم ما هو بمثابة الدليل لما يأتي بعده. ^(٧)

ومثالها: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (٣) [الحنّ] عبارة ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ بمثابة الدليل العقليّ للعبارة التالية لها في الآية، وهي: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (٣) [الحنّ] – كما

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ١/٦٤٥.

(٢) "أن يكون الكلام في مفرداته وجمله مناسباً انسياب الماء في مجاريه السهلة، ومتحدراً لئناً، بسبب التلاؤم بين كلماته، وجمله، وعذوبة ألفاظه، وجمال تموجات فقراته، وخلوّه من التعقيد والتنافر، وخلوّه من كلّ ما يندّد عن النطق، وينفر منه السمع." البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٢/٥١٨.

(٣) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٢/٣٣١.

(٤) هو: "أن تجيء الكلمة بجناس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها." معجم البلاغة العربيّة، بدوي طبّانة، ١/١٥٧، ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم/٥٥]، الجناس وقع بين الاسمين: السّاعة وساعة.

(٥) قال القزويني: "إن اختلفا في أنواع الحروف اشترط أن لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف، ثمّ الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمّي الجناس مضارعاً." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣٥٧ أي إنّ كلمتا (يَنْهَوْنَ) و(يَنْأَوْنَ)؛ يختلفان بحرف واحد، وهو الهمزة في (يَنْأَوْنَ) والهاء (يَنْهَوْنَ)، والهمزة والهاء حرفان متحدران في المخرج (الحلق).

(٦) انظر: معارج التفكير، الميداني، ١١/١٩٧.

(٧) معارج التفكير، الميداني، ٥/٦٦٣، من المفسّرين الذين ذكروها في تفسيرهم – قبل الميداني – المفسّر ابن عاشور أثناء أثناء تدبّره لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (١٣٣) [الأنعام/١٣٣]، إذ يقول: "وذكر وصف الغنيّ هنا تمهيد للحكم الوارد عقبه، وهو: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) فهو من تقدّم الدليل بين يدي الدّعوى، تذكيراً بتقريب حصول الجزم بالدّعوى." التحرير والتنوير، ٨/٨٥ مع الإشارة إلى أنّ الميداني لم يضمّ هذه البديعّة إلى علم البديع في كتابه "البلاغة العربيّة" الذي انتهى من تأليفه عام ١٩٩٩م، أي قبل ذكره أنّه اكتشفها.

يقول الميداني - "إذ لو اتخذ صاحبة أو أنجب أو تبني ولدًا، لكان محتاجاً إلى الصّاحبة، أو محتاجاً إلى الولد، والعقل يدلُّ على أنَّ المحتاج لشيءٍ لا يكون ذا غنى عنه. فالعبارة الأولى تمهيد حكيم للعبارة التّالية لها، وهذا الإجراء البيانيُّ من أساليب تقديم الدّليل قبل تقرير الدّعوى." (١)

- توصّل البحث إلى أنَّ الميدانيَّ لم ينصَّ بشكل دائم على الغرض الفكريّ للصُّور البلاغيّة في تفسيره، مع العلم أنَّ الغرض الفكريّ في كثير من الأحيان واضح، ويصل إلى ذهن المتدبّر إن أعمل فكره في تذوّق اللمسات البيانيّة في الصُّورة، والنصُّ عليه بعد بيان الصُّورة في سياقها ليس إلّا زيادة بيان للفكرة المضافة التي عبّرت عنها الصورة البيانيّة.

وأمثلة ذلك كثيرة منها:

١ - اكتفى الميدانيُّ أثناء تدبُّر قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم/٤٧] ببيان الصُّورة البيانيّة (الكناية) من غير النصِّ على الغرض الفكريّ منها، إذ يقول: "ودلّت هذه العبارة بأسلوب الكناية على أنَّ الله ﷻ قد نصرّ رسوله عليهم السّلام السّابقين والذين آمنوا بهم على الكفرة المجرمين من أقوامهم، فلا بدّ أن ينصرّ رسوله محمّداً ﷺ والذين آمنوا معه على المجرمين من قومهم." (٢)

وذلك لأنَّ الغرض الفكريّ - كما يُلحظ - واضحٌ ومتضمّن في شرحه للصُّورة، وهو الدّلالة على أنَّ الله ﷻ نصرّ المؤمنين، وانتقم من المجرمين، بدلالة السُّنّة الإلهيّة التي لا تتبدّل ولا تتحوّل.

٢ - في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود/١٠٠]، بيّن الميدانيُّ الصُّورتين البيانيّتين الواردتين في الآية، إذ يقول: "﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ بعضها كنبات قائم على سوقه، لم تمحُ أحداث إهلاك الأقسام الذين كانوا يسكنونها، وهذا من التّشبيه البليغ (٣). ﴿وَحَصِيدٌ﴾ أي: ومنها كنبات محصود بالمنجل ساقط على الأرض، أو تالف تذروه الرّيح أو ذرته ولم تبق له أثراً. الحصيد: النبات المحصود بالمنجل، وهذا من التّشبيه البليغ أيضاً." (٤)

٣ - في قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم/١]، استعارتان بيّنهما الميدانيُّ أثناء تدبُّره الآية، إذ يقول: "ففي استعمال الظُّلمات للدّلالة على أنواع الكفر وسُبُل ضلالاته، واستعمال

(١) معارج التّفكّر، الميداني، ٦٦٤/٥.

(٢) المرجع السّابق، ١٧٧/١٥.

(٣) انظر الصّفحة (١٧٤).

(٤) معارج التّفكّر، الميداني، ٤٩٧/١٠.

التُّور للدلالة على الإيمان وصراف الله المستقيم الواحد، استعارتان أصلهما تشبيه حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشَّبه والمشَبَّه، وبقي المشَبَّه به، وهما الظُّلُمات والتُّور.^(١)

فيلحظ في كلا المثالين ترك الميداني النَّصَّ على الغرض الفكريِّ للصُّور البيانيَّة الواردة في الآيتين بعد شرحه لها.^(٢)

(١) معارج التَّفَكُّر، الميداني، ٢٠/١٤.

(٢) انظر أيضاً: المرجع السابق، الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾ [الفجر]، ٥٣٠/١.

الآية: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ (٢٠)﴾ [البلد]، ٢١١/٣.

الآية: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)﴾ [الجن]، ٥٩٩/٥.

الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم/٦١]، ٥٦٨/٧.

الآية: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء/١٣]، ٥٧٩/٩.

الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)﴾ [الإسراء]، ٦٠٥/٩-٦٠٦.

الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَن يُدْيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود/٧٠]، ٤٤٨/١٠.

الآية: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود/١٠١]، ٤٩٩/١٠.

الآية: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢)﴾ [لقمان]، ٧٤٠/١١-٧٤١.

الآية: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢)﴾ [الغاشية]، ٢٧٦/١٣.

الآية: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨)﴾ [الطور]، ٦٠١/١٤.

٧- عنوان القاعدة: "حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

المطلوب من المتدبر في هذه القاعدة أمران، هما:

- ١- على متدبر كلام الله ﷻ أن يجتهد في فهم النص القرآني، حتى يهتدي إلى المعنى الذي يدل عليه كلام الله ﷻ، وفق النظم^(٢) الذي نزل به.
- ٢- على متدبر كلام الله ﷻ أن يبحث ويتفكر ويتأمل طويلاً بصبر وأناة، ليستنبط الحكمة من ترتيب الجمل والأفكار القرآنية، وما تتضمنه من دلالات ومعانٍ متتابعة.^(٣)

ثانياً: بيان القاعدة:

- تتحدث هذه القاعدة عن النظم القرآني، والاجتهاد في فهم النص القرآني وفق ترتيبه، واستنباط الحكمة من وراء هذا الترتيب، ويؤكد الميداني في بيانه لهذه القاعدة على ضرورة فهم الآية القرآنية وفق ترتيب نظمها؛ لأنّ الفهم القائم على مخالفة ترتيب ذلك النظم، بالتقديم أو بالتأخير لجملة أو كلمة، له مخاطر عدّة بيّنها بقوله: "أمّا الفهم الذي يقوم على أساس التّغيير في النّظم القرآنيّ بالتّقديم أو بالتّأخير لجملة أو كلمة فقد يجزّ إلى فهم غير صحيح، أو غير مراد، أو إلى صرفه عن المعنى المراد الذي لا يفهم إلا بإبقاء النّظم القرآنيّ على حاله."^(٤)

وفي حال عجز المتدبر أو قصر فهمه عن إدراك المعنى المراد وفق النظم الذي نزل به، أو كشف أغراض بلاغية أو فنية أو فكرية أو غير ذلك من ترتيب الجمل والأفكار القرآنية في النظم القرآني، فعليه أن يعلّق الفهم، فقد يأتي متدبر آخر يهديه الله ﷻ إلى فهم المراد من النص، أو يكشف الله ﷻ له شيئاً من تلك الأغراض، ويلهمه أمراً لم يسبق إليه متدبر قبله.^(٥)

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٢٠٧. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الثانية عشرة.

(٢) هو: "تأليف الكلمات والجمل، مرتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل." معجم التعريفات، الجرجاني، ٢٠٣.

(٣) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٢٠٧.

(٤) المرجع السابق، ٢٠٧.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٠٧-٢٠٨.

- وقد عرض سبعة أمثلة توضّح قاعدته^(١)، وسنذكر منها هنا مثالين فقط، هما:

المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/١٥٢] يُلحظ أنَّ هذه الآية ذكرت ما جرى للمسلمين في غزوة أُحُد (الفشل، فالتنازع، فالمعصية) على عكس ترتيب الأحداث في الواقع (المعصية، فالتنازع، فالفشل)، ويتساءل الميداني عن سبب عكس البيان القرآنيّ هذا الترتيب في الآية، وما الحكمة من ذلك؟ فيقول: "ولا يصحُّ لنا أن نلجأ إلى مجرد تصوُّر أنَّ حرف العطف الذي هو (الواو) لمطلق الجمع^(٢)، وأنَّه لا توجد حكمة لعكس ترتيب الأحداث."^(٣) وبعد إمعانه النَّظر في ترتيب نظم الآية اهتدى إلى الغرض من هذا الترتيب وهو: "الدَّلالة على أنَّ ظهور المسلمين على عدوِّهم وانتصارهم عليهم، قد استمرَّ حتَّى حلَّ بهم الفشل (وهو الضعف والفرع والجن)، ولم تتحوَّل رياح النَّصر عنهم إلى عدوِّهم عند المعصية والتنازع في الأمر، بل أخذ يتسلسل على مراحل. ولو انعكس الترتيب في النَّصِّ فجاء كما يلي: حتَّى إذا عصيتم وتنازعتم وفشلتهم، لأوهم أنَّ ظهور المسلمين على عدوِّهم قد توقَّف منذ لحظة معصية الرُّمّة، وهذا خلاف الواقع. بيد أنَّ النَّصَّ يهدف إلى الإعلام بأنَّ توقف النَّصر وتحوُّل رياحه قد حصل بعد حصول الفشل."^(٤) بالإضافة إلى أنَّ "التَّسلسل المنطقيّ لبحث أَيْةٍ ظاهرة، وكشف الأسباب التي أدَّت إليها، يقتضي بأن تُحدَّد الظَّاهرة أولاً، وبعد ذلك يُنظر إلى السَّبب المباشر، وهكذا تسلسلاً مع الأسباب، حتَّى ينتهي البحث إلى السَّبب الأوَّل الذي تنتهي عنده عقلاً سلسلة الأسباب."^(٥) هذا ما ذهب إليه الميدانيُّ من بيانه للحكمة من ترتيب البيان الإلهيِّ في الآية بعد فهمها وفق ترتيب نظمها مطبّقاً لقاعدته هنا

(١) انظر: قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٢٠٨-٢٢٤.

(٢) "الواو أقسام: جازة وناصبة وغير عاملة، أمّا غير العاملة فلها أنواع أحدها: "واو العطف" وهي لمطلق الجمع، فتعطف الشيء على مصاحبه نحو: ﴿فَأُجْبِيَهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت/١٥]، وعلى سابقه نحو: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الحديد/٢٦]، ، ولاحقه نحو: ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الشورى/٣]. "الإِتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/٢-٤.

(٣) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٢١٢-٢١٣.

(٤) المرجع السابق، ٢١٤.

(٥) المرجع السابق، ٢١٦ ، ورأى ابن عاشور أن الأفعال الثلاثة في الآية قد رتبت على حسب ترتيبها في الحصول، "إذ كان الفشل، وهو ضجر بعض الرّمّة من ملازمة موقفهم للطَّمع في الغنيمة، قد حصل أولاً فنشأ عنه التنازع بينهم في ملازمة الموقف وفي اللّحاق بالجيش للغنيمة، ونشأ عن التنازع تصميم معظمهم على مفارقة الموقف الَّذي أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بملازمته وعدم الانصراف منه ، وهذا هو الأصل في ترتيب الأخبار في صناعة الإنشاء ما لم يقتض الحال العدول عنه." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢٨/٤

المثال الرَّابِع:

في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾ [الغاشية]

وصف لنا الميدانيُّ كيف توصَّل إلى الحكمة من ترتيب هذا النَّظم المعجز في هذه الآيات:

كان مرَّةً جالساً في باديةٍ، وأمامه سهل ممتدُّ، وبعده سلسلة جبالٍ متتابعةٍ فمرَّت قافلة جمالٍ، فنظر إلى القافلة، فتتابعت الصُّورة في ملاحظته الحسِّيَّة على الوجه الذي جاءت به الآيات الكريمة وعندئذ أدرك الحكمة من هذا التَّرتيب، وهي تقديم لوحة فنيَّة من صنع الله ﷻ، تطابق ما يحدث لمشاهد واقع في مثل هذا المشهد، وتنقله إلى إدراك عظمة الله في خلقه. ^(١)

المطلب الثَّاني: مناقشة القاعدة.

- حظي نظم القرآن المعجز باهتمام علماء الدِّراسات القرآنيَّة من متقدِّمين ومتأخِّرين، ولعلَّ عبد القاهر الجرجانيَّ (ت ٤٧١هـ) من أبرز الذين تناولوا النَّظم القرآنيَّ بالدِّرس، حيث إنَّه استند على كلام الخطابيَّ (ت ٣٨٨هـ) في النَّظم، والباقلانيَّ (ت ٤٠٣هـ)، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) وغيرهم، فأفاد منهم في بناء نظريَّة النَّظم، التي يرى فيها أنَّ قيمة اللَّفظ المفرد تظهر فقط حينما يدخل نظم الكلام ويؤدِّي المعنى بإحكام، فيقول: "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظٌ مجردةٌ ولا من حيث هي كلمٌ مفردة، وأنَّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللَّفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريح اللَّفظ." ^(٢)، ويرى أيضاً أنَّ سرَّ الإعجاز يكمن في حسن النَّظم، وهذا يحصل بترتيب الألفاظ في الذِّكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر، مع مراعاة أن يكون النَّظم على وجهٍ بديعٍ، يوصل الفكرة إلى السَّماع واضحةً صحيحةً، فتدخل في أعماق نفسه وتصل إلى قرارة ذاته. إذ يقول: "...وأنتك تتوخَّى التَّرتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فإذا تمَّ لك ذلك أتبعته الألفاظ وقفوت بها آثارها وأنتك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم

(١) انظر: قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٢١٦-٢١٧.

وذكر الزَّمخشري أنَّ الحكمة من هذا التَّرتيب، هي أنَّ القرآن الكريم انتظم ذكر هذه الأشياء (الإبل والسَّماء والجبال والأرض) على حسب ما انتظمها نظر العرب في أوديتهم وبواديهم. انظر: الكشاف، الزَّمخشري، ٧٤٧/٤ أمَّا الميداني -كما يلحظ في المثال - فذكر أنَّ الغرض من وراء هذه اللوحة الفنيَّة الرائعة إدراك عظمة الله في خلقه.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٥٤.

أَنَّهَا خَدَمٌ لِلْمَعَانِي وَتَابِعَةٌ لَهَا وَلَا حَقَّةٌ بِهَا"^(١)

وفصّل القول في الأساليب المتعدّدة التي يتشكّل فيها نظم الكلام^(٢)، إذ جاءت في القرآن الكريم بغاية الدقّة، فكان نظمه موافقاً لمعاني النّحو وأحكامه، على نحو معجز لا يقدر عليه بشر.

ولكن من الملفت للنّظر أنّ الميدانيّ لم يشر لجهود أحدٍ من العلماء في دراسة النّظم القرآنيّ.

- ولا يخفى أنّ القرآن الكريم اختار منهجاً فنيّاً بلاغيّاً خاصّاً في رصف كلماته وجمله وآياته للإفصاح عن معاني معيّنة لا يمكن الوصول إليها إلّا عن طريق هذا الرّصف، وحكمة تُدرك من هذا النّسيج المحكم المتين "فإنّ الله عزّ وجلّ قد أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كلّ علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثمّ كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر معهم الجهل والنّسيان والدّهول."^(٣) ومن هنا ينبغي فهم الآية القرآنيّة وفق ترتيب نظمها، لكن هذا لا يعني أنّه لا يحقّ للمفسّر أن يعيد ترتيب النّظم حتّى يظهر له المعنى، ويبحث بعد ذلك عن حكمة مجيئه بهذا الشكل، وهذا كائن في ما قدّم في القرآن الكريم والنيّة به التّأخير، فلمّا فهم على التّقدير والتّأخير، أي: على غير ترتيب النّظم في الآية، اتّضح وزال الإشكال عنه، وقد أفرد السّيوطي (ت ٩١١ هـ) في النّوع (الرّابع والأربعين) بالكلام، وقال: "وهو جديرٌ أن يُفرد بالتّصنيف"^(٤).

ونجد الميدانيّ نفسه لدى تدبّره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه/١٢٩]، صرّح بأنّه قد تُفهم الآيات لغرض معيّن (داعٍ فنيّ مثلاً) على غير ترتيب نظمها، إذ يقول: "والأصل في العبارة: ولولا كلمة سبقت من ربّك وأجل مسمّى لكان لازماً، إلّا أنّ التّنظر في رؤوس الآيات يختلّ، فاقترضت مراعاة الجمال اللفظي في النّظم تأخير عبارة: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾."^(٥)

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٥٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٠٦-٢٤٨، كالّ تقدّم والتّأخير، والحذف، والتّعريف والتّنكير، والاختصاص بـ (إنّما)، وبالتّقي والاستثناء، والفصل والوصل بين الجمل.

(٣) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٢٨.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي ٩٤/٢.

(٥) معارج التّفكير، الميداني، ٣٦١/٨ ومثله أيضاً: قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (٤)﴾ [طه]، إذ قدّمت الأرض على السّموات العلاء، مع أنّ الحكمة تقتضي البدء بذكر الأكبر، وبعده يأتي ذكر ما هو أصغر؛ وذلك لمراعاة فنيّة التّنظر بين رؤوس الآيات، مع مسايرة سلاسة نظم كلمات الآية. انظر: المرجع السابق، ٣٨٤/٨.

- وقد اعتنى كثيرٌ من المفسرين بمبدأ فهم الآيات وفق ترتيب نظمها، وعلى ما هي عليه من تقديم أو تأخير، وردُّوا على من خالفهم في ذلك، ونذكر على سبيل المثال ردَّ أبي حيَّان (ت ٧٤٥هـ) على فهم الفراء (ت ٢٠٧هـ)^(١) للآية على نسق يخالف ترتيب نظمها في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد/٣٨]

يقول الفراء: "لكلِّ كتابٍ أجلٌ". ومثله ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق/١٩]، وذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (وجاءت سكرَةُ الحقِّ بالموتِ) لأنَّ الحقَّ يأتي بها وتأتي به. فكذلك تقول: لكلِّ أجلٍ مؤجلٌ ولكلِّ مؤجلٍ أجلٌ، والمعنى واحد والله أعلم.^(٢)

ويردُّ أبو حيَّان على هذا الفهم، إذ يقول: "ولا يجوز ادِّعاء القلب إلا في ضرورة الشعر وأما هنا فالمعنى في غاية الصَّحة بلا عكسٍ ولا قلبٍ، بل ادِّعاء القلب هنا لا يصحُّ المعنى عليه، إذ ثمَّ أشياء كتبها الله تعالى أزلَّةً كالجنة ونعيم أهلها، لا أجل لها."^(٣)

كما اهتمَّ الرَّمخسريُّ (ت ٥٣٨هـ) ببيان الأسس التي سار عليها نسق الجمل وترتيبها في القرآن الكريم، واهتمَّ كذلك ببيان ترتيب الآيات "فنظم الكلام كما يتصوره يعنى ببيان الروابط والعلاقات بين الجمل، وكيف يدعو الكلام بعضه بعضاً، وكيف يأخذ بعضه بحجرة بعض"^(٤) ومثله أيضاً: الفخر الرَّازيُّ (ت ٦٠٦هـ)، وابن جُزَيِّ (ت ٧٤١هـ)^(٥)، والبقاعيُّ (ت ٨٨٥هـ)^(٦)، ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، وغيرهم كثير.

(١) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الدَّيلمى، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو - بعد الكسائي - واللغة وفنون الأدب، أبو زكريَّا المعروف بالفراء؛ لأنَّه كان يفري الكلام، ولد عام ١٤٤هـ، وتوفيَّ رحمه الله سنة ٢٠٧هـ، من كتبه: "معاني القرآن"، و"المذكر والمؤنث". انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٣٣٣/٢، سير أعلام النبلاء، الدَّهبي، ١٠١/١٩-١٠٢.

(٢) معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النَّجَّاتي وغيره، (مصر، دار الكتب المصريَّة، د.ت)، ٦٥/٢-٦٦.

(٣) تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، (بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ٣٨٧/٥.

(٤) البلاغة القرآنيَّة في تفسير الرَّمخسري، محمَّد محمَّد أبو موسى، ٢٣٦.

(٥) هو محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيِّ الكلبي الغرناطي، أبو القاسم، شارك في فنون من عربيَّة وفقه وأصول وأدب وحديث، ولد عام ٦٩٣هـ، وتوفيَّ سنة ٧٤١هـ، ومن تصانيفه: "التسهيل لعلوم التَّنزيل"، و"تقريب الوصول إلى علم الاصول". انظر: الدَّرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ٨٨/٥-٨٩، الأعلام، الزَّركلي، ٣٢٥/٥.

(٦) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرِّباط - بضمِّ الراء وتخفيف الباء - ابن علي بن أبي بكر برهان الدِّين البقاعي، مؤرِّخ أديب، نزيل القاهرة ثمَّ دمشق، ولد تقريباً في عام تسع وثمانمئة بقرية خربة روحا من عمل البقاع، وكانت وفاته في سنة ٨٨٥هـ، من كتبه: "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقربان" و"نظم الدَّرر في تناسب الآيات والسُّور" المعروف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي. انظر: الضوء =

- ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ علماء البديع قد نظروا إلى عناصر جماليّة معنويّة تتعلّق بتتابع المفردات والجمل في الكلام الواحد، فوضعوا لما اكتشفوه منها أسماء، وهي: الاطراد^(١)، والترتيب^(٢)، والترقي والتدلي^(٣)، وحسن النسق^(٤)، والتّعدد^(٥).

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكر ودقائق التدبّر":

- ظهر الأثر المعنويّ لهذه القاعدة على نحو واسع في تفسير الميدانيّ الذي اجتهد في فهم كثير من الجمل والأفكار القرآنيّة المتتابعة وفق ترتيب نظمها^(٦)، كما ظهر الأثر البلاغيّ لها من خلال بيانه في مواطن قليلة من تفسيره الأغراض المترتبة من ذلك التّرتيب، واستعان بالتّفكر والتأمّل الطّويل، بالإضافة إلى فكرة تناسب النّظم القرآنيّ، والأمثلة الآتية توضّح ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ [عبس] تصف الآيات الأحداث التي تُشاهد في اليوم الآخر، من فرار المرء من أخيه، وأمّه وأبيه اللذين هما أكثر قرابة، وحقّهما عليه أكثر من حقّ أخيه، وفراره من صاحبتة وبنيه؛ لأنّ هوى الإنسان مرتبط بصاحبتة التي

= اللامع، السّخاوي، ١٠١/١، طبقات المفسّرين، الأدنه وي، ٣٤٧-٣٤٨.

(١) هو: "أن يطرّد للمتكلّم أسماء لآباء ممدوحة منسوب بعضها إلى بعض، مرتّبة على حكم ترتيبها في الميلاد." ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السّلام: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة ١٣٣]، فتجاوز جدّهم الأدنى إلى جدّهم الأعلى، لكونه المبتدئ بالملّة المتّبعة. انظر: بديع القرآن، ابن أبي الأصعب المصري، تحقيق: حفيّ محمد شرف، (مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت)، ١٤١-١٤٢.

(٢) هو: "أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطّبيعية، ولا يدخل فيها وصفاً زائداً." ومثاله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ [غافر]، فقد جاء في الآية ذكر أطوار خلق الإنسان وفق ترتيبها الطّبيعي. الإتيان في علوم القرآن، ٣٠٤/٢.

(٣) هو: "ذكر المتعدّدات من جنس أو نوع أو صنف واحد، إذا كان بينها تفاضل في الدّرجات أو المراتب، أن تذكر إمّا من الأدنى إلى الأعلى ترقياً، أو من الأعلى إلى الأدنى تدلياً، ما لم يدع داع بلاغي آخر يحرص المتكلم أن يشير إليه بمخالفة هذا النظام، كمرعاة رؤوس الآي، والتنويع في نصوص متعددة."، ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِمَا أُمُّ هُمْ أَيْدٍ يَنْطِشُونَ بِمَا أُمُّ هُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِمَا أُمُّ هُمْ أَدَانٌ يَسْمَعُونَ بِمَا قُلْ اذْعُوا شُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنْظَرُونَ (١٩٥)﴾ [الأعراف]، إذ "جاء في هذه الآية البدء بالأدنى لغرض التّرقى، إذ اليد أشرف من الرّجل، والعين أشرف من اليد، والسمع أشرف من البصر، فالأعمى يستغني بالسمع لتحصيل المعارف الكثيرة، لكن الأعم البصير دونه في ذلك." البلاغة العربيّة أسسها علومها وفنونها، الميداني، ٤٦١/٢.

(٤) انظر الصّفحة (١٧٧).

(٥) هو: "إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد وأكثر ما يوجد في الصّفات." كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)﴾ [الحشر]، الإتيان في علوم القرآن، ٣٠٨/٢.

(٦) معارج التّفكر، الميداني، انظر مثلاً: تدبّره النّصّ القرآني من الآية (١٨) إلى (٢٥) من سورة "المدنّ"، ١٠٦-١٠٩، والنصّ =

يحبُّها أشدُّ من ارتباط عاطفته بأمِّه وأبيه، ولأنَّ ارتباط عاطفته ببنيه أشدُّ من ارتباطه بصاحبته.^(١) ويُلاحظ في الآيات ارتقاءً مقصوداً: من الأخ إلى الأمِّ والأب، ومن الأمِّ والأب إلى الصَّاحبة والبنين، كما أشار الميدانيُّ الذي ختم كلامه في تدبُّر هذه الآيات، بقوله: "فالعطف ولو كان بالواو التي تدلُّ على مطلق الجمع، إلَّا أنَّ ترتيب المعطوفات قد لوحظ فيه معنى الارتقاء الطَّبيعي، وهذا من بدائع التَّرتيب اللَّفْظي في القرآن."^(٢) فظهرت بلاغة النَّصِّ القرآني في ترتيبه لتلك الأحداث في يوم القيامة.

٢- في قوله تعالى: ﴿اِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر/١] بيان قضيتين: اقتراب السَّاعة، وانشقاق القمر، إذ يقول الميدانيُّ: "وجاءت القضية الثَّانية هذه بمثابة البرهان على صدق القضية الأولى ...، لأنَّ انشقاق القمر في السَّماء لا يمكن أن يفعله إلَّا الله خالق السَّمَاوَات والأَرْض، فإذا أجراه لبعض عباده فإنَّه يدلُّ بذلك على أنَّه صادق فيما يُبلِّغ عن ربِّه من غيبيَّات."^(٣)

ففهم الآية وفق ترتيب نظمها، وخطأً ابن كيسان (ت ٢٢٥هـ)^(٤) الذي فهم قوله تعالى في هذه الآية على التَّقديم والتَّأخير، وأنَّ الأصل: انشقَّ القمر واقتربت السَّاعة، متوهِّماً أنَّ انشقاق القمر سابقٌ لاقتراب السَّاعة. وذلك من توهُّمه أنَّ اقتراب السَّاعة هو وقوعها، فوقع في الخطأ، مع أنَّ اقتراب السَّاعة شيء، ووقوع السَّاعة شيء آخر، فاقتراب السَّاعة حاصلٌ قبل انشقاق القمر حتماً.^(٥)

= القرآني من الآية (٩) إلى (١٧) من سورة "القمر"، ٣٥٧/٣-٣٧٣، والنَّصُّ القرآني من الآية (٥١) إلى (٧٣) من سورة "الأنبياء"، ٣٢٩-٣٢٠/١٤.

(١) انظر: معارج التَّفكُّر، الميداني، ٢٥٤/٢-٢٥٥.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٥/٢، هذا ما قاله الزمخشري في الفائدة من التَّرتيب المذكور في الآية، إذ يقول: "وبدأ بالأخ، ثمَّ بالأبوين لأنَّهما أقرب منه، ثمَّ بالصَّاحبة والبنين لأنَّهم أقرب وأحبُّ؛ كأنَّه قال: يقرَّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبتة وبنيه." الكشَّاف، الزمخشري، ٧٠٦/٤.

(٣) معارج التَّفكُّر، الميداني، ٣٢٣/٣.

(٤) هو عبد الرَّحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم، فقيه معتزلي مفسِّر، توفيَّ رحمه الله ٢٢٥هـ، صاحب المقالات في الأصول، وله "تفسير القرآن". انظر: لسان الميزان، الدَّهبي، ٤٢٧/٣، الأعلام، الزركلي، ٣٢٣/٣.

(٥) انظر: معارج التَّفكُّر، الميداني، ٣٣٤/٣ ضَعَّف الرَّازي هذا القول، إذ يقول: "وقال أكثر المفسِّرين: معناه أن من علامات قيام السَّاعة انشقاق القمر عن قريب، وهذا ضعيف حملهم على هذا القول ضيق المكان، وخفاء الأمر على الأذهان." ثمَّ بيَّن سبب ضعفه. انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ٢٧/٢٩.

٨- عنوان القاعدة: "حول النظر في توجيه الخطاب الربّاني" ^(١)

المطلب الأوّل: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أوّلاً: القاعدة:

تألّف هذه القاعدة من ثلاث مقولات، وهي:

- المقولة الأولى: "حول خطاب النّاس بصفة عامّة، وخطاب الذين آمنوا على وجه الخصوص". ^(٢)
- والمطلوب من المتدبّر فيها: أن ينظر في توجيه الخطاب، فإذا كان خطاباً للناس أو للمؤمنين أو لأهل الكتاب أو لغيرهم، أو للرّسول ﷺ، لوحظ فيه معنى يخصّ كلّاً منهم. ^(٣)
- المقولة الثّانية: المطلوب من المتدبّر في هذه المقولة ملاحظة أنّ "الأصل في الخطاب الرّبّاني، ولو بعد نزول القرآن أنّه فوق الزّمان، والحادثون هم الذين متى وجدوا وصاروا أهلاً للخطاب، وسمعوا القرآن وقرأوا الآيات التي تخصّصهم علموا أنّهم مخاطّبون بها". ^(٤)
- المقولة الثالثة: المطلوب من المتدبّر في هذه المقولة ملاحظة أنّ: خطاب الله ﷻ في القرآن للرّسول ﷺ شامل للمؤمنين، ما لم يكن في النصّ أو في غيره دلالة صريحة على الخصوصية، كوصال الصّيّام.
- وخطاب المفرد في القرآن هو خطاب لكلّ فرد يصلح للخطاب ^(٥).

ثانياً: بيان القاعدة:

- في المقولة الأولى: ذكر الميداني أمثلة تتبّع فيها أوّلاً النصوص القرآنيّة المصدّرة بخطاب النّاس: "يا أيّها النّاس" حسب ترتيب النزول، وأولّها ما جاء في سورة "الأعراف" في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ إذ إنّ مضمون هذا النصّ يعمّ النّاس

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٦١١ ، وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الحادية والثلاثون.

(٢) المرجع السابق، ٦١١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦١١.

(٤) المرجع السابق، ٦١٨.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٦٢٢.

جميعاً؛ "لأنَّه دعوة إلى الإيمان بالقضيَّة الأولى من قضايا دعوة الرِّسول مُحَمَّد ﷺ، وهي الإيمان به رسولاً من عند الله الذي لا إله إلا هو. وهذه الدعوة تشمل أيضاً من كان على إيمان صحيح قبل بعثته." (١)

ومثله مضامين النُّصوص القرآنيَّة في سورة "فاطر" [الآية: ٣]، [الآية: ٥-٦]، [الآية: ١٥-١٧]، وسورة "يونس" [الآية: ٢٣]، [الآية: ٥٧]، [الآية: ١٠٤]، [الآية: ١٠٨]، وسورة "لقمان" [الآية: ٣٣]، وسورة "الانفطار" [الآية: ٦-٨]، وسورة "الانشقاق" [الآية: ٦-١٥] (خطاب لجنس الإنسان الشَّامل لكلِّ النَّاس)، إذ إنّ النداءات الواردة في هذه السور كلّها قد كانت في العهد المكيّ، أما في العهد المدنيّ فقد نادى الله تعالى النَّاس جميعاً في سورة "البقرة" [الآية: ٢١-٢٢]، [الآية: ١٦٨-١٦٩]، وسورة "النِّساء" [الآية: ١]، [الآية: ١٣٣]، [الآية: ١٧٠]، [الآية: ١٧٤]، وسورة "الحجّ" [الآية: ١-٢]، [الآية: ٥-٧]، [الآية: ٤٩-٥١]، [الآية: ٧٣]، وسورة "الحجرات" [الآية: ١٣]. حيث لاحظ الميدانيُّ أنّ مضمون تلك النُّصوص يشتمل على معنَى يعمُّ النَّاس جميعاً. (٢)

ولدى تتبُّعه للنُّصوص القرآنيَّة المصدَّرة بخطاب المؤمنين: "يا أيُّها الذين آمنوا" لاحظ أنّ مضمون تلك النُّصوص يشتمل على معانٍ تخصُّ الذين آمنوا، من أمر ونهي وتحذير وتوجيه وغير ذلك. وقد أحصى تلك النداءات فبلغت (٨٩) نداءً كلّها مدنيَّة. (٣)

- وفي المقولة الثَّانية:

وضَّح أنّ المخلوقين الرِّميين "متى وجدوا في أزمانهم بأحوالٍ يكونون فيها مؤهَّلين لتلقّي الخطاب الرِّبانيّ تعلّق بهم الخطاب كأنَّه منزَّل عليهم، منذ صاروا مؤهَّلين للخطاب، ويستمرُّ التعلّق ما داموا مؤهَّلين له." (٤)

ومثّل لذلك بأمثلة ثلاثة، سنعرض منها هنا مثلاً واحداً فقط، وهو:

المثال الثَّالث: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢)﴾ [الأنبياء]

يرى الميدانيُّ أنّ أهل معرفة الظواهر الكونيَّة الواردة في الآية لم يكونوا موجودين عند نزولها، "فلمَّا وجد منهم

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٦١٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٦١٢-٦١٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦١٨.

(٤) المرجع السابق، ٦١٨.

من عرف حقائق تتعلق بما نبّهت عليه آيات هذا النصّ، تناولهم الخطاب الرّبّاني الموجّه لهم من خارج حدود الزّمن من قبل أن يوجدوا في الواقع." (١)

- وفي المقولة الثّالثة:

بيّن أنّ معظم الخطابات التي جاء فيها "قل" تتناول كلّ ذي أهليّة لأن يقول ما أمر الله به أن يقوله. فقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾ [الإحلاص]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ [الفلق]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾ [النّاس]. هو خطابٌ لكلّ مكلفٍ على انفراده.

كذلك فإنّ معظم الخطابات التي فيها مثل قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف/١٠٣] تخاطب بالإفراد كلّ ذي أهليّة للخطاب، وأكّد أنّه على هذا المنوال ينبغي أن نتدبّر خطابات القرآن. (٢) والمثال الذي عرضه على أنّ خطاب الله ﷻ للرّسول ﷺ شامل للمؤمنين، ما لم يكن في النصّ أو في غيره دلالة صريحة على الخصوصية، ما جاء في قوله تعالى بشأن المنافقين: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾ [التوبة]، فيلاحظ أنّ الخطاب شامل للرّسول ﷺ وللمؤمنين. (٣)

المطلب الثّاني: المناقشة:

- الخطاب القرآني خطاب ربّاني صادر من الله ﷻ إلى الخلق، وقد اهتمّ علماء علوم القرآن بدراسة أوجه هذا الخطاب، فتحدّث الزّركشي (ت ٧٩٤هـ) في النّوع الثّاني والأربعين عن وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن وعدّد منها أربعين وجهاً (٤)، وتبعه السيوطي (ت ٩١١هـ) في النّوع الحادي والخمسين فذكر أربعة وثلاثين وجهاً. (٥)

- وقد اقتصر الميداني في المقولة الثّالثة على ذكر وجهين فقط من وجوه مخاطبات القرآن الكريم:

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٦١٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٦٢٤-٦٢٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦٢٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، ٢١٧/٢-٢٥٣، ومنها: - خطاب العامّ المراد به العموم، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)﴾ [الانفطار]. - خطاب الخاصّ والمراد به العموم، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق/١]، فافتتح الخطاب بالنبي ﷺ، والمراد سائر من يملك الطّلاق. - خطاب التّوع، كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. - خطاب العين، كقوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمَ﴾. - خطاب التّحييب، نحو: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم/٤٢].

(٥) الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ١٤٩/٢-١٥٤.

١ - خطاب الله ﷻ للرسول ﷺ في الغالب شاملٌ للمؤمنين، ما لم يكن في النصّ أو في غيره ما يدلُّ دلالةً صريحةً على الخصوصية^(١)، وذكره علماء الأصول لدى كلامهم عن أوجه الخطاب في العموم والخصوص.

٢ - خطاب المفرد فإنَّه خطاب لكلِّ فرد يصلح للخطاب، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء^(٢).

- ولعلَّ دعوة الميدانيّ - في المقولة الأولى - المتدبّر إلى ملاحظة المعاني التي تخصُّ المتلقّين الذين وجّه إليهم الخطاب أمر ليس بحاجة إلى النصّ عليه في قاعدة من قبله لاسيّما إذا كان الخطاب مصدراً بعبارة: "يا أيّها النّاس"^(٣) (التي تكثر في السور المكيّة)، أو عبارتي: "يا أيّها الذين آمنوا"، أو "يا أهل الكتاب" (اللتين تكثران في السور المدنيّة)، فالخطاب القرآنيّ في هذه الحالة لا يتعدّى كونه رسالة إبلاغيّة تتضمّن معنىً يتعلّق بالمرسل إليهم.

ومن جهةٍ أخرى نجد أنه قد أطل في عرض أمثلة هذه المقولة - عرض النصوص القرآنيّة المصدّرة بخطاب النّاس - ولو أنّه اكتفى بعرض نصٍّ أو نصّين مع ذكر نتيجة تتبّع لتلك النصوص لأوجز.

- في المقولة الثّانية بيّن إحدى خصائص الخطاب القرآنيّ وهو أنّه غير مقيّد بزمانٍ أو مكانٍ، فهو "خطابٌ عالميّ، ورسالته خاتمة، وله بعد في الزّمان الماضي والحاضر والمستقبل، وله بعدٌ في المكان بحيث يشتمل العالم كلّهُ".^(٤) ويشار هنا إلى أنّه قد يُفهم من كلامه في هذه المقولة (من أنّ الخطابات التي تتضمّن أموراً علميّة هي خارجة عن حدود الزّمن، وموجّهة لباحثين علميين متى وجدوا تعلّق بهم الخطاب)، أنّ الباحثين العلميين هم المخصوصون بالخطاب فقط، ولاسيّما عندما قال: "وهؤلاء المخاطبون لم يوجدوا إلّا بعد نزول

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ٣٩٨/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٧٠/٣.

(٣) بيّن ابن عاشور أنّه إذا كانت صورة الخطاب في آيات النداء موجّهة إلى ناس سامعين مخصوصين، فهذه الصّورة تعمّ لتشتمل على من لم يحضر وقت سماع هذه الآية، ولمن سيوجد من بعد، وهذا التعميم يقتضيه عموم التكليف، وعدم قصد تخصيص الحاضرين، وهذا من أضرب الخطاب، الذي لا يكون لمعيّن، فيترك فيه التعيين ليعمّ كلّ من يصلح للمخاطبة بذلك. انظر: التّحرير والتّوير، ابن عاشور، ٣٢٥/١.

(٤) كيف نتعامل مع القرآن، محمّد الغزالي، ط٧، (نخضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م)، ٢١٦.

القرآن بقرون، مع أن القرآن تحدّث عنهم بحديث الماضي، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾^(١) ونوضّح هنا أن الخطاب صالح لهم ولغيرهم ويتعلّق بهم وبغيرهم ممن هم ليسوا بباحثين علميين، وإلا لزم من ذلك أن القرآن غير بليغ؛ لأنّه لم يراع حال المخاطبين آنذاك، وكان بالنسبة لهم كلاماً بلا معنى، تعالى الله وكلامه عن هذا علواً كبيراً.

ونرى الميدانيّ نفسه - في تفسيره - قد أكّد على عدم تعلّق تلك الخطابات بالباحثين العلميين فقط وذلك لدى تدبّره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧) [فاطر]، فبعدما ذكر أن الاستفهام في الآية موجّه لمن هو مؤهّل من أهل البحث العلميّ لمتابعة البحث والدّرس وإجراء التّجربات في المختبرات العلميّة، قال إنّ "الإنسان العادي الذي ليست لديه الأهليّة للبحث العلميّ، الكاشف لأسرار اختلاف الألوان في الأكوان، صالح لأن يُكلّف أن يوجّه نظره التّفكّري لهذه الظّاهرة، إذ باستطاعته أن يدرك منها حكمة الله وعجّله ... ومعلوم أن هذه الأشياء وأمّثالها، يستطيع الأذكياء التّوصّل إلى إدراك إتقان الله المدهش فيها، دون بحوث علميّة دقيقة ومستفيضة، ودون معامل ومختبرات ولا ينقطع وجود أمثال هؤلاء في النّاس منذ عصر تنزيل القرآن المجيد، وحتى آخر الدّهر، والخطاب في النّص يصلح لأن يوجّه لهم."^(٢)

- وفي المثالين الأوّل والثّاني لهذه المقولة من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) [ق]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٥) [الأعراف] نجد الميدانيّ قد وضّح أن المخاطبين في الآيات هم باحثون علميّون تعلّق بهم الخطاب قبل أن يوجدوا من خارج حدود الزّمن، فلمّا وجدوا تعلّق بهم الخطاب، لكن بالرجوع إلى تفسيره لم يشر إلى ذلك^(٣).

(١) قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٦١٩.

(٢) معارج التّفكّر، الميداني، ١٥٠/٧-١٥١.

(٣) انظر: المرجع السّابق، ٤٣/٣، ٧٤/٥.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير " معارج التفكير ودقائق التدبر ":

- اعتمد الميداني في المقولة الأولى على دلالة النصّ الصريح، حيث خلال تدبره آيات كثيرة في كل منها معنى يخص المتلقين للخطاب، فيما تدبر من القرآن الكريم، فبدا الأثر المعنوي لتطبيقه هذه المقولة ظاهراً، وأمثلة ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون] نداء للكافرين ب: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الآيات معنى يخصهم وحدهم دون المؤمنين - كما بين الميداني - فلهم "دينهم" الباطل، ليس للمؤمن المسلم منه شيء، وله دينه الحق ليس لهم منه شيء، إلا أن يتركوا باطلهم، ويتبعوا ما أنزل الله على رسوله. ^(١)

٢- في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ (٣)﴾ [فاطر]

نادى الله ﷻ في الآية الناس جميعاً بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، فمعنى الآية يعمُّ الناس جميعاً، هذا ما بينه الميداني أثناء تدبره الآية، إذ يقول: "نادى الله ﷻ الناس بأن يذكروا نعمة الله عليهم..." ^(٢)

- واهتم بتطبيق المقولة الثانية أثناء تدبره لكثير من النصوص القرآنية التي تتضمن إشارات علمية، إذ ذكر ما توصل إليه الباحثون العلميون، ولكن أن يخصهم بتوجيه تلك النصوص إليهم دون غيرهم، ومثال ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [النحل/٦٩]

يقول: "قال علماء الأحياء: قد جعل الله للنحلة معدة خاصة لتجميع الرحيق فيها، وصناعة العسل، فإذا صار عسلاً أخرجته من فمها، وصبته في حجرة من حُجرات الخلية التي تنتمي إليها، إذ ملكتها أمها." ^(٣)

٢- في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس/٤٠]

يقول: "ومنجزات العلوم الكونية قد اكتشفت ما سبق أن أبانه القرآن... ولكل نجم أو كوكب فلك خاص به يسير على خطّة ساجاً لا يتعدى حدوده، وهم جميعاً يسبحون بانتظام عجيب، دون أن تتعارض أو

(١) معارج التفكير، الميداني، ٧٠٧/١.

(٢) المرجع السابق، ٣٧/٧.

(٣) المرجع السابق، ٦٠١/١٣.

تتصادم، ...^(١)

فيلاحظ من المثالين السابقين ترك تخصيصه توجيه هذه الآيات القرآنية إلى علماء الأحياء والجيولوجيا دون غيرهم.

- وقد التزم الميداني بتطبيق المقولة الثالثة في تفسيره، فظهر الأثر المعنوي لها في فهم الآيات، بعد ملاحظته للسياق كما ستوضح النماذج التطبيقية الآتية، وظهرت بلاغة النص القرآني في ملائمة لأحوال المخاطبين في كل زمان ومكان.

الأمثلة:

- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)﴾ [الأنعام] خطاب الله ﷻ لرسوله ﷺ شامل لأُمَّته، إذ يقول الميداني في الآية: "قول الله تعالى متابعاً تعليماته لرسوله ﷺ، ويلحق به كل حامل رسالته من أُمَّته." ^(٢)

- في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)﴾ [البروج] خطاب المفرد خطاب لكل فرد يصلح للخطاب، ويشير إلى ذلك الميداني بقوله: "هذا خطاب موجّه بصورة إفرادية لكل مكلف مأمور بالإيمان والعمل الصالح ممن يفهم الخطاب، لتحذيره من بطش الله ﷻ المعجل والمؤجل إلى يوم الدين." ^(٣)

(١) معارج التفكر، الميداني، ١٢٣/٦-١٢٤.

وانظر أيضاً: تدبره للآية: ﴿مَنْ نُطْفِقْ خَلْقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩)﴾ [عبس]، ٢٣٦/٢-٢٣٧.

والآية: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)﴾ [يس]، ١١٧/٦-١١٨.

والآية: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [التحل/١٦]، ٥٣٥/١٣.

والآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء/٣٠]، ٢٩٢/١٤.

(٢) المرجع السابق، ٢٤٧/١١.

ومثله أيضاً: تدبره لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ [العلق]، ٤٦/١.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾ [القصص]، ٤٢٧/٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٣٨٢/٣.

وانظر أيضاً: تدبره للآية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ [الفلق]، ٢٨/٢. والآية: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الفرقان/٩]، ٣٧٩/٦.

والآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ﴾ [الفرقان/٤٥]، ٥٣٠/٦.

والآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ [مريم/٧٧]، ٦١٨/٧.

والآية: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾ [الإسراء]، ٥٩٢/٩.

٩- عنوان القاعدة: "حول أوجه النص التي يهدف إليها"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

المطلوب من المتدبر: "أن يتفكر فيما يمكن أن يشتمل عليه النص القرآني من أوجه، وما يهدف إليه كل وجه منها من أغراض بانية وتربوية وتعليمية".^(٢)

ثانياً: بيان القاعدة:

- يلفت الميداني نظر المتدبر في هذه القاعدة إلى إحدى الظواهر في النصوص الأدبية البليغة الرفيعة، فقد يكون النص موجهاً لعدة أهداف، وهذه الأهداف كلها مقصودة منه، وكل مخاطب يأخذ ما يناسبه ويلتزم حالته الفكرية والنفسية والاجتماعية.

فمن النصوص ما يكون ذا هدف مزدوج^(٣)، ومنها ما يكون مثلث الهدف، أو أكثر من ذلك. ويكثر هذا في النصوص القرآنية، فقد يكون النص تهديداً وتوعداً للكافرين، ووعداً للمؤمنين، وتربيةً وتأديباً وتسلياً للرسول ﷺ.^(٤)

- وقد زود قاعدته بثلاثة أمثلة^(٥)، ونكتفي بعرض واحد منها، وهو المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)﴾ [الضحى]، بعد أن ذكر الميداني روايات سبب نزول السورة^(٦)، لاحظ أن هذا النص القرآني مثلث الهدف، فهو "موجهٌ بصريح الخطاب للرسول ﷺ تسلياً له، وتطميناً وتمكيناً، وتكريماً، ووعداً بمستقبل عظيم، وموجهٌ مع الرسول للمؤمنين تثبيتاً وتمكيناً، ومسرةً لقلوبهم

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٤٥ وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الثالثة.

(٢) المرجع السابق، ٤٥.

(٣) مثاله ما ذكره الميداني: "أن يوجه ذو سلطان عام تهديده الشديد للذين يخالفون أوامر مبعوث من قبله، للقيام بمهمة من المهمات السلطانية، إننا نلاحظ في النص التهديدي هدفين معاً: أحدهما: تهديد الذين يخالفون. ثانيهما: تقوية نفس المبعوث، وشد أزره وشحذ همته للقيام بما يُعْث به على أفضل وجه". المرجع السابق، ٤٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٤٥-٤٦.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٤٦-٥١.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٤٨-٤٩.

بتكريم الله لقائدهم، ورسول ربهم الذي آمنوا به واتبعوه، وشفاءً لصدورهم من الذين أشاعوا أنَّ ربَّ محمدٍ قد قلاه، وموجهً تعريضاً^(١) لمشيعي الشائعة المفتراة، ولسائر مؤيديها من الكافرين، بهدف مكائدتهم وإعلان خيبتهم في إشاعتهم الكاذبة، وأنَّ مسعاهم الإعلامي قد أحبطه الله.^(٢) أي إنَّ هذا النصَّ موجهٌ للرسول ﷺ وللمؤمنين وللكافرين. وهكذا فهم الميدانيُّ كيف يكون للنصِّ الواحد عدَّة وجوه، وكيف يكون موجهاً لعدَّة اتجاهات.^(٣)

المطلب الثاني: المناقشة:

من المعلوم أنَّ بيان أوجه النصِّ، والغرض الذي يهدف إليه كلُّ وجه في النصوص القرآنيَّة الموجهة لأكثر من اتجاه والخطاب فيها واحد، هدفٌ أساسيُّ يقصده المفسِّر من العمليَّة التفسيرية. ويُحتاج لإظهار تلك الأوجه - في كثير من تلك النصوص - إلى تدبُّر عميقٍ واطِّلاعٍ واسعٍ على الأساليب البلاغيَّة كالكناية والتعريض وغيرها. ومن جهة أخرى يجب أن لا يغفل المتدبِّر عن أسباب النزول^(٤) وقرائن المقام الأخرى وقرائن السياق وغيرها، فهي ممَّا يعينه أيضاً على ذلك.

- وقد تنبَّه كثير الطبري (ت ٣١٠ هـ) من المفسِّرين إلى أوجه النصِّ التي يهدف إليها، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) [البقرة]، قال: "وإن كان ظاهر الكلام على وجه الخطاب للنبي ﷺ، فإنَّه مقصودٌ به قصد أصحابه."^(٥) أي: إنَّ هذا النصَّ ذو هدفٍ مزدوج.

(١) عرّف ابن جرير التعريض بأنَّه: "ما كان من لحن الكلام الذي يفهم به السامع الفهم ما يفهم بصريحه." (لحن الكلام: هو الإيماء في الكلام دون التصريح)، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٠٢/٥.

أمَّا ابن الأثير فقد عرّف التعريض بأنَّه: "اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي، فإنَّك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لحتاج، وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبرد قد آذاني، فإنَّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب." المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ١٨٦/٢.

(٢) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٩-٥٠.

(٣) انظر: لمرجع السابق، ٥٠، تفاوت المفسِّرون في بيان أوجه النصِّ والأغراض التي يهدف إليها كل وجه، ولم يشر كثير من المفسِّرين إلى أنَّ هذا النصَّ موجهٌ للمؤمنين تثبيتاً وتمكيناً.

(٤) سبب النزول: هو "ما نزلت الآية أو الآيات تتحدَّث عنه أيام وقوعه." علوم القرآن الكريم، نور الدِّين عتر، ٤٦.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٩٢/٣.

فالنَّاحِيَةُ التَّطْبِيقِيَّةُ للقاعدة في التفسير ممكنة، وإن توصل المتدبر إلى أوجه النص التي يهدف إليها يتوجب عليه ألا يجزم أنها هي المرادة فقط ويحصر النص القرآني بها فكتاب الله عجل معجز في دلالات معانيه وتنوع وجهة مبانيه.

ويتفق مضمون هذه القاعدة مع بديعة معنوية في علم البديع وهي "الإدماج" الذي عرفه الميداني في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" بأنه: "إدخال فكرة في فكرة، أو غرض بلاغي في غرض آخر، أو وجه من وجوه البديع في وجه منه آخر، بأسلوب من الكلام لا يظهر منه إلا إحدى الفكرتين، أو أحد الغرضين، أو أحد الوجهين، فإذا تأمل المتفكر ظهر له المدمج وسره." (١)
ثم ضرب له مثلاً: "كأن يوجه الكلام في القرآن لوعده الرسول والمؤمنين بالنصر والتأييد من الله عز وجل، ويدمج فيه وعيد الكافرين بالهزيمة والانكار والدلة والخذلان من الله عز وجل." (٢)

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

- لا بد من الإشارة بدايةً إلى أن تطبيق الميداني للمقولة الثالثة في القاعدة الحادية والثلاثين: "حول النظر في توجيه الخطاب الرباني" (٣) المدروسة سابقاً (٤)، يدخل ضمن تطبيقه لهذه القاعدة التي تضيف على تلك المقولة بيان الأغراض البيانية والتربوية والتعليمية.

ومن جهة أخرى وجد أن الميداني في مواطن كثيرة من تفسيره كان من المتوقع منه تطبيق القاعدة ببيان جميع أوجه النص، وما يهدف إليه كل وجه من أغراض إلا أنه لم يفعل، أو أنه بين بعضاً منها، فلم يظهر أثر القاعدة في تلك المواطن. ومثال ذلك:

- قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء/ ١١٠]
نص موجّه للرسول ﷺ وللمؤمنين تربيةً وتعليماً، وموجه للمشركين تعريضاً بهم فقد كانوا ينكرون اتصاف الله عجل بالرحمة، ولم يبين الميداني ذلك. (٥)

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٤٢٧/٢، وعرف القزويني الإدماج: "هو أن يضمن كلاماً سبق لمعنى معنى آخر." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣٤٨.

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٤٢٧/٢.

(٣) وهي: "خطاب الله عجل في القرآن للرسول ﷺ شامل للمؤمنين، ما لم يكن في النص أو في غيره دلالة صريحة على الخصوصية، ... وخطاب المفرد في القرآن هو خطاب لكل فرد يصلح للخطاب." قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٦٢٢.

(٤) انظر الصفحة (١٩٠).

(٥) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٧٥٤/٩.

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَعَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ (١٢)﴾ [نوح]، يلحظ توجيه النص للكافرين تهديداً ووعيداً، وللمؤمنين تقوية وتثبيتاً، ولم يبين الميداني ذلك.^(١)

- في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل/٣٥]، اكتفى الميداني بذكر أن في هذه العبارة تلويحاً^(٢) ضمنياً بعقاب المشركين على كفرهم، ويمكن القول أيضاً بأنها موجّهة إلى النبي ﷺ أيضاً تعليماً وتسليّة.^(٣)

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف]، لم يوضح الميداني أن الخطاب بالإضافة إلى أنه موجّه إلى المشركين فهو موجّه إلى المؤمنين أيضاً.^(٤)

(١) انظر: معارج التفكر، الميداني، ١٤/٦٥٤-٦٥٥.

(٢) انظر تعريفه في الصفحة (٢٠٢).

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٣/٥٥٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/١٤٩.

(٤) انظر: معارج التفكر، الميداني، ٤/٢٨٤-٢٩٤، ويذكر لنا ابن عاشور أهداف توجيه الخطاب في الآية وأغراضه أثناء تفسيره للآيات، إذ يقول: "فالخطاب موجّه إلى المشركين ابتداءً، ولذلك كان للتأكيد بحرف (إِنَّ) موقعه لردّ إنكار المشركين انفراد الله بالربوبية. وإذا كان ما اشتملت عليه هذه الآية يزيد المسلمين بصيرة بعظم مجد الله وسعة ملكه، ويزيدهم ذكرى بدلائل قدرته، كان الخطاب صالحاً لتناول المسلمين." التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨/١٥٩.

المبحث الثاني: الإيجاز:

في القرآن الكريم اكتنازٌ للألفاظ، ينشأ منه ظلالٌ واسعةٌ ورحبةٌ من المعاني التي تستحقُّ العناية والدراسة وإعمال الفكر والعقل لمعرفة عمق دلالتها عليها، هذا ما تؤكّده القاعدة التَّدْبِيرِيَّة من "قواعد التَّدْبِير الأمثل لكتاب الله ﷻ": "حول اقتضاءات النصِّ ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حُذفت منه للإيجاز والتَّضمينات التي يُضْمَنُها". والتي سيتمُّ دراستها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التَّفَكُّر ودقائق التَّدْبِير"

عنوان القاعدة: "حول اقتضاءات النصّ ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حُذفت منه للإيجاز والتّضمنات التي يُضمّنُها".^(١)

المطلب الأوّل: القاعدة وبيانها عند الميدانيّ:

أوّلاً: القاعدة:

المطلوب من المتدبّر في هذه القاعدة:

- أن يضع في ملاحظته دائماً فكرة العمق القرآنيّ، ليزيد أناةً ورويةً لدى تدبّر آيات القرآن الكريم.
- أن يُعمل ذكاءه، وينعم النّظر في استنباط المضامين الفكرية، التي تُستفاد من النصّ عن طريق اللّزوم الفكريّ، أو الإشارات الضمنيّة للكلام، بما فيها من تلويح، أو تلميح، أو تعريض، أو كناية^(٢)، أو غير ذلك.

- أن يبحث عن كلّ محذوفٍ من النصّ للإيجاز^(٣)، يستدعيه المعنى، أو توازن النصّ وتناظره، أو يوجد في

(١) قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٢٣٩. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: الرابعة عشرة.

(٢) بيّن السّكاكي (ت ٦٢٦هـ) أنّ الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، وأنّ مساق الحديث يحسر اللثام عن ذلك. أي إنّه: "متى كانت الكناية غرضية على ما عرفت، كان إطلاق اسم "التعريض" عليها مناسباً، وإذا لم تكن كذلك نُظِر، فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكانيّ عنه متباعدة لتوسط لوازم، كما في: كثرة الرماد وأشباهه، كان إطلاق اسم "التلويح" عليها مناسباً، لأنّ التلويح هو أن يشير إلى غيرك عن بعد، وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو عريض القفا، وعريض الوسادة، كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً؛ لأنّ الرمز هو أن تشير على قريب منك على سبيل الخفية." مفتاح العلوم، السّكاكي، ٤١١، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ٤١٥.

وتحدّث القزويني (ت ٧٣٩هـ) عن التلميح في باب السرقات الشعريّة، وقال: "وأما التلميح فهو أن يُشار إلى قصّة أو شعر من غير ذكره." الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٣٨٨، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ٤١٣.

(٣) الإيجاز لغة: من (وَجَزَ) بالضم (وَجَازَةً) فهو (وَجِيزٌ) أي قصير سريع الوصول إلى الفهم، وبعضهم يقول: (وَجَزَ) في كلامه (وَأَوْجَزَهُ) اختصره. انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (وَجَزَ) ٤٢٧/٥، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمّد الفيومي، (بيروت، المكتبة العلميّة، د.ت)، كتاب الواو ٦٤٨/٢ وقريب من هذا المعنى اللّغوي جاء المعنى الاصطلاحي: فقد عرّف الرّمثاني (ت ٣٨٦هـ) الإيجاز، بأنّه: "تقليل الكلام من غير إخلالٍ بالمعنى." ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الرّمثاني الخطّابي عبد القاهر الجرجاني، ٨٠ وبالمعنى نفسه عرّفه الطّوّي (ت ٧١٦هـ) بقوله: "هو التعبير عن المعنى الكامل بأقلّ ما يمكن من الحروف." الإكسير في علم التّفسير، الطّوّي، ٢١٠ وغيرهما من العلماء. وقد قسّم علماء البلاغة "الإيجاز" بوجه عام إلى قسمين: ١- إيجاز القصص: وهو ما ليس بحذف. ومثاله: قوله تعالى فيما يخاطب به النبي ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩) [الأعراف]، فإنّه =

اللفظ المذكور ما يدل عليه، أو يكون من لوازمه، أو سبباً أو شرطاً أو نتيجة له، أو تقتضيه الروابط العقلية، أو نحو ذلك.

- ويحسن لدى شرح النص أن يبرز المضامين والمحاذيف، ويدل على المواطن الكلامية، واللوازم والروابط الفكرية، والاقتضاءات العقلية^(١)، التي هدته إليها.^(٢)

ثانياً: بيان القاعدة:

بين الميداني في هذه القاعدة أموراً عدّة، وهي:

- أنواع المعاني في القرآن الكريم:

فمن المعاني ما يدل عليها النص القرآني دلالة مباشرة منصوصاً عليها في اللفظ.

ومنها ما يستفاد لزوماً، ويقتضيه النص اقتضاءً، دون أن يكون فيه ألفاظ خاصة تدل عليها.^(٣)

- المقصود بالعمق القرآني:

وهو المعاني العميقة، والدلالات الدقيقة، التي تحتاج رؤيتها من الظاهر إلى بصيرة كاشفة، ومقدار من الفهم واسع، وتأمل طويل.^(٤)

- أسباب العمق القرآني:

"الأول: المحاذيف التي تُحذف للإيجاز، ويقتضيه معنى النص، أو يستدعيها التوازن والتناظر والتكامل فيه، أو غير ذلك، ويبقى المعنى بعد ذلك صحيحاً إلا أنه جزء من المعرفة التي يدل عليها السطح والعمق معاً. الثاني: اللوازم الفكرية، والكنيات البعيدة ذوات الدلالات البعيدات.

الثالث: عدم الإشارة باللفظ إلى الترابط المنطقي بين معاني الجمل، أو على الترتيب الزمني أو المكاني بين الأحداث، أو غير ذلك من أمور، مع إبقاء كل جملة في محلها الطبيعي.

الرابع: دلائل المفهوم المخالف لمنطوق النص، والمفهوم الموافق له، وما يشير إليه النص من طرف خفي.

= جمع فيه مكارم الأخلاق. ٢- إيجاز الحذف: وهو ما يكون بحذف، كقوله تعالى: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ [الأحزاب/٢١]، أي: رحمة الله. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ١٧٤، ١٧٧.

(١) اقتضاء النص: "هو ما يدل عليه النص من طريق المعنى الذي لا يستقيم الكلام إلا بتقديره." ومثاله: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة/٣]، والمقصود: أكل الميتة. الوجيز في أصول الفقه، وهبة الزحيلي، (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م)، ١٦٨-١٦٩.

(٢) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٢٤٠-٢٤١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٢٣٩.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢٣٩.

الخامس: القياس على ما جاء في النصّ، باعتبار أنّ ما جاء فيه مثلٌ يُقاس عليه أشباهه ونظائره، استهداءً بقول الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر/٢٧]"^(١)

– اختلاف رؤية النصّ القرآنيّ من متدبّرٍ لآخر، وينتج عنها اختلافٌ كبيرٌ في مقدار الإدراك للدلالات، ومقدار الفهم للمعاني.^(٢)

– اختصاص بعض المتدبّرين من أهل العلم والتّفكير العميق والتّأمّل الدّقيق بـ: "التّدبّر الاستنباطيّ".^(٣)

– المقولات الثّلاث التي فيها تفصيل هذه القاعدة:

أ– المقولة الأولى (نظرةٌ عامّةٌ حول المعاني التي تُستفاد من النصّ لزوماً، ويقتضيها النصّ اقتضاءً، مشروحةٌ بالأمثلة): وذكر فيها بعضاً ممّا يقتضيه النصّ من سؤالٍ ذُكر جوابه دون أن يُذكر، وجوابٍ ذُكر سؤاله دون أن يُذكر، واعتراضٍ ردّ عليه النصّ دون أن يُذكر في اللفظ، لكنّه ملاحظٌ ذهنياً، وتتمّاتٍ يستدعيها اللّزوم العقليّ وقد سكت النصّ عليها، ومحدوفاتٍ دلّ عليها التّنّاطر والتّوازن والتّكامل أو دلّ عليها حرف كالفاء الفصيحة^(٤)، أو دلّت عليها تعدية فعلٍ أو شبهه على خلاف التّعدية المعروفة في أساليب العرب، وجدليّاتٍ مطويّاتٍ جاءت الإشارة الخفيفة إليها.

ثمّ أكّد أنّ على المتدبّر أن يكون متأنّياً عميق التّأمّل، كثير التّفكير؛ ليكتشف ما يقتضيه النصّ باللّوازم الدّهنيّة؛ فذكر الملزوم دليلٌ على لازمه، مع إرادتهما معاً. / وذكر اللازم دليلٌ على الملزوم، مع إرادتهما معاً. / وذكر المسبّب دليلٌ على سببه. / وذكر السّبب دليلٌ على مسبّبه. / وذكر النّتيجة دليلٌ على المقدّمة أو المقدّمات. / وذكر المقدّمة أو المقدّمات دليلٌ على النّتيجة. / وذكر العاقبة دليلٌ على مقتضياتها. إلى غير ذلك من نظائر هذه الأمور.^(٥)

وقد بلغ عدد الأمثلة الموضّحة لهذه المقولة سبعة أمثلة، نكتفي بعرض مثالين منها، وهما:

– المثال الثّالث: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) [الشّرح] استغناء بذكر المسبّب (فانصب)، عن

(١) قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٢٤٠، نقل النصّ بأكمله لأهمّيته.

(٢) انظر: المرجع السّابق، ٢٤٠-٢٤١.

(٣) انظر: المرجع السّابق، ٢٤١-٢٤٢.

(٤) هي: "التي يُحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سبباً للمعطوف من غير تقدير حرف الشّروط. وقيل سمّيت فصيحة لأنّها تفصح عن المحذوف، وتفيد بيان سببه." نحو قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾ [البقرة/٦٠]، أي: ضرب فانفجرت. معجم القواعد العربيّة، عبد الغني الدّقر، ٣٣٧.

(٥) انظر: قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٢٤٣-٢٤٤.

ذكر السَّبَب (العمل)، أي: "فإذا أفرغت من عمل فاعمل في طاعة ربك عملاً آخر حتى تصل بعملك إلى مستوى النَّصَب، وهو التَّعب" وهذا من الإيجاز في القرآن الكريم.^(١)

- المثال السَّابع: في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)﴾ [البقرة] دلَّت جملة (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) عن طريق اللُّزوم الدَّهْنِيَّ على جملة جواب الشرط المحذوف، وتقديرها: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فيجب عليكم اتباعه والتزامه والعمل به، فمن تبع هُدَايَ فلا خوف عليهم. وكذلك جملة (فَتَابَ عَلَيْهِ)، أي: فَأَتَمَّهُنَّ وعمل بما جاء في مضمونهنَّ فتاب عليه.^(٢)

ب- المقولة الثَّانية (حول المحاذيف للإيجاز، من خلال الشُّواهد القرآنيَّة).

- ذكر أنَّ هناك أموراً كثيرة تحذف من النَّصِّ كحذف جواب "لولا" وحذف جواب "لو"، وغيرها، وأشار إلى أنَّ العزَّ بن عبد السَّلام (ت ٦٦٠هـ)^(٣) عدَّ منها تسعة عشر نوعاً^(٤)، وأمَّا ابن هشام (ت ٧٦١هـ) فقد ذكر أكثر من ثلاثين نوعاً من أنواع الحذف في اللِّسان العربي عرض منها المبدائيُّ خمسة وعشرين نوعاً من أنواع الحذف التي أوردها في كتابه^(٥).

- وبَيَّن ما الذي يهدي إلى المحذوف ويدلُّ عليه، إذ يقول: "ومقتضى النَّصِّ واللَّوازم الفكريَّة، وطبيعة التَّنَاطُر والتَّوازن فيه، مع ما يقتضيه التَّكامل في المعاني، تهدي إلى المحذوفات. ومتى لم تظهر المناسبة بين الجمل القرآنيَّة فهو من الأدلَّة على أنَّ في النَّصِّ محاذيف مقدَّرة، يستدعيها النَّصُّ، ويمكن اكتشافها بعد البحث، من سياق الآيات، أو من الآيات التي تناولت الموضوع نفسه في مختلف السُّور القرآنيَّة، أو من أسباب النُّزول والحوادث التي نزلت الآية بشأنها."^(٦)

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٢٤٥-٢٤٦، وقد أشار ابن عاشور أثناء تفسيره لهذه الآية أنَّها من جوامع الكلم القرآنيَّة لما احتوت عليه من كثرة المعاني. انظر: التَّحْرِير والتَّنْوِير، ابن عاشور، ٤١٧/٣٠.

(٢) انظر: قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٢٥٠.

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم السَّلمى الدَّمشقي الشَّافعي الصَّوفي، تفقَّه على الإمام فخر الدِّين ابن عساكر، وقرأ الأصول والعربيَّة، ودرس وأفتى وصنَّف وبرع في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد، وتوفيَّ رحمه الله بمصر سنة ٦٦٠هـ، ومن كتبه: "مجاز القرآن"، "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز". انظر: التَّجْوِيز الزَّاهِرَة، ٢١٠/٧، طبقات المفسِّرين، الأدنه وي، ٢٤٢.

(٤) في كتابه: "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز"، (دار الفكر، دمشق، د.ت)، ٧-٢٧.

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، ٦٨٨-٧٢٤، وانظر: قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٢٤٥-٢٥٩.

(٦) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٢٥٢.

- ثمّ قدّم للمتدبر ثلاثين مثلاً من الأمثلة المختلفة عن الحذف في القرآن الكريم قدّر في جميعها المحذوف، وذكر ما دلّ عليه غالباً.

ومنها: المثال العشرون (في الحذف من الأوائل لدلالة الأواخر، والحذف من الأواخر لدلالة الأوائل):
في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَائِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/٢٧]
قدّر الميداني المحاذيف في الآية، بقوله: "أي: يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان فيخرجكم عن صراط الله إلى المعصية فتستحقون الحرمان من دخول الجنة كما فتن أبويكم فعصيا ربهما بأكل الشجرة فاستحقا الخروج من الجنة."^(١)، فقد حذف من الأوائل (فيخرجكم) لدلالة الأواخر (أخرج)، وحذف من الأواخر (فتن) لدلالة الأوائل (لا يفتننكم).

ج- المقولة الثالثة (حول مراعاة ظاهرة التضمن من خلال الشواهد القرآنية)

- خصّ الميداني التضمن بالدراسة من بين أنواع الحذف فعرفه بقوله: "هو أن تذكر كلمة ذات معنى، وتضمن مع معناها معنى كلمة أخرى، ثم يُبنى عليها كلامٌ على أساس معنى الكلمة الأخرى التي ضمّنها إيّاها صاحب البيان، كالتعدي بالحروف المناسبة لمعنى الكلمة المضمّنة."^(٢)

- كما ذكر أهميته في حلّ كثيرٍ من الإشكالات في تعديّة الأفعال وما يعمل عملها على غير طريقتها في الاستعمالات العربيّة العادية، لدى تفسير نصوص ظهر فيها تعديّة فعلٍ أو ما يعمل عمله بحرفٍ فعلٍ آخر، وهذا ما أفاده الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في تفسيره "الكشاف".^(٣)

- ثمّ بيّن رأيه في ظاهرة التضمن، إذ يقول: "التضمن لا يخضع لأصول النحاة التي استخرجوا على أساسها قواعدهم، إذ هو فنٌ رفيع المستوى من الفنون البيانية، التي لا تخضع لقواعد الاستعمالات العربيّة الجامدة التقليديّة، بل هو ملحٌ ابتكاريٌّ يلاحظه البليغ."^(٤)

- وعدّه صنفاً من أصناف الحذف، الذي يُترك في اللفظ ما يدلُّ عليه، وذلك أنّ "الفعل المذكور يدلُّ بحسب تعديته العربيّة على معموله المحذوف، والمعمول المذكور مع قرائن النصّ يدلُّ على عامله المحذوف،

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٢٧٨.

(٢) المرجع السابق، ٢٩٦.

(٣) المرجع السابق، ٢٩٦.

(٤) المرجع السابق، ٢٩٦.

وينتج عن ذلك أداءً موجزاً بليغاً، اعتمد على أسلوبٍ بيانيٍّ ذكيٍّ.^(١)

- ونَبَّه على أَنَّ الإجراءَ البيانيَّ في التَّضمين لا يستقيم بين كلِّ فعلين أو ما يعمل عملهما، حتَّى يطبَّق بسداجة، سواء استقام الأداء البيانيُّ أو لم يستقم، بل إِنَّ ذلك كما يقول: "يحتاج من البليغ لرؤية فنيّة بيانيّة، يصل بها إلى أَنَّهُ لو استخدم هذا الأسلوب في جملته لأدركه البلغاء والأذكياء دون إعناتٍ ذهنيّة، ويدركه الآخرون بالتَّدبُّر والتَّأمُّل، فمثلاً: أريد أن أقول: جلستُ على فراشي، وأملتُ جسمي إلى متَّكئي. فأختصر الكلام فأقول: جلست إلى متَّكئي، ومثل هذا الإيجاز القائم على الحذف والإيصال، أسلوب ينهجه بلغاء العرب، وتقدير الكلام: جلست مائلاً إلى متَّكئي."^(٢)

- واستخرج سبعة أمثلة من كتاب الله ﷻ عن التَّضمين، يُكتفى بعرض أحدها هنا، وهو:
المثال السَّابع: في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/١٢]
ضمَّن فعل (يجمع) معنى فعل (يُسوق)، ويكون تقدير الكلام في الآية: ليجمعتكم مسوقين إلى يوم القيامة^(٣)

المطلب الثاني: المناقشة:

باب "الإيجاز" من أوسع أبواب البلاغة وأبرزها، وأعلى أنواع البيان وأفضلها، حتَّى أَنَّهُ قيل: البلاغة الإيجاز.^(٤)

ومن المعلوم أَنَّ العرب - أهل البلاغة والبيان - مبنى كلامهم على الإيجاز ما وجدوا إليه سبيلاً؛ لأنَّ الأُمَّة العربيّة أُمَّة ذكيّة فابتنى كلامها على مراعاة سبق أفهامها.^(٥)
وقد نزل القرآن الكريم عليهم، وفيه من الإيجاز ما لا يوجد في غيره، بل إِنَّ التزامه سمة الإيجاز أبرز وجهاً من

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٢٩٧.

(٢) المرجع السَّابق، ٢٩٧.

(٣) المرجع السَّابق، ٣٠٦.

(٤) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، (بيروت، دار الهلال، ١٤٢٣م)، ٩٨/١.

(٥) انظر: موجز البلاغة، ابن عاشور، (تونس، المطبعة التَّونسيّة، د.ت)، ٣١.

وجوه أسلوبه المعجز؛ قال الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)^(١): "من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الإيجاز، فليتدبر القرآن، وليتأمل غلوّه على سائر الكلام".^(٢)

- يذكر أولاً أنّ الميدانيّ استدللّ بكتب اللّغة وما قاله الزمخشري في كشّافه عن ظاهرة التّضمين بدايةً. كما يمكن القول بأنّ هذه القاعدة تمثّل المرحلة الثّانية من مراحل عمل المفسّر؛ فبعد بحث المتدبّر في معاني الكلمات القرآنيّة بحثاً علمياً لغوياً - القاعدة السّادسة عشرة^(٣) - يجب أن يبحث عن اقتضاءات النّصّ ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حذفت منه للإيجاز والتّضمينات التي يُضمّنُها، ثمّ يكامل تلك المعاني مع المعاني الظّاهرة في النّصّ القرآنيّ؛ ليتوصّل إلى كشف المراد من كتاب الله ﷻ بقدر الطّاقة البشريّة.

- في المقولة الأولى يلفت الميدانيّ نظر المتدبّر إلى المعاني المطويّة في النّصوص القرآنيّة (المطويّات) والتي يحتاج استخراجها إلى أدوات ذكرها في المقولة الثّانية، وحبّذا لو أنّه نبّه المتدبّر هنا على أنّ تقدير ما ظهر في القرآن أولى من كلّ تقدير^(٤)، أي إنّ تقدير المحذوف من خلال ما أفصح عنه القرآن هو الأولى وهذا ما يدخل تحت تفسير القرآن بالقرآن.

وقد أفرد الزّركشي (ت ٧٩٤هـ) فصلاً في ذلك بعنوان: "فيما حذف في آية وأثبت في أخرى" إذ يقول: "منه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة/٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [التّحل/٣٣]، فإنّ هذه تقتضي أنّ الأولى على حذف مضاف." ^(٥) أي: أن يأتي أمر الله.

وتبعه السيوطي (ت ٩١١هـ) باحثاً عن المحذوفات في القرآن الكريم ودلائلها، فقال: "وتارة يدل عليه التّصريح به في موضع آخر وهو أقواها نحو: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة/٢١٠]، أي: أمره، بدليل ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [التّحل/٣٣]".^(٦)

(١) هو عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل النّيسابوري الأديب الشاعر، المعروف بأبي منصور الثّعالبي: من أئمة اللّغة والأدب، كان يخطط جلود الثّعالب، فنسب إلى صناعته. ولد عام ٣٥٩هـ، وتوفيّ رحمه الله سنة ٤٢٩هـ، ومن كتبه "يتيمة الدهر"، "الإعجاز والإيجاز". انظر: شذرات الذهب، ابن العماد، ١٥١/٥، الأعلام، الزّركلي، ١٦٣/٤.

(٢) الإعجاز والإيجاز، الثّعالبي، (القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت)، ١٥.

(٣) قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٣١٧.

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العزّ بن عبد السّلام، (دار الفكر، دمشق، د.ت)، ٩.

(٥) البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، ٢١٦/٣.

(٦) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٢١٩/٢.

وأشار الميدانيُّ إلى ذلك في تفسيره أيضاً، إذ يقول: "وقد يأتي المطويُّ في هذه السُّورة مصرَّحاً به في سورة أخرى، ولا سيَّما بالنسبة إلى القصص التي يُرى أنَّها مكرَّرة في بعض السُّور، والتَّدبُّر المتأنِّي يكشف أنَّها متكاملةٌ فيما بينها."^(١)

- كما أنَّ هذه المقولة ليست ميدان عمل المفسِّرين فحسب بل ميدان عمل الأصوليين والفقهائ وغيرهم من العلماء في فروع الشَّريعة كافَّة، إذ يُعملون عقولهم في استنباط الأحكام أو الاستدلال عليها^(٢)، واستخراج الحكم من النُّصوص القرآنيَّة، وهذا ما أَراده الله ﷻ فلو أنَّ كلَّ المعاني ظاهرة لزال رونق الإعجاز وامتنعت الأغراض البيانيَّة والتَّربويَّة وغيرها.

- وإن كانت المقولتان الثانية والثالثة تدرجان تحت المقولة الأولى، إلَّا أنَّ الميدانيَّ أفردهما بالدراسة لتسليط الضُّوء عليهما، وقد كانت تمثِّل كلُّ مقولةٍ من هذه المقولات الثلاث قاعدةً مستقلَّةً من قواعد التَّدبُّر الأمثل في الطَّبعة الأولى من هذه الكتاب ثمَّ رأى الميدانيُّ جمعها في قاعدة واحدة في الطَّبعة الثانية.^(٣)

- ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ البلاغيِّين قد أولوا اهتماماً خاصّاً بمبحث الحذف ودرسوه تحت أحد قسمي باب الإيجاز، وهو الإيجاز بالحذف.

وفي مقدِّمتهم الجرجانيُّ (ت ٤٧١هـ) الذي أحسن وصفه بقوله: "هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسَّحر، فإنَّك ترى به ترك الذِّكر، أفصح من الذِّكر، والصَّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتحدُّك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبن."^(٤)

ويعرِّف العلماء الحذف بأنَّه: "إسقاط كلمةٍ للاحتزاء عنها بدلالة غيرها في الحال أو فحوى الكلام."^(٥)

(١) معارج التَّفكير، الميداني، ٩/٤٩٥.

(٢) مثلاً: اختلف الفقهاء في المريض الذي يخاف من استعمال الماء، فمن رأى أنَّ في الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [النساء/٤٣]، حذفاً وأنَّ تقدير الكلام: وإن كنتم مرضى لا تقدرون على استعمال الماء، وأنَّ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ [النساء/٤٣] إنما يعود على المسافر فقط - أجاز التَّيَمُّ للمريض الذي يخاف من استعمال الماء، ومن رأى أنَّ الضمير يعود على المريض والمسافر معاً، وأنَّه ليس في الآية حذف - لم يجوز للمريض إذا وجد الماء التَّيَمُّ.

انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ١/٧٢.

(٣) انظر الصَّفحة (٢٩، ٣٠).

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ١٢١.

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الرُّماني الخطَّابي عبد القاهر الجرجاني، ٧٦.

أو أنه: "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل".^(١)

ويعرّفه أحد الباحثين بأنه: "ترك ذكر ما أصله أن يذكر لدليل".^(٢) ووصف تعريفه بأنه ذو طابعٍ شموليٍّ لكلِّ العناصر والمكوّنات التي تطولها ظاهرة الحذف ضمن منظومة التركيب اللغوي للكلام.^(٣)

يُلاحظ أنّ هذه التعاريف تشترط شرطاً أساسياً وهو أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوف، فالأصل في المحذوفات، كما يقول ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)^(٤): "أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوف فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنّه لغو من الحديث"^(٥) وهذا ما أكّده أيضاً ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ)، بقوله: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليلٍ عليه، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته."^(٦) وما يدلُّ على الحذف إمّا أن يكون من قرائن المقال الموجودة في السّباق أو في السّياق، أو قرائن الحال، أو المفاهيم الفكرية والاقتضاءات العقلية، واللّوازم الذهنية.^(٧)

- ومن دواعي الحذف وأغراضه الكثيرة التي اهتمّ البلاغيّون بذكرها ولفت النّظر إليها في النّصوص اللّغوية البليغة:

- الاختصار أو الإيجاز ولو لم ينضمّ إليه داعٍ آخر.
- التّفخيم والإعظام؛ لأنّ الحذف يجعل الدّهن يذهب كلّ مذهبٍ بسبب الإبهام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق/١]، فحذف الجواب مؤذّنٌ بهول ما هنالك من أمورٍ يعظم وصفها وتصورها.

(١) البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، ١٠٢/٣.

(٢) أسلوب الحذف في القرآن الكريم، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير من إعداد الباحث: جبريل ساليفو غانغو، إشراف: الدكتور عبد العزيز حاجي، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، لبنان، ١٤٣٢هـ/١١م، ٢٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٢٤.

(٤) هو نصر الله بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشّيباني، الجزائري، الكاتب البليغ، الوزير، أبو الفتح، ضياء الدّين، المعروف بابن الأثير الكاتب، ولد عام ٥٥٨هـ، وتوفي رحمه الله ٦٣٧هـ، ومن كتبه: "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، و "كفاية الطّالب في نقد كلام الشّاعر والكاتب" (مخطوط). انظر: شذرات الدّهب، ابن العماد، ٣٢٨/٧، الأعلام، الزّركلي، ٣١/٨.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ابن الأثير، ٧٧/٢.

(٦) الخصائص، ابن جنيّ، تحقيق: محمد علي التّجار، (عالم الكتب، بيروت، د.ت)، ٣٦٠/٢.

(٧) البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٤٣/١.

- التَّخْفِيفُ لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف ياء الإضافة، في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر/١٦]، والتَّقْدِيرُ: ونذري، وحرف النداء في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ [يوسف/٢٩]، والتَّقْدِيرُ: يا يوسف.

- البيان بعد الإبهام، وأكثر ما يرد ذلك في حذف المفعول بعد أداة الشرط الدَّاخلَة على فعل المشيئة والإرادة، فإنَّهم لا يكادون يذكرونه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة/٢٠]، فمفعول فعل المشيئة محذوف، والتَّقْدِيرُ: لو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل.

- التَّعْمِيمُ، نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس/٢٥]، أي: كل واحدٍ.

- رعاية فواصل الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾ [الضحى]، إذ لو قال (وما قلاك) لبطل نسق تجانس أواخر الآيات، وهذا الغرض وإن كانت صلته بالجانب اللفظي ألصق، فإنَّه لا يحول من أن يكون ثمة ملمحٌ بيانيٌّ معنويٌّ في الآية، وهو أنَّ الحذف فيه كراهة وقوع القلي والبغض صراحةً على ضمير الحضرة النبوية الشريفة.^(١)

- ولم يبرز الميداني في مقولته من هذه الدواعي والأغراض البلاغية سوى الإيجاز، وإن كان الإيجاز هو الهدف الأبرز من الحذف ولصيقه في كل موطن إلا أنَّه قد ينضمُّ إليه غيره من الأغراض السابقة، حتى إنَّ الميداني نفسه أشار إليها أثناء تدبُّره وذلك في مواطن قليلة من تفسيره "معارج التَّفَكُّر"^(٢) فلا يجب أن يكتفي المفسِّر بتقدير المحذوف، وما يدلُّ عليه فقط، بل يجب عليه إضافة لذلك أن يولي اهتماماً خاصاً في البحث عن أسرارٍ أخرى للحذف غير الإيجاز ليتلمَّس ملامح من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، كما يقول ابن هشام (ت ٧٦١هـ): "أما قولهم في نحو (سرايل تقيكم الحرَّ): إنَّ التَّقْدِيرَ: والبرد، ونحو (وتلك نعمة تمنُّها عليَّ أن عبَدت بني إسرائيل): إنَّ التَّقْدِيرَ: ولم تعبدي، ففضولٌ في فنِّ النحو، وإتِّم ذلك للمفسِّر، وكذا قولهم: يحذف الفاعل لعظمته وحقارة المفعول أو بالعكس، أو للجهل به أو للخوف عليه أو منه ونحو

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٠٤/٣-١٠٥، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢١٤-٢١٦

(٢) سأشير إليها فيما بعد في الدراسة التطبيقية

ذلك، فإنه تطُّلُّ منهم في صناعة البيان." (١)

- وسمي الميداني خمسة أنواع من الحذف، وهي:

الاقتطاع^(٢)، والاكتفاء^(٣)، والتضمن^(٤)، والاحتباك^(٥)، والاختزال^(٦).

- وكان يكفيه عندما ذكر أنواع الحذف الواردة من كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" مع أمثلتها القرآنية أن يُحيل القارئ إليها كما أحاله إلى أنواع الحذف الواردة في كتاب "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المحاز"، وربما كان هدفه من ذلك أن يلمَّ المتدبِّر أكثر بأسلوب الحذف في القرآن الكريم، وذلك لإعطاء ظاهرة الحذف بعض ما تستحقُّه من عناية واهتمام، ولكن هو في نهاية الأمر كتاب قواعد لتدبُّر القرآن الكريم وليس كتاب نحو أو بلاغة، لذا يعدُّ ذلك توسُّعاً منه على غير عادته.

- وفي تقديمه للمتدبِّر ثلاثين مثلاً من الأمثلة المختلفة عن الحذف في القرآن الكريم؛ ما يخالف منهجه بشكل عام في كتابه.

- أولى الميداني التضمن اهتماماً خاصاً، في المقولة الثالثة، فعرفه وذكر أهميته، وبين رأيه فيه، كما تبين سابقاً. مع العلم أن "أول من استقرَّ مفهوم التضمن عنده، وعدّه من الأساليب البلاغية، هو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وعنه نقل عامة النحاة والبلاغيين الذين جاؤوا بعده." (٧)

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ٨٥٣.

(٢) هو: "حذف بعض حروف الكلمة أو ما هو بمثابة الكلمة الواحدة. مثاله: حذف نون فعل (يكون) المجزوم، في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧)﴾ [القيامة]، والأصل: "أَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يَكُنُ" فحذفت النون تخفيفاً، وربما لأغراض أخرى تتصل بأعداد الحروف، أو لغير ذلك. "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ٥٠١/١.

(٣) هو: "أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة بلاغية." ومثاله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرْ﴾ [النحل/٨١]، إيجاز بالحذف، على سبيل الاكتفاء، إذ التقدير: تَقِيكُمْ الْحَرْ وَالْبَرْذ. المرجع السابق، ٤٩٩/١.

(٤) سيأتي الكلام عنه بشكل مفصل.

(٥) هو: "أن يُحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحذف من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل." ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [الآية: ١٢]، والتقدير: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَدْخُلْ غَيْرَ بَيْضَاءَ، وَأَخْرِجَهَا تَخْرُجْ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾. المرجع السابق، ٥٠٨/١.

(٦) هو: "كلُّ حذف في الكلام لا يدخل في واحد من الأقسام الأربعة السابقة "الاقتطاع - الاكتفاء - التضمن - الاحتباك". المرجع السابق، ٥٠٨/١.

(٧) أسلوب التضمن بين التحويين والبلاغيين، محمود الحسن، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٨م، ٦٩.

وقد عرّف مجمع اللغة العربيّة "التّضمين"، ب: "أن يؤدّي فعلٌ أو ما في معناه في التّعبير مؤدّى فعلٍ آخر أو ما في معناه، فيعطى حكمه في التّعدية واللّزوم."^(١) حيث حصر التّضمين في الفعل أو ما في معناه.

- وقد رفض أحد الباحثين ما ذهب إليه الميدانيّ من أنّ التّضمين لا يخضع لأصول النّحاة الذين استخرجوا على أساسها قواعدهم؛ "وذلك لأنّ أهل البيان قد خرّجوا التّضمين على قاعدة حذف العامل لدليل، في حين خرّجه النّحاة على قاعدة الحمل على المعنى، وهو خفيٌّ وراجع إلى مراد المتكلّم."^(٢)

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارض التّفكّر ودقائق التّدبر":

بعد البحث تبين أنّ لهذه القاعدة أثر معنويّ كبير في إبراز كثير من المعاني القرآنيّة في سياقها الذي وردت فيه، واستعان الميدانيّ على ذلك بقرينة السيّاق، وأسباب النّزول، على نحو واسع، وقد تنوّعت طريقتة في الإشارة إلى المعاني غير الظّاهرة في النّصّ القرآنيّ فتارةً استعمل مصطلحات البلاغيّين مثل:

إيجاز الحذف وإيجاز القصر والكناية والتّعريض (وهذا الأكثر) في المستخرجات البلاغيّة للسّورة غالباً، ومرةً أخرى كلمة "مطويّات".

ومثال ذلك:

١- يقول الميدانيّ: إنّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ يَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)﴾ [العنكبوت]، إيجازاً بالحذف، وتقدير الكلام: "ولو كنت تتلو من قبل إنزال القرآن إليك من كتاب من حفظك، ولو كنت تخطّ كتاباً، ولو كنت كاتباً؛ لارتاب المبطلون ارتياباً صادراً عن قلوبهم، ولأشاعوا بين جماهيرهم أنّ ارتياهم حقٌّ. أمّا والحال أنّه ﷺ أمّي لا يقرأ ولا يكتب فهم كاذبون في ارتياهم، إذ هم مستيقنون بأنّ القرآن تنزيل من ربّ العالمين."^(٣)

٢- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤)﴾ [ق] مطويّات بينها بقوله: "ومن المطويّات: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ فيخرجون ﴿سِرَاعًا﴾ ونسوقهم ونجمعهم في الأرض المخصّصة محشراً، مهما نأت عنه الأحداث التي كانوا فيها ف: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾"^(٤)

(١) أسلوب التّضمين بين التّحويين والبلاغيّين، محمود الحسن، ٥١.

(٢) التّضمين وأثره في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية نظريّة، دراسة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، محمّد البليمي، إشراف الدّكتور عبد العزيز عبد الحكيم، ١٤٢٨هـ، جامعة أم القرى، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن، ١٢.

(٣) معارج التّفكّر، الميداني، ٣٠٢/١٥-٣٠٣.

(٤) المرجع السابق، ١٤٢/٣.

ويُلاحظ أنَّ الميدانيَّ استخدم مصطلح "إيجاز الحذف" البلاغيَّ، وكلمة "مطويَّات" ^(١).

- كما ظهرت عناية الميدانيَّ بتطبيق المقولة الثانية بشكلٍ واضحٍ في كامل تفسيره، وظهرت أهميَّة ذلك التَّطبيق في الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم المطويَّة، حيث تجلَّى تطبيقه لها بالآتي:

- اجتهد في تقدير ما حُذِف من الكلام، مصرِّحاً بذكر ما يدلُّ أو يهدي إلى المحذوف أثناء تدبُّره الآيات القرآنيَّة ^(٢)، أو في الملحقات ^(٣).

مثاله: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم/٧٥] ، محذوفٌ، وتقديره: أمهلهم يا مُحَمَّد ﷺ واصبر عليهم، حتَّى الوقت الذي يرون فيه ما يوعدون، وقد دلَّ على المحذوف المقدَّر ذهنًا في هذه الآية التَّدبُّر الفكريُّ، مع قرينة ما جاء في آية: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن/٢١] ^(٤)

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر/٢]، يرى الميدانيُّ أنَّه في جملة (فأنذر) إيجاز بحذف ما يُعلم عن طريق اللُّزوم العقليِّ؛ "فهي تطوي في داخلها جملاً كثيرة تدلُّ على الوظائف التي يجب على الرِّسول ﷺ أن يقوم بها قبل الإنذار، ولما كان الإنذار يأتي في آخرها بمقتضى التسلسل الفكريِّ والتَّربويِّ، كان الاختصار على ذكر عبارة: (فأنذر) دليلاً عليها" ^(٥).

وتقدير الكلام: "قم فبلِّغ رسالة ربِّك، واشرحها، وأقم الدَّليل على عناصرها، للإقناع بها، وبَيِّن للنَّاس واجباتهم بُجَاه ربِّهم، وبشِّرهم بالأجر العظيم الذي أعدَّه لمن يستجيب لدعوة الحقِّ التي جئتهم بها، في جنَّات النَّعيم يوم الدِّين، وأخيراً أنذر الكفرة المكذِّبين بعذابٍ أليمٍ خالدٍ في دار العذاب النَّار يوم الدِّين" ^(٦).

- وقد لا يصرِّح بذكر ما يدلُّ أو يهدي إلى المحذوف، كما في تدبُّره لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾

(١) معارج التَّفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٢٨٧/٣، ٦٥٦/٥، ٢٤٨-٢٤٩/٧، ١٠٠/١١، ٤٩٩-٥٠٢/١، ١٨/٣.

(٢) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٤٥٦/١، ٥٦٦/٥، ٤٨٦/٦.

(٣) المرجع السابق، انظر مثلاً: ٤٧٣/٦، ٥٠٥/٦، ٦٢٥/٥.

(٤) المرجع السابق، ٦٢٩/٥، ٦٥٧.

(٥) المرجع السابق، ٨٥/١.

(٦) المرجع السابق، ٨٥/١، لم يذهب كلٌّ من: الرَّمُشَرِي، أَبِي حَيَّان، أَبِي السَّعُود، ابن عاشور، إلى هذا الفهم في تقدير المحذوف، وأشار ابن عاشور إلى أنَّ المحذوف هو مفعول (أنذر) لإفادة العموم، والتقدير: أي أنذر النَّاس كلَّهم وهم يومئذٍ جميع النَّاس ما عدا خديجة رضي الله عنها فإنَّها آمنت فهي حديرة بالبشارة. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩٥/٢٩.

[النّازعات/٤٤] ، والتّقدير: أي: إلى ربّك علم منتهى الحياة الدُّنيا، وقيام السّاعة.^(١)

- وأشار في بعض المواضع من تفسيره إلى دواعي الحذف كالإيجاز، والتّخفيف، ومراعاة الفاصلة القرآنيّة، والتّعميم، وغيرها.^(٢) ولم يلتزم بإيراد الدّاعي أو الغرض من الحذف في كلّ مرة، ولا يؤخذ عليه ذلك؛ لأنّه لم يضمّن قاعدته لزوم اكتشاف الدّاعي البلاغيّ للحذف.

- لم يستخدم الميدانيّ مصطلحات الحذف (الاختزال - الاقتطاع - الاكتفاء) غالباً، أمّا (الاحتباك والتّضمن) فسمّاهما باسميهما في بعض المواطن من ورودهما إمّا في أثناء التّدبر^(٣)، أو في ملحقات السّورة.^(٤)

- وقد اعتنى بتطبيق قاعدة التّضمن في مواطن كثيرة من تفسيره.^(٥)

ومثاله: في قوله تعالى: ﴿أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم/١٢]

(١) معارج التّفكّر، الميداني، ٦٣/١٥، ٦٦، وانظر أيضاً: قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ لِّجَمْعِ عِظَامِهِ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)﴾ [القيامة]، ٤٧١/٢.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)﴾ [الطارق]، ٢٧٠/٣.

و قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَأَتَىٰ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩)﴾ [النّازعات]، ٦١/١٥.

(٢) المرجع السّابق، انظر مثلاً: قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ [العلق]، ٤٦/١.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَسِيرُ (٤)﴾ [الفجر]، ٥١٧/١.

وقوله تعالى: ﴿وَتُمَوِّدَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ (٩)﴾ [الفجر]، ٥٢٨/١.

وقوله تعالى: ﴿وَوَحَّدَكَ عَائِلًا فَأُعْنَىٰ (٨)﴾ [الضحى]، ٥٦٨/١.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦)﴾ [عبس]، ٢٢٢/٢.

وقوله تعالى: ﴿كَأَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦)﴾ [القيامة]، ٥٢٣/٢.

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف/٦٢]، ٦١/٤.

وقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف/٤٩]، ٢٥١/٤.

يقول الميداني هنا في بيان المحذوف والغرض من حذفه: "وقد طوى النصّ بيان توجيه الأمر بإدخال أهل النّار النّار إيجازاً، وللعلم به من السّياق، ومقتضى التّقابل."

وقوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ آتَنِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف/١٦٠]، ٦٤٠/٤.

(٣) المرجع السّابق، انظر مثلاً: ٤٢٨/١، ١١٢-١١٣، ٦١/٤.

(٤) المرجع السّابق، انظر مثلاً: ١٤٩/٥، ١٦٥-١٦٨.

(٥) المرجع السّابق، انظر مثلاً:

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْعَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)﴾ [التكوير]، أي: ليس بضنين ولا بظنين مطلقاً على الغيب. ٤٢٨/١.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش/٤]، أي: وآمنهم حامياً لهم من خوف. ٤٣٩/٢.

يقول الميداني: ضُمِّنَ فعل (أَفْتَمَارُونَهُ) معنى فعل (حَرَصَ) فعَدِّي تعديته بحرف الجرّ (على)، والتّقدير: أفتمارونه حريصين على إنكار ما يرى، وتكذيبه فيه.^(١)

-
- وقوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ هُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف/١٦]، أي: لأفعدنّ عند صراطك، ملازماً إيّاه. ١٢١/٤.
- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأعراف/١٦٦]، أي: فلَمَّا عَتَوْا مستنكفين عن طاعة الله بترك ما نُهُوا عنه. ٦٨٣/٤.
- وقوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ [الأعراف/١٦٠]، أي: وظللناكم جاعلين الغمام عليكم. ٦٤٣/٤.
- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا﴾ [الفرقان/٤٠]، أي: فلَمَّا أَتَوْا بلاد الشام في رحلتهم التجاريّة مازين مشرفين في طريقهم على القرية التي دمرها الله. ٥٠٤/٦.
- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان/٤٥]، أي ألم تعلم ناظراً إلى ربك. ٥٢٦/٦.
- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُخَشِّرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان/٣٥]، أي: يجمعون مسوقين إلى جهنّم. ٤٩٣/٦.
- وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين/٢٨]، أي: يشرب منها، ويتنعم بها المقربون. ٣٣١/١٥.
- (٢) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ١١٢/٢، وقال الزّحّاشي في الكشّاف ٦٣٩/٥، وابن عاشور في التّحرير والتّسوير ١٠٠/٢٧، بتضمّن الفعل (أَفْتَمَارُونَهُ) معنى الغلبة.

المبحث الثالث: التكرير:

التكرير من الأساليب البيانية التي ألفها العرب، ووقع بها التحدي في القرآن الكريم، ولفتت انتباه العلماء والباحثين لدراستها، ومن بينهم الميداني، إذ تحدّث قاعدته "حول التكرير وأغراضه" عن هذا المظهر البياني المعجز وأغراضه في القرآن الكريم، وستتم دراستها وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

عنوان القاعدة: "حول التكرير وأغراضه"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

يجب على المتدبر في هذه القاعدة أن: "يبحث في كل نص قرآني يبدو له أنه من النصوص المكررة في القرآن؛ ليكتشف غرض التكرير"^(٢) إذا كان النص مكرراً حرفياً، وليكتشف فوارق المعاني إذا كان النص المكرر مختلفاً ولو بعض الشيء، ولو بكلمة أو حرف في كلمة."^(٣)

ثانياً: بيان القاعدة

- بين الميداني في هذه القاعدة طريقة اكتشاف أغراض التكرار الحرفي، وذلك بنظر المتدبر في سياق الموضوع، فقد يكون للنص الواحد عدة أهداف أو عدة أفكار جزئية، ومع كل سياق يبرز أن المراد التركيز على واحد أو أكثر منها.^(٤)

- ثم ذكر ستة أغراض للتكرار مستبعداً أن يكون الغرض الوحيد منه هو التأكيد فقط، حيث يمكن أن يكتشف المتدبر أغراضاً أخرى كلها جديرة بالاعتبار، وبأن تقصد في كتاب عظيم معجز، والأغراض الستة باختصار هي:

- ١- متابعة الواقع في أحداثه وصياغة النصوص بطريقة تدل عليه.
- ٢- تجزئة الأفكار المراد بيانها حول موضوع واحد، لتكامل النصوص فيما بينها مؤدية غرض التأكيد لأصل الفكرة، ومؤدية جوانب بلاغية رفيعة هي من عناصر الإعجاز القرآني.
- ٣- حكاية الواقع المكرر، سواء أكان ذلك فيما حدث في الماضي، أو فيما سيحدث في المستقبل.
- ٤- قصد هدف من الأهداف التي يرمي إليها النص في كل مرة، لأن المناسبة استدعت قصد هذا الهدف.
- ٥- متابعة الجرعات التربوية كالجرعات الدوائية.
- ٦- تحقيق جوانب بلاغية في النص، وهي لا تتحقق إلا بالتوزيع، إذ تعرض الفكرة الواحدة بصور بلاغية

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٣٠٧. وترتيبها هذه القاعدة في الكتاب: الخامسة عشرة.

(٢) انظر التعريف اللغوي والاصطلاحي له في الصفحة ٢١٩-٢٢٠.

(٣) المرجع السابق، ٣٠٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٣٠٧.

رائعة مختلفة، مع مطابقة مقتضى الحال في كلٍّ منها، وهذا ما يسمّى: بـ "الإعجاز التكاملي" (١)

- وقد ألحق بعض هذه الأغراض بأمثلة موضحة لها، وسنكتفي هنا بعرض مثال واحد فقط.

من النصوص التي تبدو أنّها مكرّرة وهي ليست كذلك بل هي متكاملة، والغرض منها تجزئة الأفكار المراد بيانها حول موضوع واحد، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف/١٨٩] وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر/٦] ففي آية الأعراف بيان أنّ السّكن هو غاية الحياة الزوجية.

أمّا في آية الزّمر ففيها بيان أنّ النّفس الواحدة (آدم السّليمان) قد مرّت عليه مدّة بعد خلقه كان فيها وحيداً، قبل أن يخلق الله ﷻ منه زوجة، بدليل أنّ العطف فيها قد جاء بحرف "ثم" الذي يدلّ على التراخي، بخلاف آية الأعراف فالعطف فيها بحرف "و" الدالّ على مطلق الجمع. (٢)

المطلب الثاني: مناقشة القاعدة:

ورد التّكرار في القرآن الكريم محكماً معجزاً ينطوي تحته فوائد ولطائف ونكتٌ بديعة.

وسنعرّف بدايةً - قبل مناقشة القاعدة - التّكرار لغةً واصطلاحاً.

- التّكرار لغةً: أصله من الكرّ وهو الرّجوع (٣)، ويقال: كرّر الشّيء تكريراً وتكراراً، أعاده مرة بعد أخرى. (٤)

أمّا في الاصطلاح: فقد عرّفه الطّوفي (ت ٧١٦هـ) بأنّه: ذكر الشّيء مرتين فصاعداً. (٥)

(١) انظر: قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٣٠٧-٣١٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٠٩-٣١٠.

ذهب ابن عاشور إلى أنّ العطف بـ (ثم) التي تدلّ هنا على التراخي الرّبي؛ لأنّ مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال الشّريك، أمّا آية الأعراف فمساقها الامتنان على النّاس بنعمة الإيجاد لذا عطف بـ (الواو)، إذ يقول: "خلق زوج آدم منه أدلّ على عظيم القدرة من خلق النّاس من تلك النّفس الواحدة ومن زوجها؛ لأنّه خلق لم تجر به عادة فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السّامع من خلق النّاس فجاء له بحرف التراخي المستعمل في تراخي المنزلة لا في تراخي الزّمن لأنّ زمن خلق زوج آدم سابق على خلق النّاس.

فأمّا آية الأعراف فمساقها مساق الامتنان على النّاس بنعمة الإيجاد، فذكر الأصلان للناس معطوفاً أحدهما على الآخر بحرف التّشريك في الحكم الذي هو الكون أصلاً لخلق النّاس. "التّحرير والتّوير، ابن عاشور، ٣٣١/٢٣.

(٣) قاموس العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (باب الكاف والراء) ١٠٢/٢.

(٤) انظر، لسان العرب، ابن منظور، مادة (كرّر) ١٣٥/٥، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ٧٢٨/٢.

(٥) الإكسير في علم التّفسير، الطّوفي، ٢٦٩.

وعرّفه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بأنه: "إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به." (١)

وعرّفه الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بقوله: "التكرار: عبارة عن الإتيان بشيء مرّة بعد أخرى." (٢)
فمن الملاحظ تقارب هذه التعاريف فيما بينها حول المعنى اللغوي (الإعادة).
وذكر الزركشي الغرض من التكرير، وهو التقرير مريداً بذلك الفائدة العظمى منه (٣)، وجعل الحكمة منه خشية تناسي الأول لطول العهد به.

- أمّا الميداني فلم يذكر تعريف التكرار أثناء بيانه للقاعدة، واكتفى ببيان أنّ في القرآن الكريم نصوصاً مكرّرة حرفياً، ونصوصاً مكرّرة تختلف فيما بينها بعض الشيء، يجب على المتدبر اكتشاف فوارق المعاني فيها.
ويُشار هنا إلى أنّ بعض العلماء قد أفردوا في كتبهم مباحث مستقلة لدراسة هذه النصوص لاسيّما التي تختلف فيما بينها بعض الشيء، ومنهم: ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في "باب تكرار الكلام والزيادة فيه" و"باب المتشابه" (٤) في كتابه "تأويل مشكل القرآن"، والزركشي (ت ٧٩٤هـ) الذي درسها في النوع السادس والأربعين (في ذكر ما يتيسر من أساليب القرآن)، والنوع الخامس والثلاثين (معرفة موهم المختلف) (٥) في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، بل إنّ عدداً من العلماء درسوا مثل هذه النصوص في مؤلفات مستقلة تحت ما يسمّى بـ "علم المتشابه اللفظي" (٦)، مع ملاحظة تزايد التأليف فيها أكثر فأكثر حالياً؛ لأمرٍ عدّة، منها: التقوية على حفظ القرآن الكريم، والرّد على الطّاعنين فيه، وإثبات التناسب المعجز. (٧)

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٠/٣.

(٢) معجم التعريفات، علي الجرجاني، ٥٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٩/٣.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ٥٨، ١٤٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٤٥/٢، ٨/٣.

(٦) انظر الصّفحة (١٤٠-١٤١)، وكذا عدد من الباحثين في العصر الحديث منهم: محمود السيّد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، (دار الهداية، القاهرة، د.ت.).

والباحث يارزمان جنت كل "منكل"، التكرار في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، أطروحة أعدّ لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات البلاغية، بإشراف محمود حسن مخلوف، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، كلية اللغة العربية، ٢٠١١م.

(٧) انظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة في العدول البياني، محمّد ماجد العطائي، ١١٨-١٢٠.

- ووضّح الميداني ضرورة النظر إلى السياق لاكتشاف أغراض التكرار الحرفي كما سبق في بيان القاعدة، ولكنه لم ينبّه إلى أهميته في اكتشاف أغراض التكرار في النصوص المكررة المختلفة بعض الشيء، وهذا لا يعني أنّه لا يدرك ضرورة ذلك، فقد اعتمد على السياق في بيان الفوارق بينها أثناء عرضه أمثلة القاعدة. ويقول ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) في أهميته: "فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه؛ لتكشف لك الفائدة منه"^(١).

- كما أكّد الميداني في هذه القاعدة ما قرّره في القاعدة السادسة: "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، واستبعاد التكرير لمجرّد التأكيد ما أمكن" من أنّ النصوص المكررة المختلفة نصوص متكاملة في الدلالة على المعنى حول موضوع واحد، حيث قال فيها: "كثير من النصوص كنّا نظّمها مكررة، وكنا نفهم أنّ الغرض من تكريرها التأكيد، وتحقيق أهداف تربويّة. لكنّ البحث العميق أثبت أنّها متكاملة مع تحقيق غرض التأكيد والأهداف التربويّة."^(٢) لافتاً النظر في قاعدته هذه إلى أغراض أخرى كما تبين سابقاً.

- ويلاحظ أنّه لم يأت بمجديد مقارنة مع ما تنبّه إليه العلماء من أغراض التكرار، فقد فصل العلماء تلك الأغراض فزادوا على الغرض الأساسي (التأكيد) أغراضاً أخرى، أي يمكن القول إنّ التكرار فيه زيادة فائدة، كالتنبية أو التّفنن أو البيان أو تميم المعنى أو التصوير أو غيرها من الأغراض التي تجتمع مع غرض التأكيد.^(٣) وتلتبس زيادة الفائدة تلك من خلال دراسة السياق الواردة فيه.

المطلب الثالث: أثر هذه القاعدة في تفسير "معارج التّفكر ودقائق التدبّر":

- وجدّ من خلال البحث أنّ الميداني لم يشر إلى أغراض التكرار غالباً (بالتفصيل الذي أورده في القاعدة) لاسيّما إذا كانت النصوص المكررة مختلفة، ربّما لانشغاله بتلّمس الفروق الدقيقة في المعاني بينها، إذ يجمع تلك النصوص ويتدبّرها وفق قاعدة التّكامل^(٤) في كثير من الأحيان بشكل مطّرد على وجه يبرز إعجازها،

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ١٤٩/٢.

(٢) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٦٧.

(٣) وقد توسّع الباحث محمد ماجد العطائي في دراستها في كتابه "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم" حيث قسّمها إلى أغراض عامّة، وأغراض خاصّة. انظر، الصفحات ٥١-٩٢.

(٤) انظر: القاعدة السادسة: "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، واستبعاد التكرير لمجرّد التأكيد ما أمكن" قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٦٧.

وكان ذلك إمّا في أثناء تدبُّره للسُّورة أو في ملحقات السُّورة.^(١) وأمثلة ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف/٥٧]، يرى الميداني أن مجيء صيغة الإرسال بالفعل المضارع (يرسل) للدلالة على حركة الإرسال المتكرّرة المتحدّدة مع الأزمان، وذلك أخذاً من دلالة صيغة الفعل المضارع، وللفت الأنظار إلى ما سيحدث.

أمّا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان/٤٨]، جاء استعمال الفعل الماضي في بيان هذا الإرسال، للفت أنظار المتفكرين إلى هذه الظاهرة من آيات الله الكونيّة بعد وقوعها فعلاً، فاستبعد الميداني التكرار لمجرّد التأكيد، فالنصّان متكاملان - كما يقول - حول موضوع واحد، وقد وزّعت أفكار الموضوع عليهما.^(٢) لتأدية غرض التأكيد لأصل الفكرة، بالإضافة إلى جوانب بلاغيّة رفيعة هي من عناصر الإعجاز القرآنيّ.

٢- تكرر التحذير في سورة "المرسلات" ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرّاتٍ، وذلك عقب البيان الإقناعي، أو الوعيد بالعذاب الأليم يوم الدين، أو الوعد بالنعيم العظيم المقيم في الجنّات التي أعدّها الله للمتّقين والأبرار والمحسنين، وهذا - كما يقول الميداني - وسيلة من وسائل العلاج النفسيّ، المناظر لتكرير العلاج الدوائيّ أنا فأنا عقب كلّ وجبة من وجبات الطّعام.^(٣)

فالغرض إذاً من هذا التكرار الحرفيّ: متابعة الجرعات التّربويّة كالجرعات الدّوائيّة.

٣- تكرر قوله تعالى في سورة "القمر" ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أربع مرّاتٍ، إذ جاءت هذه الآية بمثابة فاصلة ذات جمال فنيّ بيانيّ أدبيّ تتلى بين فقرات من السُّورة، والغرض من تكرارها الدّلالة على أن "توزيع لقطاتٍ مختلفاتٍ من قصص المهلكين الأوّلين على نجوم التّنزيل، وبمناسباتٍ مختلفاتٍ، له حكمٌ متعدّدٌ منها تيسير القرآن للحفظ والذكر، بالنّسبة إلى من يهّمهم أن يحفظوه، ويرتّلوه، ويتذكّروه."^(٤)

(١) انظر: الأمثلة الواردة في القاعدة السادسة، في المبحث الأوّل من هذا الفصل.

(٢) انظر: معارج التّفكير، الميداني، ٣٠٨/٤.

(٣) انظر، المرجع السابق، ٥٧١/٢.

(٤) المرجع السابق، ٣٧٢/٣، وقد بيّن الزّخشي الغرض من تكرار هذه الآيات في السّور، إذ يقول: "فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾؟ قلت: فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبيّ من أنباء الأوّلين اذكّاراً واتّعاضاً، وأن يستأنفوا تنبّهاً واستيقاظاً،...؛ لئلا يغلبهم السّهو ولا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التّكرير، كقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن/١٣] عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمن، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات/١٥] عند كل آية أوردّها في سورة والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء القصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب، مصوّرة للأذهان، مذكورة غير منسيّة في كل أوان. "الكشاف، ٤٣٩/٤، وهكذا نجد الزّخشي قد نفى التكرار لغير الفائدة مبيّناً الحكمة منه.

خلاصة الفصل الثالث:

بعد الانتهاء من دراسة قواعد التدبُّر الأمثل البلاغيَّة المتعلقة ببلاغة الأسلوب القرآنيّ، تبين لنا الأمور الآتية:

١- المبحث الأوّل (خصائص الأسلوب القرآنيّ)

- وجد أنّ الميدانيّ لم يؤصّل هذه القواعد أو يذكر مصادره التي استقى منها تلك القواعد، حتّى أنّه قال في القاعدة الرّابعة والعشرين "حول التّنويع في أساليب الأداء البيانيّ" إنّهُ اكتشفها هو في القرآن الكريم، ورأى إضافتها إلى علم البيان، ولم يثبت ذلك له، فقد أشير إلى المتقدّمين والمتأخّرين ممّن تكلموا عنها، وعن باقي قواعد هذا المبحث.

نعم لم يسبقهُ أحدٌ فقط بالقول بالقاعدة الثالثة والعشرين: "حول الاستغناء في الأداء البيانيّ بتعابيرٍ مختلفاتٍ موزّعاتٍ على الأشباه والنظائر للدلالة على التّكامل البيانيّ فيما بينها وطرده استعمالها في سائرهما" إلّا أنّ البحث توصّل - بعد تتبّع تطبيق هذه القاعدة في تفسيره - إلى أنّه لم يلتزم بتطبيقها، لذلك لم يظهر الأثر التّطبيقيّ لها في تفسيره "معارج التّفكّر ودقائق التدبُّر". وأهمّ أدواته في تطبيق قاعدته: جمع النّصوص القرآنيّة، وقرينة السياق، واللغة.

- وقد اجتهد في لفت النّظر إلى تطبيق قواعد هذا المبحث أثناء تدبُّره، ولكنّ اجتهاده وصل إلى مستوىّ معيّن في تحديد الأغراض البلاغيّة المنطويّة تحت تلك الأساليب، وإنّ هذا ليعجزُ عنه البشر فكيف بمتدبّرٍ واحدٍ.

وجاء تطبيقه لقواعد هذا المبحث، وأثرها في تفسيره على النّحو الآتي:

سبق الميدانيّ في هذه القاعدة: "حول النّظر في ملاءمة الأسلوب البيانيّ للهدف منه"، ولم يذكر مصادره فيها، أو يستدلّ عليها.

واعتنى - غالباً - ببيان الأساليب الكلاميّة الواردة في ظلّ سياق الآيات القرآنيّة والملاءمة للهدف من الكلام، والوضع العام للمخاطب به وحالته الخاصّة، فيما تُدبّر من كلام الله عزّ وجلّ، إلّا أنّه لم ينصّ - غالباً - بوضوح وبشكلٍ مباشرٍ على تلك الملاءمة، وهذا لا يعني أنّه لم يضع موضوعها في حسبانهِ. وقد ظهر الأثر البلاغيّ والمعنويّ لهذه القاعدة في تفسيره كما فصلت سابقاً.

وفي قاعدة: "حول التنوع في أساليب الأداء البياني" أدرك الميداني بما يحمله من حسن جمالي، واطلاع على أساليب الأداء البياني، بلاغيات وجماليات النص القرآني المعجز، فظهر الأثر البلاغي والجمالي للقاعدة من خلال بيانه للأغراض المترتبة على التنوع الأسلوبي في عرض الأقسام التي تدخل في مقسم واحد أو تدخل تحت عنوان أو موضوع واحد، وذلك - غالباً - عند كلامه عن "الالتفات".

وفي قاعدة: "حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص"

تجلى أثر هذه القاعدة في تفسير الميداني في إبراز ما سماه "الإعجاز التكاملي" في القرآن الكريم - لاسيما في عرض القصّة الواحدة - حيث قام بجمع عدد من النصوص التي تعالج موضوعات متماثلة أو متشابهة أو متقاربة، ومقارنة بعضها مع بعض، مظهراً أغراض الاختلاف في التعبير بينها.

وفي قاعدة "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن"

تبين من خلال البحث اعتناء الميداني بتطبيق هذه القاعدة على نصوص كثيرة من القرآن الكريم - قد يُظنّ أنّها مكررات - تشترك مع بعضها بمواضيع جزئية قصيرة غالباً، ممّا جعل تفسيره من التفاسير التي تميّزت بجمع النصوص المتشابهة، وإظهار الأثر البلاغي والمعنوي فيها، بعد تطبيق مبدأ التكامل عليها، وقد تعدّى نظره التكامليّة إلى ملاحق أفردتها بعد تدبره للسورة.

وفي قاعدة: "حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد" اعتنى بإبراز كثير من الوجوه البلاغية أثناء تدبره الآيات، وكذا في المستخرجات البلاغية لكل سورة، وأمثلة ذلك كثيرة جداً، ويمكن القول أنّ تفسيره من التفاسير التي اهتمت بإظهار بلاغة القرآن الكريم.

كما توصّل البحث إلى أنّ الميداني لم ينصّ بشكلٍ دائمٍ على الغرض الفكري للصور البلاغية في تفسيره، مع العلم أنّ الغرض الفكري في كثير من الأحيان واضح، ويصل إلى ذهن المتدبر إن أعمل فكره في تذوق اللّمسات البيانية في الصورة، والنصّ عليه بعد بيان الصورة في سياقها ليس إلا زيادة بيان للفكرة المضافة التي عبّرت عنها الصورة البيانية.

وفي قاعدة: "حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها" لوحظ من خلال البحث أنّه قد اجتهد في فهم كثير من الجمل والأفكار القرآنية المتتابعة وفق ترتيب نظمها، فكان لهذه القاعدة أثر معنوي واضح في تفسيره.

وقد نصَّ في بعض المواطن على الأغراض المترتبة من ذلك الترتيب، فظهر الأثر البلاغي فيها. وفي قاعدة: "حول النظر في توجيه الخطاب الرباني" لاحظ في كثير من الآيات معنى يخص المتلقين للخطاب، كما أنه أثناء تدبره لكثير من النصوص القرآنية التي تتضمن إشارات علمية، ذكر ما توصَّل إليه الباحثون العلميون دون أن يخصَّهم بتوجيه تلك النصوص إليهم دون غيرهم، وقد التزم بتطبيق المقولة الثالثة (معظم الخطابات التي جاء فيها "قل" تتناول كلَّ ذي أهلية...) من هذه القاعدة في تفسيره، فظهر الأثر البلاغي - كما فصلت في القاعدة - والمعنوي لها في فهم الآيات.

وفي قاعدة: "حول أوجه النص التي يهدف إليها" وجد أنَّ الميداني في مواطن كثيرة من تفسيره كان من المتوقع منه تطبيق القاعدة ببيان جميع أوجه النص وما يهدف إليه كلُّ وجه من أغراض إلا أنه لم يفعل أو أنه بيَّن بعضاً منها، فلم يظهر أثر القاعدة في تلك المواطن.

- والجديد عند الميداني في قواعد هذا المبحث أن ألبس كلام المتقدمين ثوباً جديداً وضمَّه إلى كتب أصول التفسير القرآني.

٢- المبحث الثاني (الإيجاز)

تمَّت دراسة القاعدة الرابعة عشرة "حول اقتضاءات النص ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حذفت منه للإيجاز والتضمنات التي يُضمَّنُها" في هذا المبحث، وقد وجدنا كيف أبدع الميداني في جمع متفرقات هذه القاعدة والاهتمام بها على نحوٍ لافت للنظر، وعرضها بأسلوبٍ مختلفٍ عن عرضه لباقي قواعد التدبر الأمثل.

وقد أشار إلى بعض مصادره التي استقى منها هذه القاعدة.

ولم يبرز في قاعدته من الدواعي والأغراض البلاغية للحذف إلا الإيجاز.

- كما ظهر الأثر المعنوي لهذه القاعدة في تفسيره على نحوٍ واسع، تنوّعت طريقتة في الإشارة إلى المعاني غير الظاهرة في النصِّ القرآني فتارةً استعمل مصطلحات البلاغيين مثل إيجاز الحذف وإيجاز القصر والكناية والتعريض (وهذا الأكثر) في المستخرجات البلاغية للسورة غالباً، ومرةً أخرى كلمة "مطويات".

- وظهرت عنايته بتطبيق المقولة الثانية من القاعدة (حول المحاذيف للإيجاز) بشكلٍ واضحٍ في كامل تفسيره، وتجلَّت أهميَّة ذلك التطبيق في الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم المطوية.

- وأشار في بعض المواضع من تفسيره إلى دواعي الحذف كالإيجاز، والتخفيف، ومراعاة الفاصلة القرآنية، والتعميم، وغيرها.

ولم يلتزم بإيراد الداعي أو الغرض من الحذف في كل مرة، ولا يؤخذ عليه ذلك؛ لأنه لم يضمن قاعدته لزوم اكتشاف الداعي البلاغي للحذف.

- لم يستخدم مصطلحات الحذف (الاختزال - الاقتطاع - الاكتفاء) غالباً، أمّا (الاحتباك والتضمن) فسمّاهما باسمهما في بعض المواطن من ورودهما، إمّا في أثناء التدبر، أو في ملحقات السورة.

- وقد اعتنى بتطبيق المقولة الثالثة (حول ظاهرة التضمن) في مواطن كثيرة من تفسيره.

٣- المبحث الثالث (التكرير)

- القاعدة المدروسة في هذا المبحث هي: القاعدة الخامسة عشرة "حول التكرير وأغراضه" وقد كانت الشغل الشاغل لعلماء الإعجاز القرآني.

لم يأت الميداني بشيء جديد عمّ قاله العلماء قبله، ووجد من خلال البحث أنّه لم يشر إلى أغراض التكرار غالباً (بالتفصيل الذي أورده في القاعدة)، لاسيّما إذا كانت النصوص المكررة مختلفة، ربّما لانشغاله بتلمّس الفروق الدقيقة في المعاني بينها، إذ يجمع تلك النصوص ويتدبرها وفق قاعدة التكامل في كثير من الأحيان على وجه يبرز إعجازها، وكان ذلك إمّا في أثناء تدبره للسورة أو في ملحقات السورة.

الفصل الرابع

قواعد التدبر البلاغية المتعلقة بالتناسب القرآني

تمهيد:

يُعرّف "التناسب" ^(١) بأنه: "علم تُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن." ^(٢) وفائدته: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء." ^(٣) والعلاقة بينه وبين البلاغة، أنّ التناسب "سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال." ^(٤)

أي إنّ "البلاغة هي العمود الفقري أو الرئيس لموضوع التناسب؛ لأنه يقوم على مراعاة المقام والمقال، وهذا هو البلاغة بعينها." ^(٥) فالعلاقة بينهما متداخلة متكاملة وكلّ منهما يقتضي الآخر، فبلاغة النظم القرآني تقتضي تناسبه، ولولا هذا التناسب لفقد القرآن الكريم بلاغته. وقد اجتهد بعض المفسرين والباحثين في علوم القرآن الكريم قديماً وحديثاً في بيان أوجه التناسب في النظم القرآني، وذلك على مستوى الآية الواحدة وبين الآيات، ومقاطع الآيات في السورة الواحدة، والسور من القرآن الكريم، ومن هؤلاء الميّداني الذي ستتضح جهوده بموضوع التناسب

(١) التناسب والمناسبة بمعنى واحد. واستخدم الإمام البقاعي (ت ٨٨٥هـ) كلا المصطلحين، والمعنى نفسه في عنوان تفسيره، وفي ثناياه أيضاً، ومن جهة أخرى فقد أوردت المعاجم هذين المصطلحين في حديثها عن الغرض نفسه. انظر: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، دراسة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، من إعداد الباحث: مشهور مشاهرة، بإشراف الدكتور محمد بركات أبو علي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الثاني ٢٠٠١م، ٣٧.

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ٥٨.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣٦/١.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآي والسور، برهان الدّين البقاعي، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٦م)، ٦/١.

(٥) التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، مشهور مشاهرة، ٣.

القرآنيّ من خلال دراسة قواعد التّدبّر التي تُبيّن انسجام القرآن الكريم وتماسكه، وذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول: وحدة موضوع السُّورة القرآنيّة

المبحث الثاني: الرّبط بين الآيات وخواتيمها

المبحث الثالث: الفاصلة القرآنيّة

المبحث الأول: وحدة موضوع السورة القرآنية:

من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، أن يتم في الموضوع الواحد للسورة معالجة جملة من المطالب البيانية والتعليمية والتربوية تقتضيها أحوال المخاطبين في كل زمان ومكان "مع الإيجاز والإعجاز، ولو عولجت هذه المختلفات على طرائق التصنيف العلمي المجزأ إلى موضوعات، لاقتضى الأمر أن يكون القرآن عشرات المجلدات الضخمة، التي لا يتحملها الناس حينئذ".^(١) هذا ما قاله الميداني في القاعدة الثانية من قواعد التدبر الأمثل: "حول وحدة موضوع السورة القرآنية"، وستتم دراستها وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

(١) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٢٨٠.

عنوان القاعدة: "حول وحدة موضوع السُّورة القرآنيَّة"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

"على متدبر كتاب الله ﷻ أن يوجّه عنايته ما استطاع، لاكتشاف وحدة موضوع السُّورة القرآنيَّة، وارتباط المعاني التي اشتملت عليها جملها بهذا الموضوع الكلّي، فعسى أن يلهمه الله الصّواب، ويكتشف ما يُقدّم به نفعاً للذين يتلون كتاب الله ويتدبرون آياته."^(٢)

ثانياً: بيان القاعدة:

- تسلّط هذه القاعدة الضّوء على وحدة موضوع السُّورة القرآنيَّة، إذ يتمّ اكتشافها كما أشار الميداني عن طريق البحث بأناةٍ وتفكيرٍ عميقٍ بحثاً كلياً شاملاً للسُّورة، وتتبع ارتباط آياتها، ومعاني جملها بهذا الموضوع، أو بما تفرّع عنه من عناصر، وما اتّصل به من موضوعاتٍ جزئيّة، وأحكامٍ وشواهد.^(٣)
- وتأتي فائدة اكتشاف هذا الترابط الموضوعي في السُّورة القرآنيّة الواحدة، من أنّه: "قد تُصحّح مفاهيم، وترجّح تفسيراتٍ، وذلك لأنّ ترابط المعاني يقتضيها أو يرجّحها أكثر من غيرها."^(٤)
- ونقد الميداني جهود المفسّرين المتقدّمين في الكشف عن وحدة موضوع السُّورة، إذ إنهم لم يوجّهوا عنايةً كبيرةً لهذا الأمر، رغم خدماتهم الجليلات التي قدّموها لكتاب الله ﷻ.^(٥)
- وقد تبين له أنّ وحدة موضوع السُّورة القرآنيّة يعتمد على النّظام الشّجري لا على النّظام الطّولي الذي يشبه السّلسلة ذات الحلقات المتّصلات، فالسُّورة القرآنيّة كالشّجرة التي تجتمع أجزائها - مهما اختلفت - على أصل واحد. إذ تشتمل السُّورة في هذا النّظام الشّجري "على وحدات معاني متماسكة تشبه حلقات مترابطات، مشمولات بحلقة أكبر منها وهي داخلة فيها ومتعلّقة بها، ... قد يكون الارتباط مباشرة بالحلقة الكبرى التي هي أساس الموضوع، أو بحلقة دونها قد سبقت، وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات..."^(٦)

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٢٧.

(٢) المرجع السابق، ٣٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٢٧، ٢٩.

(٤) المرجع السابق، ٢٧.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٩. (٦) انظر: قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٢٨.

- كما أنَّ وحدة موضوع السُّورة تعدُّ صفةً من صفات النَّصِّ الأدبيِّ التَّربويِّ الرَّفيع عالي البلاغة، حيث إنَّه "يهدفُ إلى كَلْيَّة من الكَلِّيَّات الكبرى الفكرية، وتكون فقراته وأفكاره العامَّة مرتبطةً بهذه الكَلْيَّة، مشتقةً منها، أو موصولةً بها بوجه من الوجوه، والغرض التَّعليميُّ أو التَّربويُّ أو البيانيُّ البليغ هو الذي استدعى إيراد الفكرة ضمن الموضوع الكَلِّي الذي يدور حوله النَّصُّ".^(١)

وإنَّ من الإعجاز البلاغيِّ في القرآن الكريم، أن يتمَّ في الموضوع الواحد للسُّورة معالجة جملة من المطالب البيانيَّة والتَّعليميَّة والتَّربويَّة تقتضيها أحوال المخاطبين في كلِّ زمان ومكان "مع الإيجاز والإعجاز، ولو عولجت هذه المختلفات على طرائق التَّصنيف العلميِّ المحزَّأ إلى موضوعاتٍ، لاقتضى الأمر أن يكون القرآن عشرات المجلدات الضخمة، التي لا يتحمَّلها النَّاس حينئذٍ".^(٢)

- وبعد شرح الميدانيِّ للقاعدة زوَّدها بثلاثة أمثلة^(٣)، ويكتفى هنا بعرض مثالٍ واحدٍ فقط، وهو المثال الثَّاني: موضوع "سورة العلق" - كما بيَّنه الميدانيُّ- هو إيجازُ حاجة الإنسان إلى الدِّين، وما يجب عليه تجاهه، وعرضٌ إشاريٌّ لأقسام النَّاس نحو الدِّين.

ولدى تجزئته السُّورة إلى وحداتٍ، لاحظ أنَّها تنقسم إلى أربعة دروسٍ وصفَّها بأنَّها متعانقةٌ حول هذا الموضوع، ثمَّ شرع ببيان ما يشتمل عليه كلُّ درسٍ من تلك الدُّروس (أنقلها عنه باختصار):

فالدَّرس الأوَّل: يتضمَّن ما اشتملت عليه الآيات من (١ إلى ٥) من أمرٍ بالقراءة واستعانةٍ باسم الربِّ الخالق، وأمرٍ بتكرير القراءة لما فيه من فتح أبواب تدبُّر المعاني وفهمها مع الأجر العظيم لتالي القرآن المنزل، وتوجيه لتسجيل المعارف بالقلم وما فيه من تنبيه على تدوين القرآن، وما يستنبط من معاني.

والدَّرس الثَّاني: يتضمَّن ما اشتملت عليه الآيات من (٦ إلى ٨) من أنَّ الإنسان متى شعر بالاستغناء عن إمداد الله تعالى، وعن التزام صراطه في الحياة وعمَّا يقيه من العقاب، طغى.

وأَنَّهُ راجع إلى الله للحساب والجزاء بعد رحلة الامتحان.

والدَّرس الثَّالث: يتضمَّن ما اشتملت عليه الآيات من (٩ إلى ١٣) من أنَّ النَّاس في مواجهة الرسالة الرِّبانيَّة أربعة أقسام.

(١) المرجع السابق، ٣١.

(٢) المرجع السابق، ٢٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٣١-٤٤.

والدرس الرابع: يتضمّن ما اشتملت عليه الآيات من (١٤ إلى ١٩) من توجيه الكافر إلى أنّ الله يراه، ويعلم كلّ ما يكسب، وزجر الكافر الداعي إلى الكفر وتهديده ووعيده، وزجر المتّجه للإيمان بالله وطاعته، عن أن يطيع الكافر الداعي إلى الكفر الذي ينهى عبداً إذا صلّى.^(١)

ثمّ ختم كلامه بقوله: "وهكذا ظهرت لنا وحدة موضوع السّورة، وظهر لنا ترابط أفكارها، في كلّيات كبرى هي جذور فلسفة الدّين، واهتدينا إلى الخيوط الفكرية التي تُشعّها أضواء اللّوازم العقلية، ومقتضيات الأسباب والمسبّبات، بالبحث والاستنباط والتأمّل العميق. والحمد لله على توفيقه."^(٢)

المطلب الثاني: المناقشة:

- تولى الدّراسات القرآنية المعاصرة اهتماماً ملحوظاً بمفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، والذي يعدّ الغاية المرجوة من لون تفسيريّ جديد: هو التّفسير الموضوعي^(٣).

وهناك تعاريف عديدة للوحدة الموضوعية ناتجة عن تعدّد الرؤى والمناهج للدّارسين المعاصرين، فبعضهم حصّنها بالسّورة القرآنية، وبنى عليها التّفسير الموضوعي للسّورة القرآنية، وآخرون بالموضوع القرآنيّ، وبنوا عليها التّفسير الموضوعيّ للموضوع القرآنيّ.

ومن تعريفات الوحدة الموضوعية للسّورة القرآنية: "أنّ كلّ سورة من سور القرآن الكريم تناولت موضوعاً معيّناً تطرحه وتعالجه، وتكون به مميزة."^(٤)

أو أنّها: "الموضوع الذي تعالجه السّورة في ضوء معطيات آياتها المحكمة النّسج والارتباط بأسلوبها المتميّز وخصائصها المعجزة بلوغاً إلى مقاصدها الهدائية."^(٥)

ونبّه أحد الباحثين إلى أنّه "لا ينبغي أن تعرّف الوحدة الموضوعية بأنّها إجمال ما في السّورة من موضوعات ومقاصد وأهداف، حتّى إذا ما جاء المفسّر إلى تفسير السّورة انشغل بتفاصيل التّفسير التحليلي... وليست

(١) انظر: قواعد التّدبر الأمثل، الميداني، ٤٠-٤٢.

(٢) المرجع السابق، ٤٢.

(٣) انظر الصّفحة (٥٢، ٥٩).

(٤) منهجية البحث في التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد الدّغامين، (عمان، دار البشير، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٩٥.

(٥) التّفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، عبد الجليل عبد الرّحيم، (عمان، د.ن، ١٩٩٢م)، ٣٥/١-٣٦، نقلاً عن أطروحة الدكتوراه "جهود محمّد عبد الله دراز في التّفسير الموضوعي دراسة وتحليل"، للباحث: محي الدين بن عمّار، بإشراف الأستاذ الدكتور: منصور كاقي، جامعة الحاج خضر، الجزائر، ٢٠١١م-٢٠١٢م.

وحدة الموضوع في السُّورة تلك التي تقوم على مجرّد المناسبة بين الآيات المختلفة الموضوعات... لأنّ المناسبات حلقة في وحدة الموضوع في السُّورة وخطوة في منهجيّة البحث فيها.^(١)

- ويتجلّى دور علماء الدّراسات القرآنيّة المتقدّمين في الكشف عن وحدة موضوع السُّورة القرآنيّة بظهور "علم المناسبات" الذي توجّهت العناية به بدءاً من القرن الرّابع الهجري على يد أبي بكر النّيسابوري (ت ٣٢٤هـ)، الذي كان يقول على الكرسي إذا قُرئ عليه: "لمّ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السُّورة إلى جنب هذه السُّورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"^(٢)

وما لبث أن نال هذا العلم حظاً وافراً من الاجتهاد في إبراز أسرارهِ من قبل بعض المفسّرين الذين قاموا بتتبع الرّوابط بين الآيات والسُّور في تفاسيرهم، وفي مقدّماتهم الرّازي (ت ٦٠٦هـ) الذي كان يقول في تفسيره إنّ: "أكثر لطائف القرآن مودعة في التّرتيبات والرّوابط."^(٣)

وانطلاقاً من ضرورة النّظر في غرض السُّورة ومقصودها لفهم المناسبات وإدراكها، ابتكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) علمه الجديد "علم مقاصد السُّور" وأهمّيته أنّ من عرف المراد من اسم السُّور عرف مقصودها، ومن حقّق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها^(٤)، فكان لظهور هذا العلم أيضاً دور في الكشف عن وحدة موضوع السُّورة القرآنيّة.

- وأفاد كثيرٌ من المتأخّرين من جهود العلماء في هذين العلمين، كما استندوا عليها في محاولاتهم لإثبات وحدة موضوع سورٍ كثيرةٍ في القرآن الكريم، فوقّفوا في ذلك، ولو أنّ الميداني لفت النّظر إلى جهود المتقدّمين - على قلّتهم - في هذا المجال لأوفى إليهم بعض حقّهم، ولكنّه اكتفى بالإشارة إلى ترك توجيههم العناية الكبيرة لهذا الأمر.

(١) منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد الدّغامين، ١٠٨-١٠٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، ٣٦/١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرّازي، ١١٣/١٠.

(٤) علم مقاصد السُّور: علم يعرف منه مقاصد السُّور. وموضوعه آيات السُّور، كل سورة على حيالها. وغايته: معرفة الحقّ من تفسير كلّ آية من تلك السُّورة. ومنفعته: التبحّر في علم التفسير، فإنّه يثمر التسهيل له والتيسير. ونوعه: التفسير، ورتبته: أوّله. فيشتغل به قبل الشّروع فيه، فإنّه كالمقدمة له، من حيث إنّّه كالتعريف، لأنّه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً. وأقسامه: السُّور. وطريقة السلوك في تحصيله: جمع جميع فنون العلم. "مساعد النّظر للإشراف على مقاصد السُّور، برهان الدّين البقاعي، تحقيق: عبد السّميع حسنين، (الرياض، مكتبة المعارف، د.ت)، ١٥٥/١.

- ولا بُدَّ من الإشارة إلى دور بعض المتأخّرين في الكشف عن الوحدة الموضوعيّة في السُّورة القرآنيّة، مثل المفسّر حميد الدّين الفراهي (ت ١٩٣٠م) في تفسيره الذي توفّي قبل اتمامه "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"^(١).

ويذكر محمّد عبد الله دراز (ت ١٩٥٨م) صراحةً أنّه اكتشف أنّ السُّورة القرآنيّة لها موضوعٌ واحدٌ، في كتابه "المدخل إلى القرآن الكريم" إذ يقول: "فقد كنّا نبحث عمّا إذا كان هناك نوع من التّرابط في الأفكار التي تتناولها السُّورة الواحدة، ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أنّ هناك تخطيطاً حقيقياً واضحاً ومحدّداً، يتكوّن من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحيّة الأولى من السُّورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرّئيسة، ثمّ يتبع ذلك التّدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزءٌ مع جزءٍ آخر، وإنّما يحتلّ كلّ جزء المكان المناسب له في جملة السُّورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الدّيباجة."^(٢) وقد اكتشف هذا في ثلاث سور (البقرة - يونس - هود).

وكذلك محمّد عزّة دروزة (ت ١٩٨٤م)^(٣) الذي اجتهد في السّير في تفسيره وفق منهج "الاهتمام لبيان ما بين آيات وفصول السُّور من ترابطٍ. وعطف الجمل القرآنيّة على بعضها سياقاً أو موضوعاً، كلّما كان ذلك مفهوم الدّلالة، لتجلية النّظم القرآنيّ والتّرابط الموضوعيّ فيه."^(٤)

(١) مراد الفراهي من النّظام في السُّورة هو: "أن تكون لكلّ سورة صورة مشخّصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد، وكان الكلام ذا وحدانيّة، فحينئذ لا يكون إلّا وله صورة مشخّصة ... وبالجمله فالنّظام هو الذي يعطي السُّورة وحدانيّتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها ذات عمود تجري إليه أجزاؤها." **دلائل النظام**، حميد الدين الفراهي، (دن، المطبعة الحميدية، ١٣٨٨هـ)، ٧٥.

(٢) **مدخل إلى القرآن الكريم**، محمّد عبد الله دراز، ١٢٨.

(٣) هو باحث، مؤرّخ، مفسّر، ولد في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٨٨٧م، عرف بنضاله السياسي ضدّ المحتلّين، وألّف كتباً مدرسيّة عن تاريخ العرب والإسلام، وتوفّي رحمه الله سنة ١٩٨٤م، ومن أبرز مؤلّفاته: كتابه "حول الحركة العربيّة الحديثة"، و"التفسير الحديث"، و"القرآن والملحدون". انظر، **تتمّة الأعلام للزّركلي**، محمّد خير رمضان يوسف، (بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٨م)، ١١٦/٢.

(٤) **التفسير الحديث**، محمّد عزت دروزة، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٨٣هـ)، ٨/١. ويشار إلى أنّه قام عدد من الباحثين بإثبات الوحدة الموضوعيّة لسور مفردة في القرآن الكريم في كتب أو أبحاث مستقلة.

انظر مثلاً: "الوحدة الموضوعيّة في سورة يوسف"، محمّد حسن باجودة.

و"منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، زياد خليل الدّغامين، الذي درس وحدة سورة الحجر.

و"التفسير الموضوعي بين النّظرية والتّطبيق"، عبد الفتاح الخالدي، الذي درس وحدة سورة محمّد.

وفي إطار تلك المحاولات البحثيّة المستقلّة أيضاً نذكر: كتاب "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من علماء التفسير =

- وقد اعتمد الميداني في اكتشاف الوحدة الموضوعية للسورة - كما سبق في بيان القاعدة - على التفكير العميق بالسورة وتتبع ارتباط أجزائها بالموضوع الكلي لها، واتفق في ذلك مع الفراهي الذي عدّ التدبر العميق أولى الأدوات والوسائل العديدة التي تساعد على معرفة نظام القرآن، وتبّه على أنّ "من نظر في دلالات الآيات على حدثها، ولم يتأمل في مناسبة أجزاء السورة فقد عميت عليه الحكمة، وحسن نظامها، لأن أكثر الحكم مخبوءة في طيات دلالات النظام، وهي لا تبرز إلا عن طريق التدبر العميق المقرون بعقيدة راسخة، وتمكّن كبير في علوم اللسان العربي. ومن هنا تتبع أهمية التدبر الذي أمرنا الله تعالى بالقيام به." (١)

- ويضاف إلى ما قاله في أهمية اكتشاف الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، يمكن القول بأن الوصول إلى موضوع السورة وبيانه يقدم عوناً كبيراً على تفسير القرآن، كما يقول أحد الباحثين: "إن محاولة الوصول إلى موضوع السورة العام قبل تفسيرها يعين على تفسيرها بما هو أعمق وأشمل وأدق؛ لأنه سيكون مبنياً على ذلك الموضوع، وعلى ذلك فلا تبدو موضوعاتها الجزئية أشتاتاً متفرقة، ولا تبدو قصص القرآن قصصاً مكررة، وإنما ينظر إليها على أنّها مترابطة الموضوعات تسير كلها إلى غاية واحدة قد تختلف في قليل أو في كثير عن موضوعات السور الأخرى وغاياتها، ولهذا سيوجّه المفسر عنايته نحو طابع الموضوعات الجزئية فيكشفها بما يجلي ويثبت الموضوع الأساسي الذي تعالجّه." (٢)

- يلاحظ اقتراب تمثيل الميداني لوحدة السورة القرآنية من تمثيل البقاعي (ت ٨٨٥هـ) الذي شبه "السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة الأنيقة الخالية المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعقد أنيق الورق بأفنان الدرر وأفنائها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها وعانق ابتدائها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على الدوائر الغر، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنائها وحسن تواصل ثمارها وأغصانها." (٣)

- كما أنّه لم ينبّه إلى دور بيئة نزول آيات السورة القرآنية كأداة مساعدة على فهم المحتوى الكلي للسورة وموضوعها هنا، مع العلم أنّه طلب من المتدبر في القاعدة الرابعة من قواعد التدبر الأمثل (٤) ملاحظة بيئة

= علوم القرآن، بإشراف مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، الإمارات العربية المتحدة.

(١) دلائل النظام، حميد الدين الفراهي، ٤٢.

(٢) الوحدة الموضوعية لسور القرآن، رفعت عبد المطلب، ١١.

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ١٤٩/١.

(٤) انظر: قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ١٨٥.

نزول النصّ البشريّة والزّمانيّة والمكانيّة والنّفسيّة والفكريّة الفرديّة والاجتماعيّة، ولو أنّ الميدانيّ أشار إلى دورها هنا، لكان أولى.

- وضّمّن معنى القاعدة الثانية في القاعدة الأولى: "حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة وارتباطها الموضوعي بما تفرّق في القرآن المجيد"^(١) لكنّه أفردا هنا في قاعدة مستقلة فكانت غايته تسليط الضوء على الوحدة الموضوعيّة للسورة القرآنيّة.

- وقد جاءت أمثلة القاعدة كافية وموضّحة لها، إلّا أنّ الميدانيّ لم يُظهر فيها أثر وحدة الموضوع في الاستنباط، والتّرجيح بين الدّلالات المحتملة، ولم يذكر بوضوح موضوع "سورة القيامة"، مع العلم أنّه قد ذكره في تفسيره.^(٢)

ولدى تجزئته "سورة العلق" إلى وحدات، قسّمها إلى أربعة دروس كما لاحظنا، وبالعودة إلى تفسيره نجده قسّمها إلى ثلاثة دروس حيث إنّهُ ضَمَّ الدّرسين الثّالث والرّابع في درس واحد. وأضاف إلى موضوع تلك السّورة في تفسيره أنّ "أوّل فقرات رسالة الرّسول محمّد ﷺ في هذا الدّين الخاتم، التّوجيه للانتفاع بوسائل تحصيل العلم الذي يهدي إلى مصالح الدّنيا والآخرة، وسعادة النّاس فيهما"^(٣)

المطلب الثّالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر":

بيّن الميدانيّ وحدة موضوع كلّ سورة من سور القرآن الكريم، في تفسيره باستثناء سورة "الكافرون"؛ ربّما لأنّ موضوع السّورة واضح من خلال روايات سبب النّزول^(٤)، وليس بحاجة لأن يُنصّ عليه. وبملاحظة طريقة عرضه لموضوع السّورة، نجد الآتي:

- بيّن موضوع السّورة بعد التّعريف بالسّورة، وذكر نصّها، وما فيها من فرش القراءات، وممّا ورد في السّنّة بشأن السّورة، ثمّ قسّم الموضوع إلى دروس موزّعة على الآيات وتدرّج حول هذا الموضوع الذي سبق بيانه بصورة إجماليّة، ومثال ذلك:

موضوع "سورة المزمل" يدور حول "أوامر ووصايا سلوكيّة للرّسول ﷺ وللمؤمنين مقرونة بالوعد، ومعالجة

(١) انظر: قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ١٣.

(٢) انظر: معارج التّفكّر، الميداني، ٤٦١/٢-٤٦٢.

(٣) المرجع السّابق، ٤٠/١.

(٤) انظر: المرجع السّابق، ٧٠١/١-٧٠٣.

للكافرين بالوعيد مع تأكيد أن رسالة الإسلام رسالة تذكير، لا رسالة سَوْقٍ بالإجبار.^(١)

وتشتمل على ثلاثة دروس، هي:

الدَّرس الأول: من الآية (١ إلى ١١)

ويتضمَّن أوامر ووصايا سلوكيَّة للرَّسول ﷺ، وللمؤمنين معه.

الدَّرس الثَّاني: من الآية (١٢ إلى ١٩)

ويتضمَّن معالجة للكافرين بالوعيد المؤجَّل إلى يوم الدين، والمعجَّل في الدُّنيا، مع تأكيد أنَّ رسالة الإسلام

رسالة تذكير لا رسالة سوق بالإجبار.

الدَّرس الثَّالث: الآية (٢٠)

درس ملحق بالدَّرس الأوَّل من السُّورة، إذ فيه نسخ لحكم فرضيَّة قيام اللَّيْلِ على ما جاء في الدَّرس الأوَّل، مع إضافة أحكام ووصايا أخرى مقرونة بالوعد بأجر عظيم عند الله تعالى، ومغفرة للمؤمنين العاملين بمراضي الله ﷻ.^(٢)

- وقد تكون السُّورة كُلُّها بعد تحليل موضوعيَّها درساً واحداً^(٣)، فيكون هذا الدَّرس هو نفسه موضوع السُّورة، وقد يطول الدَّرس الواحد فيقسِّمه إلى فصول.^(٤)

- بين - غالباً - موضوع السُّورة ثمَّ الدُّروس التي تتضمَّنُها، وقد بينَ - أحياناً - الدُّروس أولاً ثمَّ صاغ عنواناً لموضوع السُّورة مأخوذاً من تلك الدُّروس.^(٥)

- لم يوضَّح توزيع دروس كثيرٍ من السُّور على شجرة موضوعيَّها كما فعل في سورتي "الفرقان" و"الأنعام" فمثلاً بالدرس الأوَّل من دروس "سورة الفرقان"، قال: "وظاهرٌ أنَّ هذا الدَّرس يتعلَّق بالفرع الأوَّل من فروع

(١) معارج التَّفكُّر، الميداني، ١/١٥٥.

(٢) انظر: المرجع السَّابق، ١/١٥٥-١٥٦.

(٣) المرجع السَّابق، انظر مثلاً: سورة "الشَّرح"، ١/٥٨٣-٥٨٤، وسورة "العصر"، ١/٦٠٦، وسورة "العاديات"، ١/٦٢٨-٦٢٩، وسورة "القدر"، ١/٢٨٢، وسورة "قريش" ١/٤٣٢، وسورة "الهمزة"، ١/٥٢٨-٥٢٩.

(٤) المرجع السَّابق، انظر مثلاً: سورة "يوسف" ١٠/٥٩٨-٦٠٠، وسورة "الصَّافات"، ١١/٥٤٢، وسورة "البقرة"، ١٥/٤٠٨-٤١١.

(٥) انظر: المرجع السَّابق، مثال ذلك: سورة "العلق"، ١/٣٧-٤١، سورة "الليل"، ١/٤٨٤-٤٨٧، سورة "الفجر" ١/٥١٣-٥١٦.

موضوع السُّورة، مع قسم هابط من الفرع الرابع من فروع موضوعها، وهو قسم المشركين، وعقيدتهم حول الفرع الأوّل." (١)

واكتفى بتوزيع الآيات المتسلسلة على دروس السُّورة المتتالية التي كانت تتطلب منه توضيح التّرابط الموضوعي في شجرة موضوعها.

- شرح وحدة موضوع سورة "الليل" و "العلق" و "القيامة" وفق النظام الطولي الذي يشبه السلسلة ذات الحلقات المتّصلات ولم يسر في بيانه وفق النظام الشجري المقترح في القاعدة.

- استعان في "سورة الفرقان" بخريطة توضيحية تعين القارئ، وتسهّل عليه فهم شجرة موضوع السُّورة الواحدة، ولو أنّه أثّر تفسيره ببعض هذه الخرائط لأهميتها لكان أولى.

إذ رأى أنّ موضوع "سورة الفرقان": "يدور حول كليات كبرى من عناصر القاعدة الإيمانية، وحال النّاس في مرحلة نزول السُّورة تجاهها مع التّوجيه والتّربية والمعالجة." (٢)

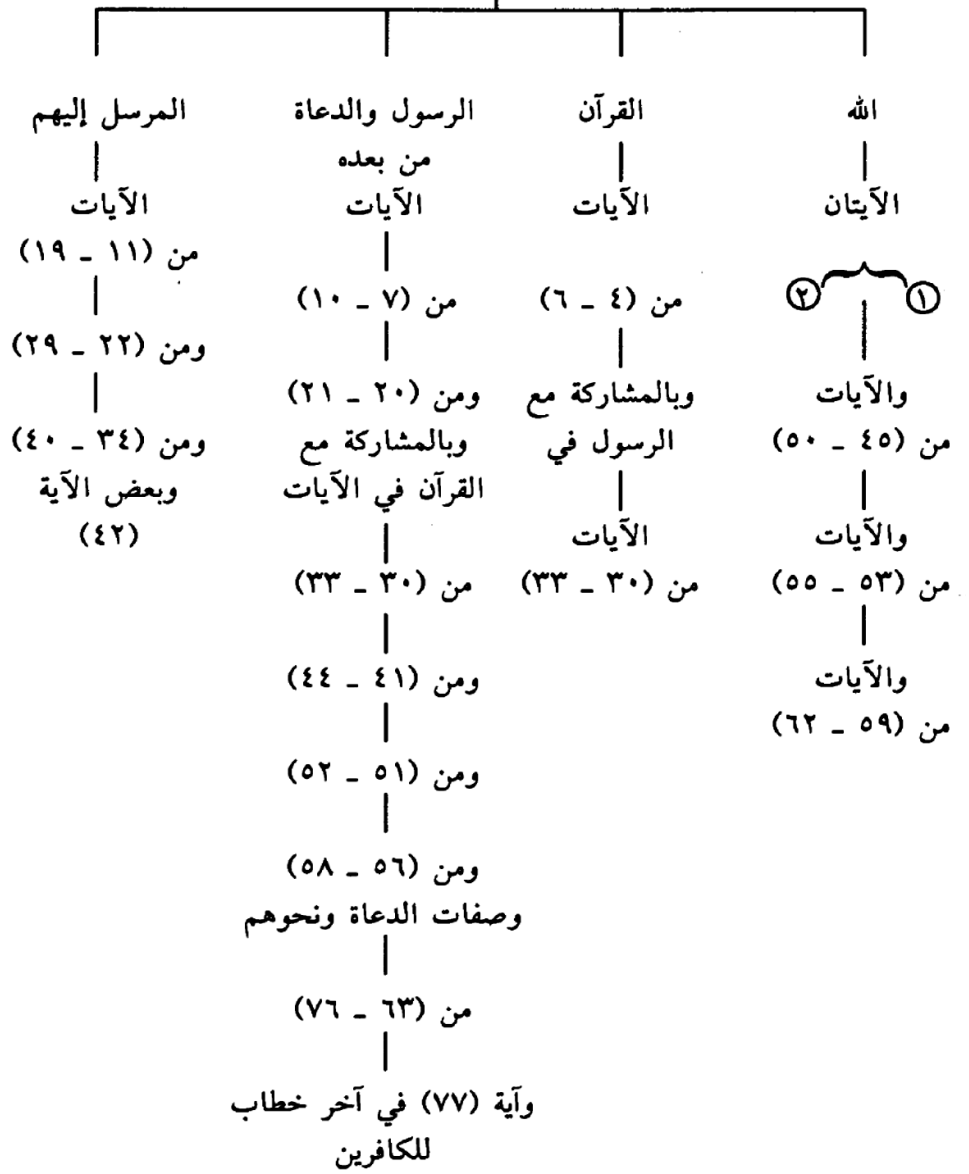
وعناصر القاعدة الإيمانية مشارٌ إليها في الآية الأولى من السُّورة، وكأنّها تحدّد خطوط مسير آيات السُّورة حول هذه العناصر، فالسُّورة تسير ضمن أربعة خطوط، وقد وزّعت فقراتها على هذه الخطوط توزيعاً مفرّقاً، وآياتها كمصاييح مدلّاة من خطوط فكرية غير منظورة في اللفظ، ويوضّح الميداني ذلك بالرّسم البياني الآتي (٣):

(١) معارج التّفكير، الميداني، ٣١٤/٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٠٥/٦.

(٣) المرجع السابق، ٣٠٧/٦.

كليات كبرى من عناصر القاعدة الإيمانية (في الآية الأولى)



- تكلم - أحياناً - عن الأسلوب البياني المعجز المختار في عرض عناصر موضوع السورة القرآنية وملاءمته لحال المخاطبين أثناء كلامه عن موضوع السورة.^(١)

- أشار - أحياناً - إلى الترابط الموضوعي بين السور، فمثلاً: أشار إلى أن موضوع سورة "ق" جاء حول

(١) معارج التفكير، الميداني، انظر مثلاً: ٤١/١، ٣٩٧/٢-٣٩٨، ١٧٢/٣.

متابعة الموضوع الذي دارت حوله سورة "المرسلات" التي نزلت قبل سورة "ق" مباشرة.^(١)
وأنَّ موضوع سورة "فاطر" هو موضوع سورة "الفرقان"، حيث ظهر له أنَّها تتابع بيانات تتعلَّق بفروع شجرة
موضوع سورة "الفرقان" التي نزلت قبل سورة فاطر مباشرة.^(٢)
وأخيراً: يمكن أن نعدَّ تفسير "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر" من التَّفاسير التي جمعت بين النَّظرة الموضوعيَّة
للسُّور القرآنيَّة والتَّدبُّر التحليلي لها.

(١) انظر: معارج التَّفكُّر، الميداني، ١١/٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٣/٧-١٤، وانظر أيضاً إشارته إلى التَّرابط الموضوعي عند حديثه عن موضوع: سورة "القيامة" ٤٦١/٢،
و"البلد" ١٧٢/٣، و"القصص" ٣٣٦/٩، و"الشُّورى" ٥٦٢/١٢.

المبحث الثاني: الرّبط بين الآيات وخواتيمها:

يدعو الميدانيّ المتدبّر إلى النّظر في خواتيم الآيات، وإدراك التّناسب المعنويّ بينها وبين مضمون الآيات، وذلك في القاعدة السّابعة عشرة من قواعد التّدبّر الأمثل: "حول الرّبط بين الآيات وخواتيمها"، وستتمّ دراستها وفق المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: القاعدة وبيانها عند الميدانيّ

المطلب الثّاني: المناقشة

المطلب الثّالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر"

عنوان القاعدة: "حول الرِّبط بين الآيات وخواتيمها"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

"إنَّ خَوَاتِمَ الآيَاتِ قد تلقي الضَّوء على المراد مما جاء فيها، وعلى المتدبِّر للآية القرآنيَّة أن يبحث عن التَّناسب والتَّرابط بين مضمون الآية، وما جاء في آخرها من قضايا كليَّة، إن كان في آخرها شيءٌ من ذلك."^(٢)

ثانياً: بيان القاعدة:

- اكتفى الميداني في بيانه لهذه القاعدة بتقديمه أربعة أمثلة توضيحيَّة، وسنعرض منها هنا مثالين فقط هما:
المثال الأول:

خُتِمَتْ كُلُّ مِنَ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف/٢٠٠]
﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت/٣٦] بذكر أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، والتَّأكيد بأنَّه هو وحده السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ممَّا يدلُّ على أَنَّ المراد من الاستعاذة ليس مجرد الاستعاذة باللسان، فهي لا تدفع عن الإنسان نزغ الشَّيطان، وإِنَّمَا الذي ينفع هو الاستعاذة اللِّسانيَّة المقرونة بصدق الاستعاذة القلبيَّة، وعلى هذا يُفهم النَّصُّ على الوجه التالي: "فاستعذ بالله بلسانك وبقلبك، فالله هو السَّمِيع لما تذكر بلسانك، والعليم بما في قلبك ونفسك وتصوُّراتك وإرادتك. أي فهو عندئذٍ يستجيب لك فيصرف عنك وساوس الشَّيطان ونزغاته."^(٣) ثمَّ أشار إلى أَنَّ الرَّازي (ت ٦٠٦ هـ) قد تنبَّه إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية^(٤). فبيَّن الميدانيُّ بذلك التَّناسب والتَّرابط بين مضمون الآية وما جاء في آخرها.

المثال الرَّابع:

في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٤٢٩.

(٣) المرجع السابق، ٤٣٠.

(٤) إذ يقول: "قوله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يدلُّ على أن الاستعاذة باللسان لا تفيد إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنَّه تعالى قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك، فإنِّي سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك، فإنِّي عليم بما في ضميرك، وفي الحقيقة القول اللِّساني بدون المعارف القلبيَّة عديم الفائدة والأثر." مفاتيح الغيب، الرَّازي، ٨٠/١٥.

يُلحظ الترابط المعنوي الوثيق بين خاتمة الآية ومضمونها، إذ يقول: "أي: وما تنفقوا من شيءٍ فإنَّ الله يثيبكم عليه ثواباً حسناً، لأنَّ الله به عليم." (١)

- وختم أمثله بالإشارة إلى أنَّ هذه الظاهرة شائعة في القرآن الكريم، ودعا إلى الانتباه لوجودها، والاستفادة منها لفهم المراد من الآية. (٢)

المطلب الثاني: مناقشة القاعدة:

تضمَّنت القاعدة عند الميداني نوعاً من التّعقيبات في القرآن الكريم، وهو التّعقيب على الآيات (٣)، وقد يكون هذا التّعقيب لزيادة البيان بتعليل المعنى أو الحكم الذي تضمَّنته الآية، أو بتأكيد، أو تقريره، وقد يكون تنبيهاً أو تذكيراً، أو وعداً أو وعيداً، وقد تأتي هذه المعاني مجتمعة في تعقيب واحد. (٤)

- وتأتي أهميَّة تلك التّعقيبات التي ترد في خواتم الآيات من كونها تمثِّل سمةً بارزةً من سمات الأسلوب القرآني، ووجهاً فائقاً من أوجه بلاغته؛ "وذلك لأَنَّها تجمع بين وظائف معنويَّة، لكونها تريد معاني الآيات بياناً وإيضاحاً، ووظائف جماليَّة، لكونها تمهِّد للتَّناسب الإيقاعي في رؤوس الآيات وفي فواصلها." (٥)

كما ويتأكَّد فيها إيقاع المناسبة، يقول الزركشي (ت ٧٩٤هـ): "اعلم أنَّ من المواضع التي يتأكَّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بُدَّ أن تكون مناسبةً للمعنى المذكور أولاً وإلاَّ خرج بعض الكلام عن بعض." (٦)

- وقد أولى علماء البيان والبديع القرآنيَّ عنايةً خاصَّةً لدراسة الترابط بين مضمون الآيات وخواتيمها،

(١) قواعد التدبُّر الأمثل، الميداني، ٤٣٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٣٣.

(٣) ويعرَّف بآئه: "الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختام الآية القرآنيَّة متضمناً معنى مناسباً لمعناها." التناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد، ٩٧، ومثاله في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٩)، خُتِمت الآية بقوله: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وهذا تعقيب مناسب لمعنى الآية؛ لأنَّه كما يقول صاحب تفسير البحر المحيط: "تقدَّم ذكر خلق الأرض والسَّماء، والتَّصرُّف في العالم العلوي والسفلي وغير ذلك من الإماتة والإحياء، وكلَّ ذلك يدلُّ على صدور هذه الأشياء عن العلم الكامل التَّام المحيط بجميع الأشياء." البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٨٣/١.

(٤) انظر، التَّناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد، ٩٧.

(٥) المرجع السابق، ٩١.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٧٨/١.

فكثرت مصطلحاتهم للتعبير عن التناسب المعنوي في خواتم الآيات.^(١)

ومن تلك المصطلحات "التذليل" وهو: "أن يؤتى بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه."^(٢)

وينقسم إلى قسمين: **القسم الأول**: ما يجري مجرى المثل، وهو ما استقل معناه واستغنى عما قبله، مثاله قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) [الإسراء]

فجملة: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تتضمن معنى الجملة التي جاءت قبلها، وعبارتها مما يجري مجرى المثل، وهي تؤكّد منطوق الجملة التي جاءت قبلها.

القسم الثاني: ما لا يجري من التذليل مجرى المثل، وهو ما لا يستقل معناه عما قبله، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) [الأنبياء]

فجملة: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ تذييل يؤكّد منطوق الجملة التي قبلها، وهي ممّا لا يجري مجرى المثل.^(٣)
- ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّ جذور الاهتمام بالتناسب بين مضمون الآيات وخواتيمها قد ظهر منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك: ما روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: أُملى عليّ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ [المؤمنون]، فقال معاذ بن جبل: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) [المؤمنون]، فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: "بها خُتِمت".^(٤)

(١) مثل مصطلح: الإرساد (التسهيل): وهو "أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدلّ على العجز إذا عرف الروي." كقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت/٤٠]. والإرساد في هذه الآية قوله تعالى: (لِيُظْلِمَهُمْ)؛ لأنّه يدلّ على أنّ مادة العجز من مادة الظلم، ويعين كون المادة من الظلم محتومة بنون بعد واو معرفة الروي في الآية قبلها وهو النون. **الإيضاح في علوم البلاغة**، القزويني، ٣٢٦، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، ١/٤١٠
ومصطلح: تشابه الأطراف: وهو "أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى. كقوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام]، فإنّ اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبرة تناسب من يدرك شيئاً، فإنّ من يدرك شيئاً يكون خبيراً به." **الإيضاح في علوم البلاغة**، القزويني، ٣٢٤-٣٢٥. ومصطلحات: التمكن، والتوشيح، والإيغال، وغيرها. انظر صفحة (٢٤٩-٢٥٠).

(٢) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، ٢/٢٥٩.

(٣) **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، الميداني، ٢/٨٦.

(٤) **المعجم الأوسط**، الطبراني، تحقيق: طارق محمد وغيره، (القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ)، رقم الحديث ٤٦٥٧، ٥/٥٦.

- وجعل صاحب كتاب "القواعد الحسان لتفسير القرآن" القاعدة التاسعة عشرة (ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلّق بذلك الاسم الكريم) فيما يتعلّق بذلك، إذ يقول: "وهذه قاعدة لطيفة نافعة عليك بتتبّعها في جميع الآيات المختومة بها تجدها في غاية المناسبة، وتدلّك على أن الشّرع والأمر والخلق كلّهُ صادر عن أسمائه وصفاته ومرتبطة بها، وهذا بابٌ عظيمٌ من معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجلّ المعارف وأشرف العلوم تجد آية الرّحمة مختومة بأسماء الرّحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزّة والقدرة والحكمة والقهر."^(١) وبما أنّ معظم خواتم الآيات كان بأسماء الله الحسنى، فقد اهتمّ عدد من الباحثين المعاصرين لبيان التّناسب المعنويّ بين الآيات وخواتيمها.^(٢)

- ويُلحظ في نصّ قاعدة الميدانيّ (إنّ خواتم الآيات قد تلقي الضّوء على المراد مما جاء فيها...)، أنّه استعمل لفظ (قد) في التّعبير عنها، وقد تفيد التّقليل في هذه القاعدة^(٣)، وهذا يتنافى مع كليّة القاعدة.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التّفكير ودقائق التّدبّر":

- تجلّى دور هذه القاعدة في تفسير الميدانيّ بإبراز التّناسب المعنويّ بين مضمون الآيات، وما جاء في آخرها من قضايا كليّة، إن كان في آخرها شيء من ذلك، في مواضع كثيرة من تفسيره. والأمثلة الآتية توضّح ذلك: ١- في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) [فاطر] ذكر الميدانيّ أنّ الله عَجَّلَ ختم الآية بجملة: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)؛ لربط ظواهر الخلق الرّبانيّ في الوجود بهذه القاعدة العامّة من قواعد أصول الإيمان بالله عَجَّلَ، ومن تلك الظواهر أنّه يزيد في الخلق ما يشاء، وما سبق أن خلقه الله عَجَّلَ دليلٌ على أنّه قادر على أن يخلق مستقبلاً ما يشاء، إنّهُ على كلّ شيءٍ قدير.^(١) فناسب ختم الآية لما جاء

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن السّعدي، (الرياض، مكتبة الرّشد، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ٥٣.

(٢) من هذه الدّراسات: - "ختم الآيات القرآنيّة بأسماء الله الحسنى بين إعجاز المعنى وروعة البيان"، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلاميّة، إعداد الطالب: فاروق برحال، إشراف الدكتور عزّ الدين معيش، جامعة الجزائر، كليّة العلوم الإسلاميّة، قسم العقائد والأديان، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ. - "المناسبة بين الفواصل القرآنيّة وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي (التّور) و(فاطر)"، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، إعداد الطّالبة: آمنة جمال إسماعيل كحيل، إشراف الدكتور محمود هاشم عنبر، الجامعة الإسلاميّة: عزّة، كليّة أصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٣) قد: حرف مختصّ بالفعل المتصرّف الخبري المثبت المجزّء من ناصب وجازم، وحرف تنفيس ماضياً كان أو مضارعاً ولها معان منها: التّقليل، وهو ضربان تّقليل وقوع الفعل. نحو: قد يصدق الكذب. وتقليل متعلّقه نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [التّور/٦٤] أي: إنّ ما هم عليه هو أقلّ معلوماته سبحانه وتعالى. انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، ٢٣٠-٢٣١، الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١/٤٦٧-٤٦٨.

في مضمونها.

٢- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)﴾ [لقمان] خُتِمَت الآية باسمين من أسماء الله الحسنى (العَزِيزُ، والحَكِيمُ)، فـ: "العزير: أي القويُّ الغالب الذي لا يُغلب، ولا يعجز عن تحقيق ما يشاء مهما كان عظيماً ودقيقاً، ويحتاج أعظم وأجلَّ إتيانٍ، فهو بعزَّته يخلق ما يريد. الحكيم: أي: الذي يضع كلَّ شيءٍ في الموضع الملائم بإتقان كامل، ويختار أفضل الأشياء وأتقنها وأحسنها في الأمور المختلفة لما يعطي أحسن الأعمال وأحسن النتائج، فهو بحكمته يقدِّر ويقضي على أكمل وجه وأحسنه وأتقنه." (١) فناسب ختم الآية الكريمة بهذين الاسمين من أسماء الله الحسنى، وهما - كما يقول الميداني - مناسبان لمضمون وعد الله ﷻ الذي وعده الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات. (٣)

٣- في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (٢)﴾ [الملك] يشير الميداني إلى مناسبة ختم الآية (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ) لمضمونها، فبعد أن بيَّن الله ﷻ الغاية من خلق الموت والحياة وهي امتحان العباد ثم مجازاتهم كلُّ حسب عمله، ختمَ بأنَّه هو سبحانه ذو القوَّة الغالبة، يجازي المسيئين بعزَّته، ويغفر لمن تقتضي حكمته أن يغفر له كلَّ ذنوبه أو بعضها. (٤)

(١) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٣١/٧، وبيِّن ابن عاشور المناسبة بقوله: "وجملة (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تعليل لجملة (يَزِيدُ فِي الْخُلُقِ مَا يَشَاءُ)، وفي هذا تعريض بتسفيه عقول الذين أنكروا الرسالة، وقالوا: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم/١٠]، فأجيبوا بقول الرسل ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم/١١]. "التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٥١/٢٢-٢٥٢.

(٢) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٦٩٨/١١.

(٣) المرجع السابق، ٦٩٨/١١.

(٤) المرجع السابق، ٦١٦/١٤، أما ابن عاشور فيعلل ختم الآية (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ) بأنَّ: "ذكر (العَزِيزُ) مناسب للجزاء المستفاد من قوله: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) كما تقدم آنفاً، أي: ليجزيكم جزاء العزير، فعلم أن المراد الجزاء على المخالفات، والتكول عن الطاعة، وهذا حظُّ المشركين الذين شملهم ضمير الخطاب في قوله (لِيَبْلُوَكُمْ). وأما (العَفُورُ) فهو الذي يكرم أوليائه ويصفح عن فلتاتهم، فهو مناسب للجزاء على الطاعات وكناية عنه، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢)﴾ [طه] فهو إشارة إلى حظِّ أهل الصَّلاح من المخاطبين. "التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥/٢٩-١٦ انظر أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)﴾ [البروج]، ٣٧٠/٢-٣٧٢ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمِنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣)﴾ [الأعراف]، ٥٩٣/٤-٥٩٤ وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)﴾ [الفرقان]، ٣٦٢/٦-٣٦٣ وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)﴾ [الأنعام]، ٣٤٧/١١-٣٤٨ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)﴾ [سبأ]، ٨٠/١٢ وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)﴾ [الأنبياء]، ٢٦٧/١٤.

المبحث الثالث: الفاصلة القرآنية:

تمثل الفاصلة القرآنية جانباً مشرقاً من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وقد نالت حظاً وافراً من العناية والاهتمام من قبل العلماء والباحثين، والميدانيُّ من هؤلاء المهتمين بدراساتها، فنراه يسلط الضوء عليها من خلال وضعه قاعدةً حول الفاصلة القرآنية من قواعد التدبر الأمثل عنوانها: "حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي"، وستتمُّ دراستها وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميدانيِّ

المطلب الثاني: المناقشة

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر"

عنوان القاعدة: "حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي"^(١)

المطلب الأول: القاعدة وبيانها عند الميداني:

أولاً: القاعدة:

إنَّ القرآن الكريم يرمى نظام فواصل الآيات^(٢)، ونسقها^(٣) اللفظي، حتَّى ولو كان ما بعد الفاصلة مرتبطاً بما قبلها ارتباطاً فكرياً شديداً^(٤)، فعلى متدبّر كتاب الله ﷻ أن لا يتأثّر بالفاصلة، فيقطع المعنى مع أنّه مرتبطٌ بالآية التي وراءها.^(٥)

ثانياً: بيان القاعدة:

- تكلم الميداني في هذه القاعدة عن عناية القرآن الكريم بنظام الفواصل، ونسقها اللفظي، إذ يقول: "بعض الأمثلة من ذلك نلاحظ أنّ رعاية المعنى كانت تقتضي وصل الجملة، أو بعض الكلمات من أوّل الآية اللاحقة، بآخر الآية السابقة، لكنّ رعاية النسق اللفظي ونظام توازن الآيات^(٦)، قد اقتضى إنهاء الآية عند الفاصلة المناسبة... وجاء أيضاً ترجيح عدم فصل الآية، ولو اكتمل معنى الجملة القرآنية، لأنّ تأثير الأداء اللفظي على السّمع يقتضي عدم الفصل."^(٧)

واستدلّ من خلال ذلك على أنّ الجمال في الكلام أمرٌ مقصودٌ، حيث روعي في وضع الفواصل القرآنية الدّوق العربي المرفه، الذي كان يومئذ تأسره الجمل المتفاصلة بموازن نثرية ذات إيقاع خاصّ، ويظهر هذا بوضوح في السّور المكّيّة، فلمّا تطوّر الدّوق العربيّ بالتّدريب على الآيات القصيرة شيئاً فشيئاً، واعتاد النّاس

(١) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٧. وترتيب هذه القاعدة في الكتاب: السابعة والعشرون.

(٢) سيأتي تعريف الفاصلة القرآنية بالتفصيل صفحة (٢٥٢-٢٥٣).

(٣) كلامٌ نسقٌ: أي "جاء على نظام واحد قد غطّف بعضه على بعض." معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٢٠/٥.

(٤) مثل: "الفصل بين العامل والمعمول، والعمل والغاية منه، والموصوف والصفة." قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٧.

(٥) انظر: قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٧-٥٥٨.

(٦) توازن الآيات وتناسب مقاديرها الزمنية واللفظية هو عنصر من العناصر الجمالية في النظم القرآني، وسمة من سمات الإيقاع الصوتي في آيات القرآن كلّها، ويشمل التّوازن في نظم القرآن ما يكون بين فقرات الآية الطويلة، وبين الآيتين أو أكثر في عدد الكلمات، أو وزنها صيغة ونعماً، وفي عدد المقاطع الممدودة والمقصورة، وتناظر الكلمات في مكانها التي جاءت فيه. انظر: إعجاز القرآن الكريم، محمّد صادق درويش، (دمشق، دار الإصلاح، ٢٠٠٩م)، ٥٩٢.

(٧) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٧.

تلاوة القرآن، ظهرت الآيات المتوسطة الطول في سورة (الأعراف) ثم في سورة (فاطر)، ثم في سورة (القصص) و(النمل) و(الشعراء) إلى غيرها من السور المكيّة، ثم ظهرت الآيات الطوال في السور المدنيّة.^(١) أي يريد الميداني أن يقول لنا: إنَّ للفواصل القرآنيّة قيمةً لفظيّةً وجماليّةً مقصودة في السورة، تظهر من خلال تناسقها في نظم الآيات.

- وقد أحال القارئ إلى كتاب "الإتقان في علوم القرآن" حيث لخص السيوطي (ت ٩١١هـ) في النوع التاسع والخمسين (فواصل الآي)^(٢)، ما ذكره ابن الصائغ الحنفي (ت ٧٧٦هـ)^(٣)، في كتابه "إحكام الراي في أحكام الآي"^(٤)، إذ تتبّع الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة فعرّ على أكثر من أربعين حكماً^(٥)، وما ذكره ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤هـ)^(٦) حولها.^(٧)

(١) انظر: قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٧-٥٥٨.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٢١/٢.

(٣) هو محمّد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردى، الشّيخ شمس الدّين ابن الصّائغ النّحوي الحنفي، ولد قبل عام ٧١٠هـ، برع في اللّغة والنحو والفقه، وتوفّي رحمه الله سنة ٧٧٦هـ، انظر: الدّرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ٢٤٨/٥-٢٤٩، بغية الوعاة، السيوطي، ١٥٥/١-١٥٦.

(٤) انظر: كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ١٨/١.

(٥) نذكر هنا باختصار بعض الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة: - تقدّم ما هو متأخر في الزّمان، نحو: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [التّجيم/٢٥]، ولولا مراعاة الفاصلة لقدّمت (الأولى) على (الآخِرَةُ) كقوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص/٧٠] - تقدّم الصّفة الجملة على الصّفة المفرد، نحو: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء/١٣]، إذ قدّمت الصّفة الجملة (يَلْقَاهُ) على الصّفة المفرد (مَنْشُورًا) مراعاةً للفاصلة.

- حذف ياء الإضافة، نحو: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرَ (١٦)﴾ [القمر/١٦]، إذ حذفت الياء من آخر كلمة (نُذْرٍ) والأصل عدم حذفها - الاستغناء بالإفراد عن التثنية، نحو: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه/١١٧]، إذ الأصل (فتشقيان).

- إثبات هاء السّكت، نحو: ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٢٩)﴾ [الحاقة]، وذلك في كلمة (سُلْطَانِيَّة) والأصل (سُلْطَانِي).

- العدول عن صيغة المضى إلى صيغة الاستقبال، نحو: ﴿فَقَرِيفًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيفًا نَقُتْلُونَ﴾ [البقرة/٨٧]، والأصل (قتلتم).

انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٢٧/٢-٣٣١.

(٦) هو عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، مولده في عام خمس وقيل سنة تسع وثمانين وخمسائة بمصر، صاحب التّصانيف المفيدة في الأدب وغيره، توفّي سنة ٦٥٤هـ، من مؤلفاته: "بديع القرآن"، و"تحرير التّحبير".

انظر: التّجوم الزّاهرة، ابن تغري بردي، ٣٧/٧، الأعلام، الزّركلي، ٣٠/٤-٣١.

(٧) قال ابن أبي الإصبع في كتابه "تحرير التّحبير": لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء: التّمكن والتّصدير والتّوشيح والإيغال.

التّمكن: أن تمهّد الآية بمعنى يناسب الفاصلة حتى تغدو الفاصلة مكيّة في مكانها راسخة في قرارها مطمئنّة في موقعها من غير قلق ولا نشوز، يتعلّق معناها بمعنى الآية تعلّقاً تامّاً. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ =

- وأخى هذه القاعدة بتقديمه أحد عشر مثلاً^(١) من سور مكيّة مختلفة، تضمّن بعضها توجيهاً لتالي القرآن بأن يستمرّ في تلاوته، ولا يقف عند الفاصلة، حتّى يتمّ له المعنى كاملاً، وإن كان يجوز له أن يقف عند الفواصل وقفة مرتّبٍ متابعٍ لا وقفة ختام^(٢).

- ونعرض من تلك الأمثلة مثالين، وهما:

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) ﴿[المدثر].

قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ موصولٌ بما بعده، وهو ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ اتصال العامل (يَتَسَاءَلُونَ) بمعموله (عَنِ الْمُجْرِمِينَ)، ولكن لم رُسمت الفاصلة (يَتَسَاءَلُونَ) في مكانها هذا في الآية ولها تعلّق بما بعدها؟

= الله يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَفْلا تَسْمَعُونَ (٧١) ﴿[القصص]، فإنّه لما ذكر أنّه جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة، فكان ذلك توطئة لورود الفاصلة (أَفْلا تَسْمَعُونَ). إذ اقتضت البلاغة المناسبة ما بين السّماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار.

التوشيح: أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة، ويشعر بها إشعاراً معنوياً لطيفاً حتّى تُعرّف منه قبل قراءتها، كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) ﴿[يس]، فإنّ قارئ السّورة أو سامعها إذا كان فطناً يدرك أنّ فاصلتها ستكون (مُظْلِمُونَ) فانسلاخ النهار من الليل المذكور قبلها يحدث منه ظلام، ولاسيّما أن فواصل السّورة بالواو والنون تمهد لذلك.

الإيغال: هو أن تأتي الفاصلة بمعنى زائد على المعنى التام في الآية دون تمهيد لها فتعطي الفاصلة الآية قوة وإحكاماً. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [التمل/٨٠] ، فإنّ المعنى قد تمّ عند قوله: (وَلَوْ) غير أنّه بقي محتملاً لأن يكون المتولي أدار جانباً منه، - فهو يسمع بعض السّماع، فجاءت الفاصلة (مُذْبِرِينَ) فزادت على معنى الآية، وأوغلت في التعبير عن توليهم، وبالغت في تصوير إعراضهم، فإنّ الإدبار إعراض كلّ من جميع الجهات عن صاحب الخطاب، بينما التوليّ ليس كذلك دائماً.

التصدير: هو أن تتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في صدر الآية فتشير الآية إلى فاصلتها إشارة لفظية جليّة. كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨) ﴿[آل عمران]، فقد جاء في صدر الآية كلمة (هب) فأشعرت بأنّ الفاصلة ستكون (الْوَهَّابُ). انظر: تحرير التحرير، ابن أبي الإصبع، ٢٢٤-٢٣٤ ، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٧٨/١-٨٤.

(١) انظر: قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ٥٥٨-٥٦٥.

(٢) إذا كان ما بعد رأس الآية متعلّقاً بها تعلّقاً لفظياً، فهل الأولى الوقف على رأس الآية، أو الوصل لتتبّع المعنى؟

هذا محل إشكال في مبحث الوقف على رؤوس الآي؛ فبعضهم اختار الوقف عليها اتّباعاً للسّنة والأثر، وبعضهم طلب التمام فوصل متعبّراً حديث أم سلمة ؓ "إنّ النبي ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثمّ يقف ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثمّ يقف، قال ابن مليكة: وكانت أم سلمة تقرأها ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ "المستدرك على الصّحّاحين، الحاكم النيسابوري، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ٣/٣٥٣ ، بأن ليس فيه ما يدلّ على أنّ رسول الله ﷺ كان يقف على رؤوس الآي التي يشتدّ تعلّقها بما بعدها، أو أنّ وقف رسول الله ﷺ قد يكون لبيان عدّ الآي لا لإثبات سنّة الوقف، وغير ذلك من علل لهذا القول. وفي كلام الميداني ما يدلّ على ميله إلى هذا المذهب.

انظر، وقوف القرآن وأثرها في التفسير، مساعد الطيّار، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ١٤٣١هـ)، ٤٠-٤٨.

يجب الميداني عن ذلك بقوله: "رعاية النَّسق اللفظي الجميل الذي يقتضيه جمال التَّرتيل، قد اقتضت رسم هذه الفاصلة، فتمَّ ذلك، مع التَّوجيه لتالي القرآن أن يستمرَّ في تلاوته، حتَّى يتمَّ له المعنى، ولو وقف عند الفاصلة وقفة مرَّتلٍ متابع." (١)

المثال الحادي عشر:

في سورة "طه" من قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠) يُلاحظ تأخير (مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام) وتقديم (هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَام) (وهذا من تأخير ما حَقَّه التَّقديم)؛ وذلك رعاية لفواصل الآيات السَّابقة لها، إذ جاء فيها الكلمات المنتهية بحرف الألف (٢)، أمَّا في سورة "الشُّعراء"، في عرض القصَّة نفسها فجاءت الكلمات منتهية بحرف النون، من قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)، إذ يُلاحظ هنا تقديم (مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام) وتأخير (هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَام) المنتهي بحرف النون. (٣)

وختم الميداني كلامه في هذا المثال بالإشارة إلى فنيَّة الأداء من جهة لفظ فواصل الآيات في سورة الشُّعراء، إذ يقول: "ويلاحظ أنَّ آيات سورة الشُّعراء البالغة (٢٢٧) آية تنتهي بحرف النون، إلَّا (٢٩) آية منها فهي تنتهي بحرف الميم لتقارب مخرج الميم من مخرج النون (٤)، وتقارب نغمة الصَّوت عند النطق بهما، وإلَّا

(١) قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥٥٩.

(٢) الآيات: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (٦١) فَتَنَّا زُكْرًا وَأَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَآسْرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّا نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) ﴿ [طه]

(٣) انظر: قواعد التَّدبُّر الأمثل، الميداني، ٥٦٤، ويرى ابن عاشور أنَّ تقديم هارون على موسى هنا لا دلالة فيه على تفضيل ولا غيره؛ لأنَّ الواو العاطفة لا تفيد أكثر من مطلق الجمع في الحكم المعطوف فيه، وإنَّ "وجه تقديم هارون هنا الرِّعاية على الفاصلة، فالتقديم وقع في الحكاية لا في المحكي، إذ وقع في الآية الأخرى ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) ﴿ [الشُّعراء]، ويجوز أن يكون تقديم هارون في هذه الآية من حكاية قول السَّحرة، فيكون صدر منهم قولان، قدِّموا في أحدهما اسم هارون اعتباراً بكبر سنِّه، وقدِّموا اسم موسى في القول الآخر اعتباراً بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى، فاختلفت العبارتين باختلاف الاعتبارين. "التَّحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦٢/١٦.

(٤) تخرج الميم من بين الشَّفتين، مع انطباقهما، أمَّا النون فتخرج من طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلاً مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا. انظر: أحكام قراءه القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، ط ٤، (مكة، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٩م)، ٦٨، ٦٩.

(٤) آيات منها فهي تنتهي بحرف اللام من كلمة: (إسرائيل)، واللام تقارب في المخرج^(١) والصوت الثون والميم.^(٢)

المطلب الثاني: المناقشة:

قبل البدء بمناقشة القاعدة من الضروري أولاً تعريف الفاصلة القرآنية لغةً واصطلاحاً.

- الفاصلة لغةً: من الفصل، وهو الحاجز بين الشيئين.^(٣)

أما اصطلاحاً: فقد تنوّعت تعريفات العلماء للفاصلة القرآنية، فمن تعريفات المتقدمين:

تعريف الرّماني (ت ٣٨٦هـ)^(٤): "الفواصل: حروف متشابهة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني."^(٥)

وقريباً منه تعريف الباقلاني (ت ٤٠٣هـ): "الفواصل: حروف متشابهة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني."^(٦)

حيث يبرز كلاً من هذين التعريفين علاقة الفاصلة بالمعنى، ودورها في خدمته.

وتعريف الزركشي (ت ٧٩٤هـ): "الفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشعر"^(٧) وقرينة السجع^(٨).^(٩)

(١) تخرج اللام من أدنى إحدى حافتي اللسان إلى منتهى طرفه مع ما يحاذيها من لثة (لحمة) الأسنان العليا. انظر: المرجع السابق، ٦٤.

(٢) قواعد التدبر الأمثل، الميداني، ٥٦٥.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (فصل) ٥٢١/١١، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ٦٩١/٢.

(٤) هو علي بن عيسى، أبو الحسن، النحوي المتكلم، ولد ببغداد عام ٢٧٦هـ، وتوفي رحمه الله فيها سنة ٣٨٤هـ، ومن مصنفاته "النكت

في إعجاز القرآن" و "التفسير" الذي لم يذكر حاجي خليفة عنه شيئاً سوى أنّ مختصره: عبد الملك بن علي المؤذن الهروي، المتوفي: سنة

٤٨٩هـ. انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، ٤٤٧/١، انظر: وفيات الأعيان، ٢٩٩/٣، بغية الوعاة، السيوطي، ٢٨١-٢٨٠/٢

(٥) هذه الحروف إمّا متجانسة، كقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)﴾ [الطور]،

حيث انتهى كلّ رأس آية بنفس الحروف (الواو والراء)، أو متقاربة (كالتون والميم اللذين يتقاربان في المخرج ونعمة الصوت عند النطق

بهما) في أواخر كلمات: (الْعَالَمِينَ، الرَّحِيمِ، الدِّينِ، نَسْتَعِينُ) من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَا لِكَ يَوْمَ

الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ [الفاتحة]، انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الرّماني الخطّابي عبد القاهر

الجرجاني، ٩٧-٩٨.

(٦) إعجاز القرآن الكريم، الباقلاني، ٣٧٠.

(٧) قافية الشعر: "هي الكلمة الأخيرة من البيت." كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، حاجي خليفة، ١٢٩٧.

(٨) السجع: "هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنشور على حرف واحد." المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ١٩٥/١.

مثال ذلك: ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت. فالسجع يقع بين كلمتي (فات) و(آت) وقد اتفقتا بالحرف الأخير عند الفاصلة وهو

(التاء). أما قرينة السجع: "هي كلّ كلمة تُختَم بها السجعة، نحو (بقاءك، عزّك، عليك، إليك) في قولهم: (أطال الله بقاءك، وأدام عزّك،

وأتم نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك." إعجاز القرآن الكريم، محمد صادق درويش، ٦١٠.

(٩) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٥٣/١.

أي إنَّ الفواصل القرآنيَّة هنَّ رؤوس الآي.

واشتهر التَّفريق بينهما عند الدَّانيّ (ت ٤٤٤هـ)^(١) فقال: "فأمَّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل عمَّا بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يَكُنْ رؤوس أيٍّ وغيرها، وكلُّ رأس آية فاصلة، وليس كلُّ فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمُّ النَّوعين وتجمع الضَّربين." (٢) فالفاصلة - كما يرى - إمَّا كلمة آخر الجملة، وليس كلمة آخر الآية فحسب، فتقع الفاصلة في وسط الآية وفي رأسها.

أمَّا الباحثون المعاصرون فمنهم من اختار تعريف الزَّركشيّ وأضاف إليه قوله: "والتَّفصيل هو توافق أو آخر الآي في حروف الرُّويِّ أو في الوزن ممَّا يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس." (٣)

ومنهم من أطلق الفاصلة القرآنيَّة على "آخر الآية، سواء أكان آخر الآية كلمة أو جملة." (٤)

أو على "الكلام المنفصل ممَّا بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي." (٥) فالفاصلة في هذا التعريف قد تكون في آخر عدَّة آيات.

أمَّا الميدانيّ فلم يعرّف الفاصلة القرآنيَّة، ويظهر من خلال أمثلته على القاعدة أنَّه يقصد بها الكلمة الأخيرة من الآية. (٦)

وتعود تسمية "الفواصل" في القرآن الكريم؛ لأنَّه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أنَّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، وأخذاً من قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت/٣]^(٧)، أو "لأنَّها تتَّمم المعنى وتزيده

(١) هو عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الدَّاني، الأموي مولاهم القرطبي المقرئ الحافظ المعروف في زمانه بابن الصَّيرفي، من الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، ومن مؤلفاته: "التيسير" في القراءات السَّبع، "طبقات القراء". انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، (السَّعوديَّة، مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ)، ١/٥٠٤، التَّجويد الزاهرة، ابن تغري بردي، ٥٤/٥.

(٢) البيان في عدَّ آي القرآن، الدَّاني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (الكويت، مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ١٢٦، ونقله الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٥٣.

(٣) الفاصلة في القرآن، الحسناوي، (عمان، دار عمان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ٢٩.

(٤) الفاصلة القرآنيَّة شكلاً وبلاغةً، عمَّار توفيق بدوي، إصدار مركز الدراسات الإسلاميَّة والمخطوطات والإفتاء، د.ب، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ٢٧، ومثله صاحب كتاب: المعجزة الخالدة، ضياء الدين عتر، ٢١٤، فمثلاً قوله تعالى في ختام الآية الأولى من سورة "الملك" ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، كَلَّه فاصلة قرآنيَّة.

(٥) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط ٨، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١٥٣.

(٦) كما أنَّه أطلق مصطلح "فاصلة" على بعض العبارات التي تكرَّرت في السور أكثر من مرَّة، ففي سورة "المرسلات" تكرَّرت عبارة (ويل يومئذ للمكذِّبين) وتكررها - كما يقول الميداني - قد جاء بمثابة فاصلة ذات إيقاع، فهي تعاد وتكرَّر في السورة بفنِّيَّة بديعة. انظر: البلاغة

العربيَّة، الميداني، ١/٥٢١، وأطلق في تفسيره على هذه العبارات مفاصل بيانيَّة. انظر: معارج التَّفكير، الميداني، ٢/٦٠٣.

(٧) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزَّركشي، ١/٥٤، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/٣٢٣.

وضوحاً وجلاءً، فتكون مشتقة من التفصيل الذي فيه بيان وتوضيح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُفْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤)﴾ [فصلت] ^(١)

وذهب جمهور العلماء إلى منع تسميتها (أسجاع)؛ "لأنَّ أصله من سجع الطير فشُرِفَ القرآن أن يُستعار لشيءٍ منه لفظُ أصله مهملٌ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأنَّ القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفةٍ لم يرد الإذن بها." ^(٢) ويُضاف إلى هذا أنه اشتهر استخدام الكهَّان للسَّجع لترويح أكاذيبهم وتزيينها للسامعين، وهو سجعٌ مكروهٌ ومذمومٌ فيه تكلفٌ واستكراه، فأثر العلماء إبعاد هذه التسمية عن القرآن تنزيهاً له. ^(٣)

واستعمل الميداني مصطلح (السَّجع) أحياناً ^(٤) على أنَّ سجع القرآن سجعٌ محمودٌ محبَّبٌ غير متكلفٍ تستسيغُه النَّفس.

وقد أشار العلماء والباحثون إلى القيمة اللَّفْظِيَّة والجماليَّة للفاصلة القرآنيَّة، وأهمَّيتها إذ تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام ^(٥) "ولتُحَقِّقَ للنَّصِّ جانباً جمالياً لا يخطئه الذَّوق السَّليم؛ لأنَّنا مهما يكن من شيءٍ نحسُّ أنَّها تضيفي على النَّصِّ قيمةً صوتيَّةً منتظمةً ينقسم سياق النَّصِّ بها إلى وحداتٍ أدائيَّةٍ تعدُّ معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع ... فينشأ من تضافرهما أثرٌ جماليٌّ." ^(٦)

ولها دورٌ في "إمتاع النَّفس البشريَّة بموسيقا من نوعٍ خاصٍّ تصغي لها الآذان ويقع وقعها في القلوب، فهي بقيمتها الإيقاعيَّة والموسيقيَّة تلعب دور المفتاح في اللَّحن الموسيقيِّ، ولا وجه للمشابهة هنا بين القرآن والألحان الموسيقيَّة، إلَّا لتقريب المثال." ^(٧)

(١) إعجاز القرآن الكريم، محمَّد صادق درويش، ٦١١-٦١٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٥٤/١، وانظر أيضاً: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٢٣/٢.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٢٤/٢.

(٤) انظر مثلاً: معارج التَّفكُّر، الميداني، ٦١٩/١، ٦٤٥/١، ومن العلماء الذين قبلوا بلفظ السَّجع للفاصلة القرآنيَّة أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ)، وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، وضياء الدِّين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ). انظر: السَّجع القرآني دراسة أسلوبيَّة، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير، إعداد الطَّالبة: هدى عطية عبد الغفار، إشراف: أ.د. محمَّد عبد المطلب، أ.د. عاطف جودة نصر، جامعة عين شمس، كليَّة الآداب، قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها، ٢٠٠١م، ٨٠.

(٥) البرهان في علوم القرآن، الزَّركشي، ٥٤/١.

(٦) البيان في روائع القرآن دراسة لغويَّة وأسلوبيَّة للنَّصِّ القرآني، تمام حسان، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ٢٧٩.

(٧) التَّسق القرآني دراسة أسلوبيَّة، محمَّد ديب الحاجي، ٨٦.

وبَيَّن العلماء قبل الميدانيّ منهج القرآن الكريم في الفواصل، ومنهم وليّ الدين الدهلويّ (ت ١١٧٦هـ)^(١)، إذ يقول: "إن كان اللفظ في آخر الآية صالحاً للقافية فيها، وإلاّ وصل بجملة فيها بيان آلاء الله، أو تنبيه للمخاطب، كما يقول: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ... وقد يطنب في مثل هذه المواضع، مثل: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان/٥٩]، ويستخدم التقديم والتأخير تارةً، والقلب والزيادة أخرى، مثل: ﴿إِلَ يَاسِينَ﴾ [الصافات/١٣٠] في إلياس، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين/٢] في سيناء."^(٢) إذاً لأجل مراعاة النسق اللفظي ونظام توازن الآيات، يُلحظ أنّ بعض الفواصل في القرآن الكريم فيها خروج عن المألوف وعدول عن الأصل، وهذا ما يؤكّده الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكّداً جداً، ومؤثّرٌ في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع."^(٣)

- وتشير الباحثة إلى أنّ للقرآن الكريم أغراضاً أخرى كثيرة غير منحصرة من وضع الفاصلة في مكانها، لاسيّما الفواصل غير التامة التي تتعلّق بما بعدها "كتوجيه النظر، والتشويق، وحسن تقسيم الكلام، والتفصيل بعد الإجمال ... وغير ذلك؛ ممّا هو حقيق بأن يُفرد ببحثٍ مستقلّ."^(٤)

وكلام الميدانيّ في هذه القاعدة عن الوظيفة اللفظيّة والجماليّة للفاصلة لا يدلّ على أنّه يلغي دورها في التّناسب المعنويّ فهي تشكّل جزءاً من معنى الآية، ولو طُرحت لاختلّ المعنى وفسد، لارتباطها بما قبلها ارتباطاً وثيقاً. حتّى إنّ طلب من المتدبّر الرّجوع إلى ما ذكره ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤هـ) حول ذلك والتّوسّع فيه، وسبق وأن أفرد قاعدة مسقّلة "القاعدة السابعة عشرة: حول الرّبط بين الآيات وخواتيمها" وطلب من المتدبّر أن يبحث عن التّناسب والتّرابط بين مضمون الآية، وما جاء في آخرها من قضايا كلّيّة، إن كان في آخرها شيء من ذلك."^(٥)

- ويُعلّل حرص الميدانيّ على توجيه تالي القرآن بأن يستمرّ في تلاوته، حتّى يتمّ له المعنى؛ بأنّ للوقف تعلّقاً

(١) هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقّب شاه ولي الله: فقيه حنفي من المحدثين، ولد عام ١١١٠هـ، وقيل في وفاته: سنة ١١٧٩ هـ من كتبه: "الفوز الكبير في أصول التفسير" ألفه بالفارسيّة، وترجم بعد وفاته إلى العربيّة والأرديّة ونشر بهما، و"فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير". انظر: الأعلام، الزركلي، ١/١٤٩.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الدين الدهلوي، (دمشق، دار الغوثاني، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ١١٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/٦٠.

(٤) وقف البيان في القرآن الكريم دراسة مصطلحيّة، محمود بن الجليل روزن، مجلة البحوث والدراسات القرآنيّة، العدد الثالث عشر، السّنة التاسعة، ٢٤٩.

(٥) انظر: قواعد التّدبّر الأمثل، الميداني، ٤٢٩.

بالتفسير، إذ إنَّ التفسير بيان مراد الله ﷻ من كلامه، والوقف فرع عن المعنى المفهوم في ذهن القارئ فإن تُرجم هذا الفهم إلى وقف صحيح كان المعنى حقيقاً بالوصول إلى المستمع على وجه صحيح مفهوم، لذا قيل من وقف فسّر.^(١)

- وقد وجد من خلال تتبع معظم الأمثلة التي ذكرها في كتابه "قواعد التدبر الأمثل" في تفسيره، أنَّ الميداني لم يعلل رسم الفاصلة التي يتعلّق معناها فيما بعدها في النصوص القرآنية رعايةً للنسق اللفظي الجميل في الأداء البياني، أو توجيه لتالي القرآن بمتابعة القراءة كما جاء في أمثله هنا.

المطلب الثالث: أثر القاعدة في تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبر":

يظهر الأثر الجمالي اللفظي الذي يتركه رعاية نظام فواصل الآيات، ونسقها اللفظي في كل القرآن الكريم، ونجد الميداني قد أشار - أحياناً - في مواطن من تفسيره إلى فنيّة مراعاة رؤوس الآيات في السورة، وعدول بعض الفواصل عن الأصل مراعاةً لذلك، ومثاله:

١- في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمَنْ قَوْمَ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَعْنَا لَهُمْ آسَافًا أُمًّا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)﴾ [الأعراف]

وضّح الميداني سبب تقديم لفظ (به) على لفظ (يَعْدِلُونَ)، وذلك مراعاةً لفنيّة التناسق في رؤوس الآيات، والأصل أن يتقدّم لفظ (يَعْدِلُونَ) على لفظ (به).^(٢)

٢- في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧)﴾ [الضحى]، قدّم نفي التوديع على نفي القلى مراعاةً لحكمتين - كما يقول الميداني - أحدهما: أنَّ فعل (قلى)

(١) انظر: وقف البيان في القرآن الكريم، محمود بن الجليل روزن، ١٧٢.

(٢) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٦٣٥/٤، وهذا ما قاله ابن عاشور في بيان سبب تقديم المجرور في قوله: ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾؛ وذلك للاهتمام به ولرعاية الفاصلة، إذ لا مقتضى لإرادة القصر، بقرينة قوله: ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ حيث لم يقدّم المجرور. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤٢/٩.

ملائم لرؤوس الآيات في السورة، دون فعل (ودّع)، إذ جاء فيها الكلمات المنتهية بحرف الألف: (الضُّحَى - سَجَى - قَلَى - الأولى - فترَضَى - فأوى - فهَدَى)^(١).

- ولم يقطع الميدانيُّ المعنى القرآنيَّ متأثراً بالفاصلة القرآنيّة إذا تعلق بالآية التي وراءها، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

- في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَعَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكِّي (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)﴾ [عبس]

يُلحظ في هذا النصّ القرآنيّ رسم الفاصلة القرآنيّة عند كلمة (يَسْعَى)، وهذه الفاصلة ترتبط بما بعدها ارتباطاً بالمعنى؛ لأنّ الواو للحال في قوله: (وَهُوَ يَخْشَى)، ونجد الميدانيّ لم يقطع المعنى التفسيريّ عند كلمة (يسعى).^(٢)

- في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩)﴾ [القيامة]

بين الآيتين (٣٧، ٣٨) تعلق بالمعنى (عطفَ طورِ العلقَةِ على طَوْرِ النُّطفَةِ بـ (ثم))، فما بعد الفاصلة (يُمْنَى)، مرتبطٌ بما قبلها، ونجد الميدانيّ أثناء تدبُّره لم يقطع هذا المعنى متأثراً بالفاصلة.^(٣)

(١) انظر: معارج التفكير، ٥٦٣/١، والحكمة الثانية: "أَنَّ انتشار شائعة: أَنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ ﷺ ودَّعه قد كان أكثر من انتشار شائعة: أَنَّهُ قلاه، فاستدعى هذا من البيان تقدّم نفي ما هو أوسع انتشاراً، على نفي المقولة الأخرى التي كان انتشارها قليلاً، والله أعلم." ٥٦٣/١

انظر أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيْالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشُّعْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ (٥)﴾ [الفجر]، ٥١٧/١.

قوله تعالى: ﴿وَسِيحْبَبُهَا الْأُنثَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾ [الليل]، ٥٠٤/١.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾ [التازعات]، ٦٤/١٥.

(٢) انظر: معارج التفكير، الميداني، ٢٢٣/٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٥١٨/٢، انظر أيضاً: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)﴾ [القلم]، ٢٠٨/١، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)﴾ [القلم]، ٢٥٦/١، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْصُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)﴾ [البروج]، ٣٧٢/٢، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَخَارٍ عَلِيمٍ (٣٧)﴾ [الشعراء]، ٦٠٠/٨، وقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢)﴾ [النبا]، ٢٧/١٥.

خلاصة الفصل الرابع:

بعد الانتهاء من دراسة قواعد التدبر الأمثل البلاغية المتعلقة بالتناسب القرآني، تبين لنا الأمور الآتية:

– المبحث الأول (وحدة موضوع السورة القرآنية)، والثاني (الرابط بين الآيات وخواتيمها):
دُرس في هذين المبحثين القاعدتين الأشدّ تعلّقاً بهذا الموضوع، وهما: القاعدة الثانية: "حول وحدة موضوع السورة القرآنية" والقاعدة السابعة عشرة: "حول الرابط بين الآيات وخواتيمها".

وقد رأينا كيف مهّد المتقدّمون إلى القاعدة الثانية، كما التفت إليها عددٌ من المعاصرين، ولكنّ الميدانيّ لم يشر إلى ذلك، ولا إلى العناية الخاصّة التي أولاها علماء البيان والبدیع القرآنيّ لدراسة الترابط بين مضمون الآيات وخواتيمها.

ووجد أنّ الميدانيّ قد التزم ببيان وحدة موضوع كلّ سورة في تفسيره باستثناء سورة "الكافرون"، حيث تدبّر كلّ سورةٍ في ظلّ الوحدة الموضوعيّة لها، وهذه سمّةٌ تفسيريّةٌ بارزةٌ في تفسيره الذي يمكن أن يعدّ تفسيراً تحليليّاً موضوعيّاً.

– وقد اجتهد في بيان التناسب المعنويّ بين مضمون الآيات وما جاء في آخرها من قضايا كليّة، إن كان في آخرها شيءٌ من ذلك، في مواضع كثيرةٍ أشرتُ إلى بعضها من تفسيره.

– المبحث الثالث (الفاصلة القرآنية):

اندرج تحت هذا المبحث: القاعدة السابعة والعشرون "حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي"، وقد سبق كثير من العلماء الميدانيّ إلى هذه القاعدة، فأشار إليهم أثناء بيانه لها، وبعد دراستها وتتبّع تطبيقه لها، وجد أنّ الميدانيّ قد أشار – أحياناً – في مواطنٍ من تفسيره إلى فنيّة مراعاة رؤوس الآيات في السورة، وعدول بعض الفواصل عن الأصل مراعاةً لذلك، ولم يقطع المعنى القرآنيّ متأثراً بالفاصلة القرآنية إذا تعلّق بالآية التي وراءها.

الخاتمة:

وتتضمّن النتائج والتوصيات:

أولاً: نتائج البحث

١- أظهر الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - رحمه الله - قدرةً علميةً كبيرةً في تأليفه لكتّابي "قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله وعجلك تأملاتٍ" و"معارض التفكير ودقائق التدبُّر"، قدرةً تعكس شخصيّة عالمٍ متمكّنٍ من جملة علومٍ متنوّعةٍ وظفها لخدمة كتاب الله وعجلك وفهم معانيه.

٢- لم يرتّب الشيخ الميدانيّ القواعد في الطّبعة الأولى ترتيباً منطقيّاً وفق أسسٍ معيّنة، وكان من المتوقّع منه وهو الذي كتب هذه القواعد بوصفها مقدّمةً منهجيّةً لتفسيره "معارض التفكير ودقائق التدبُّر" حسب ترتيب النّزول أن يراعي نظاماً معيّناً في ترتيبها، أو يستدرك ذلك مع قواعد الطّبعة الثّانية.

٣- لم يذكر الشيخ الميدانيّ أسماء المصادر والمراجع التي استقى منها قواعده غالباً، وقد أشار إلى أنّها قواعد جديدة الاستخراج، قد هدته إليها ممارسة تدبُّر كتاب الله وعجلك بعمقٍ وأناةٍ، وربّما قصد بذلك أنّه أوّل من ضمّها وأكسبها حلّةً قواعديّةً جديدةً في كتاب من كتب أصول التّفسير القرآنيّ. مع العلم أنّه قد أشار أيضاً في مقدّمة الطّبعة الأولى للكتاب أنّه قد يكون مسبوقاً إلى كتابتها، أو الإشارة إليها ممّا يدلّ على اطلاعه على جهود السّابّقين.

٤- تنوّع منهج الشيخ الميدانيّ في استخراج قواعد التدبُّر، ففي بعضها جمّع ما رآه صالحاً من ملاحظاتٍ لأنّ يُضمّ بعضها إلى بعض ليكون قاعدة ثمّ تابع جمع الأمثلة التي تؤيّد القاعدة المستخرجة. أمّا في بعضها الآخر فقد اعتمد على السّبر الشّامل لآيات القرآن الكريم. مع الإشارة إلى أنّه لم يتقيّد بما تميّز به قواعد العلوم الأخرى من الإيجاز في الصّيغة مع عموم المعنى وسعة الاستيعاب.

٥- ينتفع بقواعد التدبُّر الأمثل فئةٌ مخصوصةٌ من المتدبّرين، الذين يتّصفون بالأنّاة والصّبر، والتّمكّن من جملة معارف متنوّعة، عربيّة، وأدبيّة، وعلوم إسلاميّة، وأسسٍ وضوابطٍ عقليّةٍ منطقيّةٍ.

٦- قواعد التَّدْبُر المدروسة في هذا البحث معظمها قواعد تفسيرية، والشَّيخ الميدانيُّ هو أوَّل من اصطلح تسمية "قواعد التَّدْبُر"، ولعلَّ ذلك ليلفت النَّظر إلى أهميَّة التَّعمُّق في دلالات الكلم القرآنيِّ (العمق القرآنيِّ)، فهذا المعنى تضيفه الدَّلالة اللُّغويَّة لكلمة (التَّدْبُر)، وكذلك التَّأكيد على تحصيل غرض التَّذكُّر والعظة والعمل بموجب العلم، أي الأثر الدِّينيِّ لهذه القواعد.

٧- جميع القواعد المدروسة في هذا البحث هي قواعد تصلح للتَّطبيق على السُّور المكيَّة والمدنيَّة على حدِّ سواء، باستثناء القاعدة الثَّالثة والعشرين: "حول الاستغناء في الأداء البيانيِّ بتعبيراتٍ مختلفاتٍ موزَّعاتٍ على الأشباه والنِّظائر للدَّلالة على التَّكامل البيانيِّ فيما بينها وطرد استعمالها في سائرهما" التي لا يتعدَّى تطبيقها سوى مرَّة واحدة فقط في سورة الحجرات، لذا لا يمكن أن نعدّها قاعدةً لعدم اطِّرادها. مع الإشارة أيضاً إلى أنَّ الباحثة لم تجد تطبيقاتٍ للمقولة الثَّانية من القاعدة السَّادسة والعشرين: "حول لزوم البحث عن سرِّ مخالفة الإعراب لمقتضى الظَّاهر". في السُّور المكيَّة.

٨- سار الشَّيخ الميدانيُّ على ما مشى عليه المفسِّرون قبله بشكلٍ عامٍّ، ولكن كان له بعض الدَّقائِق والتَّفُرُّدات عن غيره من العلماء، مثل: رأيه في الحكمة من إيراد القَسَم المنفيِّ في القرآن، والأثر البلاغيِّ للاستثناء المنقطع.

٩- استدلَّ الشَّيخ الميدانيُّ على بعض قواعد التَّدْبُر البلاغيَّة بالشواهد القرآنيَّة، والاستقراء، واللُّغة غالباً، كما تنوَّعت أدواته في تطبيق القاعدة، ومنها: السِّبَر القرآني الشَّامل، وقرينة السِّياق، واللُّغة، الحسن الجماليِّ المرهف، والنَّظر والتَّفكُّر العميق، وغير ذلك.

١٠- بدا التَّداخل والتَّكامل واضحين في معظم القواعد المتعلِّقة بالبلاغة القرآنيَّة.

١١- وُقِّف الشَّيخ الميدانيُّ إلى حدٍّ معيَّن في الوفاء بما ألزم به نفسه من تطبيقٍ لقواعد التَّدْبُر المدروسة في هذا البحث، وظهر أثر تطبيقه لها في تفسيره "معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدْبُر" على نحوٍ متفاوتٍ، لاسيَّما الأثر المعنويِّ والبلاغيِّ، الجماليِّ، مع ملاحظة غياب الأثر التَّرجيحيِّ لهذه القواعد.

مع الإشارة إلى أنَّه لم يحالفه الصَّواب بإدراج الكناية والوجوه والنِّظائر تحت موضوع استعمال الكلام في أكثر من معنىٍّ معاً، فلم يظهر الأثر التَّطبيقي لكلامه هذا في تفسيره، وكذلك في قاعدة "حول ما يُسمَّى بالاستثناء المنقطع" من قواعده حيث حاول لفت الانتباه إلى إمكانيَّة تبادل فهم المتدبِّر لبعض

الاستثناءات التي ظاهرها الانقطاع، على أنَّها في مضمونها الفكري من قسم الاستثناء المتصل وتتضمن غرضاً بلاغياً مقصوداً، لكن لم نر أثر هذا الكلام وتطبيقه في تفسيره، فبقي كلامه في هذه القاعدة نظرياً لا يمكن تطبيقه في التفسير.

وفي ضوء ذلك يمكن تعديل نص القاعدة على النحو الآتي:

"على متدبر كلام الله ﷻ أن يتفكر في كل نص قرآني يشتمل على استثناء يترأى له من ظاهره أنه استثناء منقطع، إذ إن أداة الاستثناء هي أداة استدراك، مثل كلمة (لَكِنْ) والغرض هو الإضراب الانتقالي، لإثبات قضية جديدة صلتها بما قبلها صلة المغايرة في الحكم فقط، والحركة الإعرابية ضبط لفظي لمثل هذا الاستدراك الوارد بلفظ (إِلَّا) سواءً نصبنا على لغة الحجازيين، أم رفعنا على لغة بني تميم."

وكذلك في المقولة الثانية من القاعدة "حول لزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر"، إذ لم يظهر أيضاً الأثر التطبيقي لها في تفسيره.

ولم يلتزم بتطبيق القاعدة: "حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرده استعمالها في سائرهما"، لذلك لم يظهر الأثر التطبيقي لها في تفسيره "معارج التفكير ودقائق التدبر".

١٢- أظهر هذا البحث الاهتمام الكبير للشيخ الميداني بالبلاغة القرآنية، وحثه للمتدبر على التدقيق البلاغي للقرآن الكريم من جهة، وإيمانه أنَّ البلاغة وسيلة لفهم معاني القرآن الكريم ودلالاته، والكشف عن الإعجاز البلاغي فيه من جهة أخرى.

ثانياً: التوصيات

- الاهتمام بتصنيف قواعد التفسير عند المفسرين؛ ليسهل على المتدبر لكتاب الله ﷻ معرفة كيفية توظيفها أثناء تدبره.

- وضع أسس ومعلم واضحة لما سماه الشيخ الميداني بـ: "علم التدبر".

- زيادة الاهتمام بدراسة جهود الشيخ الميداني النظرية والتطبيقية في مجال التفسير الموضوعي.

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

فهارس البحث

وفيها:

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس المصطلحات البلاغيّ

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المواضيع

فهرس الآيات

رقم الصفحة	السورة	طرف الآية
سورة "الفاتحة"		
٢٥٢	[الفاتحة/٢-٥]	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
سورة "البقرة"		
٢١١	[البقرة/٢٠]	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾
١٦٥-١٦٤	[البقرة/٢٣]	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾
٢٤٣	[البقرة/٢٩]	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
٢٠٥	[البقرة/٣٧-٣٨]	﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ﴾
٢٠٤	[البقرة/٦٠]	﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾
٢٤٩	[البقرة/٨٧]	﴿فَقَرِيبًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيبًا تَقْتُلُونَ﴾
٢٤٢	[البقرة/٩٢]	﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا﴾
١٩٨	[البقرة/١٠٦-١٠٧]	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
١٤٢	[البقرة/١٢٦]	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ﴾
٢	[البقرة/١٢٧]	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾
١٨٨	[البقرة/١٣٣]	﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾
١١١	[البقرة/١٧٧]	﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾
٢٠٨	[البقرة/٢١٠]	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾
١٢٤	[البقرة/٢٥٤]	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾
سورة "آل عمران"		
٢٥٠	[آل عمران/٨]	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾
١٩٣	[آل عمران/١٠٥]	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾
١٨٤	[آل عمران/١٥٢]	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾
٩٧	[آل عمران/١٨٦]	﴿تَتَّبَلُّونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾
سورة "النساء"		

٢٠٩، ٧٤	[النساء/٤٣]	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾
٧٤	[النساء/٤٣]	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾
١٢٤	[النساء/٥٦]	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾
١٠٠-٩٩	[النساء/٦٥]	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
١٣٨	[النساء/٩٥]	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
سورة "المائدة"		
١٣٩	[المائدة/١٠٠]	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾
سورة "الأنعام"		
٢٠٧	[الأنعام/١٢]	﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٢٥	[الأنعام/١٤]	﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا﴾
١٤٤	[الأنعام/٢١]	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ﴾
٧٧	[الأنعام/٢٢]	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾
١٨٠	[الأنعام/٢٦]	﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾
١٩٦	[الأنعام/٥٢]	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
١٢٣	[الأنعام/٧٦-٧٧]	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾
١٤٥	[الأنعام/٩٥]	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾
٢٤٦	[الأنعام/٩٦]	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾
١٤٤	[الأنعام/١٠٢]	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾
٢٤٤	[الأنعام/١٠٣]	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾
١٣٠	[الأنعام/١٤٨-١٤٩]	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
-	[الأنعام/١٦٢]	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾
سورة "الأعراف"		
١٢٩، ٨٢	[الأعراف/٢]	﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾
٢١٦	[الأعراف/١٦]	﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
٢٠٦	[الأعراف/٢٧]	﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾
٨١	[الأعراف/٣٥]	﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	[الأعراف/٤٢]	١٧٣
﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾	[الأعراف/٤٩]	٢١٥ ، ١٦٢
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	[الأعراف/٥٢]	١٠٨
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	[الأعراف/٥٤]	٥٦ ، ٢٠٠
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾	[الأعراف/٥٧]	٢٢٢
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾	[الأعراف/٥٩]	١٠٨
﴿فَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	[الأعراف/٦٢]	٢١٥
﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾	[الأعراف/٨٣]	٨٥ ، ٨١
﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾	[الأعراف/٨٩]	١٧٠
﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾	[الأعراف/١١١]	٧١
﴿قَالُوا أَوِذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾	[الأعراف/١٢٩]	٧١
﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾	[الأعراف/١٤٠]	١٦٩
﴿وَإِذْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾	[الأعراف/١٤١]	١٤٨
﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾	[الأعراف/١٥٣]	٢٤٦
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	[الأعراف/١٥٨]	١٩٠
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	[الأعراف/١٥٨-١٦٠]	٢٥٦
﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾	[الأعراف/١٦٠]	٢١٦ ، ٢٥٦
﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾	[الأعراف/١٦٦]	٢١٦
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾	[الأعراف/١٧٥-١٧٦]	١٧٤
﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾	[الأعراف/١٧٧]	١٧١
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	[الأعراف/١٨٧]	١٦٤ ، ٨١
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	[الأعراف/١٨٩]	٢١٩
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾	[الأعراف/١٩٩]	٢٠٢ ، ١٢٤
﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾	[الأعراف/٢٠٣]	٨١
سورة "التوبة"		
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾	[التوبة/٥١]	١٤٠
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾	[التوبة/٥٥]	١٩٢

١٧٩	[التوبة/٨٢]	﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾
سورة "يونس"		
١٤٤	[يونس/١٧]	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾
٢١١	[يونس/٢٥]	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾
١٣٧	[يونس/٥٠]	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾
٩٤	[يونس/٩٨]	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾
١٦٩	[يونس/٩٩]	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾
سورة "هود"		
١٢١	[هود/١]	﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾
١٧٧	[هود/٤٤]	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾
١٨٢	[هود/٧٠]	﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾
١٨١	[هود/١٠٠]	﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾
١٨٢	[هود/١٠١]	﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
سورة "يوسف"		
٢١١	[يوسف/٢٩]	﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾
١٧٦	[يوسف/٤٨]	﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ﴾
٧٧	[يوسف/٤٩]	﴿فِيهِ يُعَاقِبُ النَّاسُ﴾
٩٤	[يوسف/٦٨]	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾
سورة "الرعد"		
١٤٧	[الرعد/٢]	﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾
١٨٧	[الرعد/٣٨]	﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
سورة "إبراهيم"		
١٨١	[إبراهيم/١]	﴿لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾

١٤٨	[إبراهيم/٦]	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾
٢٤٦	[إبراهيم/١٠]	﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾
٢٤٦	[إبراهيم/١١]	﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾
١٤٢	[إبراهيم/٣٥]	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا آمِنًا﴾
سورة "الحجر"		
١٧١	[الحجر/٢٣]	﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾
سورة "النحل"		
١٥٤	[النحل/١٠-١٥]	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾
١٤٥	[النحل/١٢]	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾
١٣٦	[النحل/١٤]	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ﴾
١٩٦	[النحل/١٦]	﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾
٢٠٨	[النحل/٣٣]	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾
٢٠٠	[النحل/٣٥]	﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾
١٩٥	[النحل/٦٩]	﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾
٢١٢	[النحل/٨١]	﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾
سورة "الإسراء"		
٢٤٩ ، ١٨٢	[الإسراء/١٣]	﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾
٦٥	[الإسراء/١٩]	﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾
١٩٦	[الإسراء/٢١]	﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
١٧٥	[الإسراء/٢٤]	﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾
٧٠	[الإسراء/٢٦]	﴿وَأَتِذَا الْقُرُوبِ حَقُّهُ﴾
١٨٢	[الإسراء/٢٩]	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾
١٧١	[الإسراء/٥٨]	﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾
١٧٥	[الإسراء/٦٢]	﴿لَكِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
٧٠	[الإسراء/٦٧]	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾
٢٤٤	[الإسراء/٨١]	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾
٨١	[الإسراء/٨٢]	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾

٩٤	[الإسراء/٨٦-٨٧]	﴿وَلَكِنَّ شَعْنًا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾
١٩٩	[الإسراء/١١٠]	﴿قُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ﴾
سورة "الكهف"		
١٣٥	[الكهف/٥٤]	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾
سورة "مريم"		
١٢٤	[مريم/٤]	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾
٧٥	[مريم/٢٧]	﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾
١٩٢	[مريم/٤٢]	﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾
١٨٢	[مريم/٦١]	﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾
٩٧	[مريم/٧١]	﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾
١٣٣	[مريم/٧٢]	﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾
٢١٤	[مريم/٧٥]	﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾
١٩٦	[مريم/٧٧]	﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾
١٦٩	[مريم/٨٣]	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
سورة "طه"		
٩٤، ٩٣، ٩١	[طه/٢-٣]	﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾
١٨٦	[طه/٤]	﴿نُنَزِّلُهَا مِنْ خَلْقِ الْأَرْضِ﴾
٥٦	[طه/٣٩]	﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾
١٧٦	[طه/٤٠]	﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ﴾
١٧٣	[طه/٥٧]	﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾
٢٥١	[طه/٦١-٦٩]	﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ﴾
٢٥١	[طه/٧٠]	﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾
٢٤٦	[طه/٨٢]	﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾
٢٤٩	[طه/١١٧]	﴿فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾
١٨٦	[طه/١٢٩]	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾
سورة "الأنبياء"		

١٤٣	[الأنبياء/٢]	﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾
٢٤٦	[الأنبياء/٤]	﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ﴾
١٢٥، ١٧٧	[الأنبياء/٢٢]	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾
١٩٦	[الأنبياء/٣٠]	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾
١٩١	[الأنبياء/٣٠-٣٢]	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
٢٤٤	[الأنبياء/٣٤]	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾
١٧٠	[الأنبياء/٣٦]	﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
١٤٢	[الأنبياء/٩١]	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾
سورة "الحجّ"		
١٧٨	[الحجّ/٢]	﴿يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ﴾
٧٧	[الحجّ/١٨]	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾
١٤٣	[الحجّ/٦٢]	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾
١٤٥	[الحجّ/٦٦]	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾
سورة "المؤمنون"		
٢٤٤	[المؤمنون/١٢-١٣]	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾
٢٤٤	[المؤمنون/١٤]	﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾
سورة "الفرقان"		
٨١، ٧١	[الفرقان/١]	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾
١٣٦	[الفرقان/٤]	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
٨٥	[الفرقان/٥]	﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾
٢٤٦	[الفرقان/٦]	﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾
١٩٦	[الفرقان/٩]	﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾
١٧١	[الفرقان/١٢]	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾
١٦٩	[الفرقان/٢٠]	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾
٨٦	[الفرقان/٢٧]	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾
٢١٦	[الفرقان/٣٥]	﴿الَّذِينَ يُخَشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾
٢١٦	[الفرقان/٤٠]	﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾

٢١٦ ، ١٩٦	[الفرقان/ ٤٥]	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾
٢٢٢ ، ١٣٧	[الفرقان/ ٤٨]	﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ﴾
١٦١ ، ٧٥	[الفرقان/ ٥٣]	﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾
٩٥	[الفرقان/ ٥٧]	﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾
٨١	[الفرقان/ ٧٢]	﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾
٦٩	[الفرقان/ ٧٥]	﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ﴾
سورة "الشعراء"		
١٤٣	[الشعراء/ ٥]	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾
٢٥٧	[الشعراء/ ٣٦-٣٧]	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾
٢٥١	[الشعراء/ ٤٦-٤٨]	﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾
٢٥١	[الشعراء/ ٤٧-٤٨]	﴿قَالُوا آمَنَّا﴾
١٤٤	[الشعراء/ ٧٠]	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾
١٦٩	[الشعراء/ ٣٠١-٣٠٣]	﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾
سورة "النمل"		
١٧٣	[النمل/ ١]	﴿طَسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾
٢١٢ ، ١٧٣	[النمل/ ١٢]	﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾
١٠٦	[النمل/ ٢٠-٢١]	﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾
٨٦	[النمل/ ٥٧]	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾
١٥٣	[النمل/ ٥٩-٦٤]	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾
٢٥٠	[النمل/ ٨٠]	﴿وَلَا تُسْمِعِ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾
١٧٤	[النمل/ ٨٨]	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾
سورة "القصص"		
١٩٦	[القصص/ ٥٦]	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾
٢٤٩	[القصص/ ٧٠]	﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾
٢٤٩	[القصص/ ٧١]	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ﴾
سورة "العنكبوت"		
٢٤٤	[العنكبوت/ ٤٠]	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾

٢١٣	[العنكبوت/٤٨]	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾
سورة "الرّوم"		
١٤٣	[الرّوم/١٩]	﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾
١٨١	[الرّوم/٤٧]	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٨٠	[الرّوم/٥٥]	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾
سورة "لقمان"		
٢٤٦	[لقمان/٨-٩]	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
١٣٧	[لقمان/١٠]	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾
١٨٢	[لقمان/٢٢]	﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾
١٤٧	[لقمان/٢٩]	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾
١٤٣	[لقمان/٣٠]	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾
سورة "الأحزاب"		
١٣٢	[الأحزاب/١٢-١٣]	﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾
١٣٢	[الأحزاب/١٨]	﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾
٨٣	[الأحزاب/٣٣]	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾
٧٧	[الأحزاب/٥٦]	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾
سورة "سبأ"		
٢٤٦	[سبأ/٢٦]	﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾
٩٤	[سبأ/٣٧]	﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾
سورة "فاطر"		
٢٤٥	[فاطر/١]	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٩٥	[فاطر/٣]	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾
١٤٧	[فاطر/١٣]	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾
١٣٩	[فاطر/١٩]	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾
١٣٩	[فاطر/٢٠-٢٢]	﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾
١٦٩	[فاطر/٢٦]	﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

١٩٤ ، ١٣٧	[فاطر/٢٧]	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾
١٣١	[فاطر/٣٢]	﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾
١٧٢	[فاطر/٣٤]	﴿إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾
١٧٧	[فاطر/٤٠]	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾
سورة "يس"		
٨٤	[يس/١-٢]	﴿يس﴾
١٢٩	[يس/١٤-١٦]	﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾
١٣٦	[يس/٣١]	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾
١٣٦	[يس/٣٣]	﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾
١٣٦	[يس/٣٦]	﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾
٢٥٠	[يس/٣٧]	﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ﴾
١٩٦	[يس/٣٨]	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾
١٩٥	[يس/٤٠]	﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
١٧١	[يس/٤٦]	﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾
١٣٧	[يس/٦٩-٧٠]	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾
٢٤٦	[يس/٨١]	﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
سورة "الصافات"		
١٠٣	[الصافات/١]	﴿وَالصَّافَّاتِ﴾
١٤٤	[الصافات/٨٥]	﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ﴾
سورة "ص"		
١٧١	[ص/٧]	﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأُولَى﴾
١٦٩	[ص/٢١]	﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَى﴾
٥	[ص/٢٩]	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾
١٧١	[ص/٦٥]	﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
سورة "الزمر"		
١٤٧	[الزمر/٥]	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾
٢١٩	[الزمر/٦]	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

٢٠٤	[الزمر/٢٧]	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾
٧٠	[الزمر/٥٣]	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ﴾
سورة "غافر"		
١٧٦	[غافر/٣٦]	﴿يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا﴾
١٣٩	[غافر/٥٨]	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾
١٤٥	[غافر/٦٢]	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ﴾
١٨٨	[غافر/٦٧]	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ﴾
سورة "فصلت"		
١٦٩	[فصلت/١٥]	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾
١٧٥	[فصلت/١٧]	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾
١٣٩	[فصلت/٣٤]	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ﴾
٢٤٢	[فصلت/٣٦]	﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾
٢٥٤	[فصلت/٤٤]	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا﴾
سورة "الشورى"		
١٧٠	[الشورى/١١]	﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
سورة "الزخرف"		
١٤٥	[الزخرف/١٣]	﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾
سورة "الجاثية"		
١٧٢	[الجاثية/٣]	﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
سورة "الأحقاف"		
١٧٠	[الأحقاف/٥]	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو﴾
سورة "محمد"		
١٢٣	[محمد/١٩]	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
٥	[محمد/٢٤]	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾
سورة "الفتح"		
١٢٤	[الفتح/٢٩]	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾

سورة "الحجرات"		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا﴾	[الحجرات/١١-١٢]	١٥٠
سورة "ق"		
﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ﴾	[ق/٦-٨]	١٩٤
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾	[ق/١٩]	١٨٧
﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ﴾	[ق/٤٤]	٢١٣
سورة "الذاريات"		
﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾	[الذاريات/١]	١٠٣
﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	[الذاريات/٢٣]	٩٧
سورة "الطور"		
﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ﴾	[الطور/٣٢]	١٢٩ ، ١٢٨
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	[الطور/٤٨]	١٨٢
سورة "النجم"		
﴿أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾	[النجم/١٢]	٢١٥
﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾	[النجم/٢٥]	٢٤٩
﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ﴾	[النجم/٢٩-٣٠]	٦٥
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾	[النجم/٣٣-٣٤]	١٧٥
﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾	[النجم/٤٩]	١٧٨
سورة "القمر"		
﴿أَفْتَرَيَتِ السَّاعَةَ﴾	[القمر/١]	١٨٩
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾	[القمر/١٦]	٢٤٩ ، ٢١١
﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْفُرْعَانَ﴾	[القمر/١٧]	١٢١
سورة "الرحمن"		
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	[الرحمن/١٣]	٢٢٢
سورة "الواقعة"		
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾	[الواقعة/٢٥-٢٦]	٩٤

٨١	[الواقعة/٥٠]	﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ﴾
١٢٦	[الواقعة/٥١-٥٥]	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمْ الضَّالُّونَ﴾
سورة "الحشر"		
١٤٠	[الحشر/٣]	﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾
١٣٩	[الحشر/٢٠]	﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ﴾
١٨٨	[الحشر/٢٣]	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
سورة "الجمعة"		
٦٤	[الجمعة/٩]	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ﴾
سورة "الطلاق"		
١٩٢	[الطلاق/١]	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾
١٩٣	[الطلاق/٧]	﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾
سورة "التَّحْرِيمِ"		
١٤٢	[التَّحْرِيمِ/١٢]	﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ﴾
سورة "الملك"		
٢٥٣	[الملك/١]	﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٢٤٦	[الملك/٢]	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾
٨٣ ، ٨١	[الملك/٤]	﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾
٦٤	[الملك/١٥]	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾
سورة "القلم"		
٢٥٧ ، ١٠٧	[القلم/١-٢]	﴿ن وَالْقَلَمِ﴾
٨٥	[القلم/١٥]	﴿إِذَا تُنْثَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾
٢٥٧	[القلم/٤٢-٤٣]	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾
سورة "الحاقة"		
٢٤٩	[الحاقة/٢٩]	﴿هَلْكَ عَنِّي﴾
سورة "المعارج"		
١٧٤	[المعارج/٨-٩]	﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾

سورة "نوح"		
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾	[نوح/١١-١٢]	٢٠٠
سورة "الجن"		
﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾	[الجن/١]	١٧٨
﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾	[الجن/٣]	١٨٠
﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفْعُولُ لَفِئَتِنَا﴾	[الجن/٤]	١٧٨
﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾	[الجن/١٥]	١٨٢ ، ١٧٤
﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ﴾	[الجن/٢١]	٢١٤
﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾	[الجن/٢٢-٢٣]	٩٤
سورة "المدثر"		
﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾	[المدثر/٢]	٢١٤
﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	[المدثر/٤]	٨٢
﴿كَأَلَا وَالْقَمَرِ﴾	[المدثر/٣٢-٣٧]	١٠٧
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾	[المدثر/٣٨-٤٢]	٢٥٠
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾	[المدثر/٣٨-٤٦]	٦٩
﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾	[المدثر/٥١]	٨١
سورة "القيامة"		
﴿لَا أَفْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	[القيامة/١-٢]	١٠٧
﴿لَا أَفْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	[القيامة/١-٤]	١٠٨
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾	[القيامة/٣-٤]	٢١٥
﴿كَأَلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾	[القيامة/٢٦]	٢١٥
﴿فَلَا صَدَقَ﴾	[القيامة/٣١]	٨٤
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾	[القيامة/٣٦-٣٩]	٢٥٧
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾	[القيامة/٣٦-٣٧]	٢١٢
سورة "المرسلات"		
﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾	[المرسلات/١]	١٠٣

٦٩	[المرسلات/٢٨-٢٩]	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
سورة "النَّبَأُ"		
٢٥٧	[النَّبَأُ/٣١-٣٢]	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾
سورة "النَّازِعَاتِ"		
١٠٦	[النَّازِعَاتِ/١-٥]	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾
١٦٠	[النَّازِعَاتِ/١٥-١٩]	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾
١٧٠	[النَّازِعَاتِ/١٨]	﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾
٢١٥	[النَّازِعَاتِ/٣٧-٣٩]	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾
٢٥٧	[النَّازِعَاتِ/٤٢-٤٦]	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾
سورة "عبس"		
٨٢ ، ٧٧	[عبس/١]	﴿عَبَسَ﴾
٢٥٧	[عبس/١-١٠]	﴿عَبَسَ﴾
١٦٩	[عبس/٣]	﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ﴾
٢١٥	[عبس/٦]	﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾
١٩٦	[عبس/١٩]	﴿مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ﴾
١٧٧	[عبس/٣١-٣٢]	﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾
١٨٨	[عبس/٣٤-٣٦]	﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾
سورة "التَّكْوِيرِ"		
٨١	[التَّكْوِيرِ/٦]	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾
١٠٩	[التَّكْوِيرِ/١٥-١٦]	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾
٨١	[التَّكْوِيرِ/١٧]	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾
١٠٥	[التَّكْوِيرِ/١٥-١٩]	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾
٨١	[التَّكْوِيرِ/١٥]	﴿كَأَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهُ﴾
٢١٥ ، ٧٩	[التَّكْوِيرِ/٢٤]	﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ﴾
سورة "الانفطار"		
١٩٢	[الانفطار/٦]	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَاكَ﴾

سورة "المطففين"		
﴿عَيْنًا يَشْرَبُ﴾	[المطففين/٢٨]	٢١٦
سورة "الانشقاق"		
﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾	[الانشقاق/١]	٢١٠
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقَقِ﴾	[الانشقاق/١٦-١٩]	١٠٩
﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	[الانشقاق/٢٤-٢٥]	٩٥
سورة "البروج"		
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾	[البروج/١-٩]	١٠٩
﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾	[البروج/٨]	٧٦
﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾	[البروج/٨-٩]	٢٥٧، ٢٤٦
﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾	[البروج/١٢]	١٩٦
سورة "الطّارق"		
﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾	[الطّارق/١-٤]	١٠٧
﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ﴾	[الطّارق/٨]	٢١٥
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾	[الطّارق/١١-١٣]	١٠٥
سورة "الغاشية"		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾	[الغاشية/٢]	١٨٢
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾	[الغاشية/١٧-٢٠]	١٨٥
﴿فَلَذَكَّرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾	[الغاشية/٢١]	١٧١
﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾	[الغاشية/٢٢-٢٣]	٩٤
سورة "الفجر"		
﴿وَالْفَجْرِ﴾	[الفجر/١-٥]	٢٥٧
﴿وَالْفَجْرِ﴾	[الفجر/١-١٤]	٩٧، ١٠٧
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ﴾	[الفجر/٤]	٢١٥
﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾	[الفجر/٩]	٢١٥
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾	[الفجر/١٤]	١٧٦

سورة "البلد"		
﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾	[البلد/١-٤]	١٠١
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ﴾	[البلد/١٨-١٩]	٨١
﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ﴾	[البلد/٢٠]	١٨٢ ، ١٧٦
سورة "الشمس"		
﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾	[الشمس/١-٦]	١٧٩
﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾	[الشمس/١-١٠]	١٠٩ ، ٩٩
سورة "الليل"		
﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ﴾	[الليل/٣]	١٧٩
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾	[الليل/١-٣]	١٧٧
﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾	[الليل/٤-١٠]	١٧٨
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾	[الليل/٥-١٠]	١٧٩
﴿وَسَيَحْبَبْهَا الْاِتَّقَى﴾	[الليل/١٧-٢١]	٢٥٧
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ﴾	[الليل/١٩-٢٠]	٩٤
سورة "الضحى"		
﴿وَالضُّحَى﴾	[الضحى/١-٣]	٢١١
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾	[الضحى/٣-٤]	١٧٢ ، ١٧١
﴿وَالضُّحَى﴾	[الضحى/١-٥]	١٩٧ ، ١٢٤ ، ١٠٧ ، ٩٩
﴿وَالضُّحَى﴾	[الضحى/١-٧]	٢٥٦
﴿وَوَجَدَكَ غَائِلًا﴾	[الضحى/٨]	٢١٥
سورة "الشرح"		
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	[الشرح/١]	١٦٨ ، ٨١
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	[الشرح/١-٤]	١٧٢
﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾	[الشرح/٧]	٢٠٤
سورة "التين"		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾	[التين/٤]	١٠٨

٨٤	[التين/٨]	﴿لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾
سورة "العلق"		
٢١٥ ، ١٩٦	[العلق/١]	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾
سورة "القدر"		
٨١	[القدر/١]	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾
سورة "العاديات"		
١٧٩	[العاديات/١-٥]	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾
١٧١	[العاديات/٦-٨]	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾
سورة "التكاثر"		
١٠٧	[التكاثر/٦]	﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾
٩٩	[التكاثر/٦-٨]	﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾
سورة "العصر"		
١٠٧	[العصر/١-٢]	﴿وَالْعَصْرِ﴾
سورة "قريش"		
٢١٥	[قريش/٤]	﴿وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾
سورة "الماعون"		
١٣٣	[الماعون/١-٣]	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِّينِ﴾
سورة "الكوثر"		
١٣٥	[الكوثر/١-٢]	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾
سورة "الكافرون"		
١٩٥	[الكافرون/١-٦]	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾
سورة "المسد"		
١٢٩	[المسد/١]	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ﴾
سورة "الإخلاص"		
١٩٢	[الإخلاص/١]	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

سورة "الفلق"		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾	[الفلق/١]	١٩٦ ، ١٩٢
سورة "النّاس"		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾	[النّاس/١]	١٩٢

فهرس الأحاديث

رقم الصّفحة	طرف الحديث
٢٤٤	"أملى عليّ رسول الله ﷺ هذه الآية"
٣٦	"من قال في القرآن برأيه"

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة
ابن الأثير (نصر الله بن محمد) (ت ٦٣٧هـ)	٢٢١، ٢١٠
أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)	٤٧
ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن الواحد) (ت ٦٥٤هـ)	٢٥٥، ٢٤٩
البخاري (محمد بن إسماعيل) (ت ٢٥٦هـ)	٤٧
أبو البقاء العكبري (عبد الله بن الحسين) (ت ٦١٦هـ)	١١٢
البقاعي (إبراهيم بن عمر) (ت ٨٨٥هـ)	٢٣٥، ٢٣٣، ٢٢٧، ١٨٧
أبو بكر الباقلاني (محمد بن الطيّب) (ت ٤٠٣هـ)	٢٥٢، ١٥٨، ١٢٠، ٧٣
البيهقي (أحمد بن الحسين) (ت ٤٥٨هـ)	٤٩
الترمذي (محمد بن عيسى) (ت ٢٧٩هـ)	٤٨
الثعالبي (عبد الملك بن محمد) (ت ٤٢٩هـ)	٢٠٨
ابن جرّي (محمد بن أحمد) (ت ٧٤١هـ)	١٨٧
ابن الجوزي (علي بن عبد الرحمن) (ت ٥٩٧هـ)	١٤٩، ٧٩
الجوهري (إسماعيل بن حمّاد) (ت ٣٩٣هـ)	٥٠
ابن حبان (محمد بن حبان) (ت ٣٥٤هـ)	٤٨
ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) (ت ٨٥٢هـ)	٤٩
ابن حزم (علي بن أحمد) (ت ٤٥٦هـ)	٤٦
أبي حيّان (محمد بن يوسف) (ت ٧٤٥هـ)	١٨٧، ٤٥، ٥
الخطابي (حمد بن محمد) (ت ٣٨٨هـ)	١٨٥، ١٢١، ٦٥
الخطيب الإسكافي (محمد بن عبد الله) (ت ٤٢٠هـ)	١٤١
الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن) (ت ٢٥٥هـ)	٤٧
الداني (عثمان بن سعيد) (ت ٤٤٤هـ)	٢٥٣
أبو داود (سليمان بن الأشعث) (ت ٢٧٥هـ)	٤٨
دراز (محمد بن عبد الله) (ت ١٩٥٨م)	٢٣٤، ١٣٤
الرازي (محمد بن عمر) (ت ٦٠٦هـ)	١٨٩، ١٨٧، ١٠٣، ٩٨، ٧٥، ٤٥، ٢٥

٢٤٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٣	
٦٦	الرَّاعِب الأصفهاني (المفضل بن محمد) (ت ٥٠٢هـ)
٤٦	رحمة الله الهندي (ت ١٣٠٦هـ)
٥٠	الزَّجَّاج (إبراهيم بن السري) (ت ٣١١هـ)
١٤١	ابن الزبير الغرناطي (أحمد بن إبراهيم) (ت ٧٠٨هـ)
٤ ، ٢٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٢	الزَّخَّشِي (محمود بن عمر) (ت ٥٣٨هـ)
٤٦ ، ٣	سعد الدين التفتازاني (مسعود بن عمر) (ت ٧٩٢هـ)
٢٠٢ ، ٥٧	السَّكَّاکي (يوسف بن أبي بكر) (ت ٦٢٦هـ)
١١٤ ، ٩٢ ، ٧٧	سيبويه (عمرو بن عثمان) (ت ١٨٠هـ)
٣٣ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١٥٩ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢٤٩	السَّيَّوطِي (عبد الرحمن بن أبي بكر) (ت ٩١١هـ)
٧٧ ، ٧٣	الشَّافِعِي (محمد بن إدريس) (ت ٢٠٤هـ)
١١٤	أبو شُهَبَة (محمد بن محمد) (ت ١٩٨٣م)
٤٦	الشَّوْكَانِي (محمد بن علي) (ت ١٢٥٠هـ)
٤٧	ابن أبي شَيْبَة (عبد الله بن محمد) (ت ٢٣٥هـ)
٢٤٩	ابن الصَّائِغ الحنفي (محمد بن عبد الرحمن) (ت ٧٧٦هـ)
٢١٩ ، ٢٠٢ ، ١٣٤ ، ٧٦	الطَّوْفِي (سليمان بن عبد القوي) (ت ٧١٦هـ)
٢٥ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٩٨	الطَّبَّري (محمد بن جرير) (ت ٣١٠هـ)
٥ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦	ابن عاشور (محمد الطاهر بن عاشور) (ت ١٣٩٣هـ)
٢٣٤ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢	حميد الدين الفراهي (ت ١٩٣٠م)
١٦٦	عبد السلام الرَّاعِب حفظه الله

١٨٥، ١٦٥، ١٤٠، ١٢٠، ٨٨، ٨٠، ٢٠٩	عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)
٤٥	ابن العربي (محمد بن عبد الله) (ت ٥٤٣هـ)
٢٠٥	العز بن عبد السلام (عبد العزيز بن عبد السلام) (ت ٦٦٠هـ)
٤٥	ابن عطية الأندلسي (عبد الحق بن غالب) (ت ٥٤٦هـ)
٢٢٠، ٣	علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)
٨٣	عنتر (عنتر بن شداد) (ت ٢٢٢ق هـ)
٧٨، ٧٣، ١٩	الغزالي (محمد بن محمد) (ت ٥٠٥هـ)
١١٤	الفارسي (الحسن بن أحمد) (ت ٣٧٧هـ)
١٨٧	الفراء (يحيى بن زياد) (ت ٢٠٧هـ)
١٨٥، ٧٣	القاضي عبد الجبار (عبد الجبار بن أحمد) (ت ٤١٥هـ)
٢٢٠، ١٥٩	ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) (ت ٢٧٦هـ)
٩٢، ٩١	القراقي (أحمد بن إدريس) (ت ٦٨٤هـ)
٢٥٣، ١٠٩، ١٠٨، ٩٥، ٩٢	القرطبي (محمد بن أحمد) (ت ٦٧١هـ)
٢٠٢، ١٩٩، ١٧٥، ١٣٥، ٥٧	القزويني (محمد بن عبد الرحمن) (ت ٧٣٩هـ)
١٠٢، ١٠٣	ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر) (ت ٧٥١هـ)
٤٩، ٤٥	ابن كثير (إسماعيل بن عمر) (ت ٧٧٤هـ)
١٤١	الكرماني (محمود بن حمزة) (ت بعد ٥٠٠هـ)
١٨٩	ابن كيسان (عبد الرحمن بن كيسان) (ت ٢٢٥هـ)
٤٨	ابن ماجه (محمد بن يزيد) (ت ٢٧٥هـ)
٧٣، ٤٧	مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)
٤٨	مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)
٤٤	ابن المنذر (محمد بن إبراهيم) (ت ٣١٩هـ)
٥٠	ابن منظور (محمد بن مكرم) (ت ٧١١هـ)
٤٨	النسائي (أحمد بن شعيب) (ت ٣٠٣هـ)
٥٥	نور الدين عتر (حفظه الله)
٢١١، ٢٠٥، ١٠٦، ٥٠، ٤٩، ٣٣	ابن هشام (عبد الله بن يوسف) (ت ٧٦١هـ)
٢٥٤، ١٦٥، ٦٨	أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله) (ت بعد ٣٩٥هـ)

٢٥٥	ولي الدين الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)
٤٨	أبو يعلى (محمد بن الحسين) (ت ٣٠٧هـ)

فهرس المصطلحات البلاغية

المصطلح	رقم الصفحة
الاحتباك	٢١٢، ٢١٥، ٢٢٥
الاحتباس	١٧٣
الاختزال	٢١٢، ٢١٥، ٢٢٥
الاستعارة	٨٤، ١٦٤، ١٦٦
الاستعارة المكنية	١٧٥
الاستعارة التصريحية	١٦٤، ١٧٥
الاستفهام	١٢٩، ١٩٤
الاطراد	١٨٨
الاعتراض	١٧٣
الاقتطاع	٢١٢، ٢١٥، ٢٢٥
الاكتفاء	٢١٢
الالتفات	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٧٣، ٢٢٣
الانسجام	١٨٠
الاثنالاف	١٧٩
الإدماج	١٧٨، ١٩٩
الإرصاد	٢٤٤
الإطناب	١٢٤، ١٦٧، ١٧١
الإيجاز	١١٧، ١٢٤، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٥
إيجاز الحذف	٢٠٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٥
إيجاز القصر	٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٥

الإيضاح بعد الإبحام	١٧٢
الإيغال	٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٤
البديع	١٩٩ ، ١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٣١
البلاغة	٧ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٢٢٧ ، ٢٠٧
البيان	١٦٨ ، ١٣٤ ، ١٣١ ، ٥٨ ، ٥٧
التذليل	٢٤٤
الترقّي والتدليّ	١٨٨
الترتيب	١٨٨
تشابه الأطراف	٢٤٤
التشبيه	١٧٤
التشبيه البليغ	١٨١ ، ١٧٤
التشبيه التمثيلي	١٧٥ ، ١٧٤
التشبيه المرسل المجمل	١٧٤
التشبيه المكثّف	١٧٥
التّضمين	٢١٥ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦
التّعريض	٢٢٥ ، ٢١٣ ، ٢٠٢ ، ١٩٨
التّعدد	١٨٨
التّكرار	٢٢٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩
التّلميح	٢٠٢
التّلويع	٢٠٢
التّمكن	٢٤٩
التّناسب	٢٥٨ ، ٢٤٤ ، ٢٢٧
التّنكيث	١٧٨
التّوشيح	٢٤٩
التّوكيد	١٧٢ ، ١٧١
الجمع مع التّقسيم	١٧٨
الجناس	١٨٠

الجناس المضارع	١٨٠
حسن التسق	١٨٨ ، ١٧٧
الحقيقة	٨٦ ، ٨٠ ، ٧٦ ، ٣-٢
الرّمز	٢٠٢
السّجع	٢٥٤ ، ١٧٩
الطبّاق	١٧٩
الفاصلة	٢٥٨-٢٥٣ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٢٨ ، ١٥٢ ، ١٠٦
فصاحة الكلام	٧
قافية الشّعر	٢٥٢
القرينة	٧٣ ، ٢
قرينة السّجع	٢٥٢
القصر	١٧٠
القصر الإضافيّ	١٧١
القصر الحقيقيّ	١٧٠
قصر الصّفة على الموصوف	١٧٠
قصر الموصوف على الصّفة	١٧١ ، ١٧٠
الكناية	١٩٨ ، ١٨١ ، ١٧٦ ، ١٦٦ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٤ ٢٦٠ ، ٢٢٥ ، ٢١٣ ، ٢٠٢
اللفّ والتّشّ	١٧٧
المبالغة	١٧٨
المجاز	٨٦ ، ٧٦ ، ٥٦ ، ٢
المجاز العقليّ	١٧٦
المجاز المرسل	١٧٦
المحسنات اللفظيّة	١٧٩ ، ١٦٨
المحسنات المعنويّة	١٧٥ ، ١٦٨
المذهب الكلاميّ	١٧٧
مراعاة النّظير	١٧٩
المشترك اللفظي	٨٠ ، ٧٩

المطويات	٢١٣، ٢٠٨
المعاني	١٦٧
المقابلة	١٧٩
المقام	٦٥، ٨٨، ١١٤، ١٢٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٢، ٢١٢، ٢٢٧
مقتضى الحال	٢١٩، ١٢٨، ٧
نظام توازن الآيات	٢٥٥، ٢٤٨
النظم	٢٢٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٣

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب.

- الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين السبكي و تاج الدين السبكي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م).
- اتّسع الدّلالة في الخطاب القرآني، محمّد نور الدّين المنجد، (دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠م).
- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المنسوب، (لبنان، دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، محمد بن علي الشّوكاني، تحقيق أبي حفص سامي بن العربيّ الأثريّ، (الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
- الاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ، كاظم إبراهيم كاظم، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
- الاستغناء في الاستثناء، شهاب الدّين أحمد بن إدريس القرافيّ، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- أسلوب التّضمن بين النّحويّين والبلاغيّين، محمود الحسن، (منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، دمشق، ٢٠١٨م).
- الأشباه والنظائر، تاج الدّين ابن السبكي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العزّ بن عبد السّلام، (دار الفكر، دمشق، د.ت).
- إشكاليّة الجمع بين الحقيقة والمجاز في ضوء البيان القرآنيّ، محمود توفيق محمّد سعد، (مصر، مطبعة الأمانة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

- أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، ط ٢، (بيروت، دار النفائس، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- الإعجاز والإيجاز، عبد الملك أبو منصور التّعالبي، (القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت^(١)).
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، (دار المعارف، القاهرة،
- إعجاز القرآن الكريم، الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).
- الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وليد إبراهيم قصّاب، (دار الفكر، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- إعجاز القرآن الكريم، محمد صادق درويش، (دمشق، دار الإصلاح، ٢٠٠٩م).
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، ط ٧، (بيروت، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ١٥، (د.ب، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، ط ٢، (بيروت، دار الفكر، د.ت).
- الإكسير في علم التفسير، الطوّفي، تحقيق: عبد القادر حسين، (القاهرة، مكتبة الآداب، د.ت).
- إمعان في أقسام القرآن، عبد الحميد الفراهي، اعتنى به محمد سميع مفتي، (لا يوجد بيانات طباعة).
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله الأنصاري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت، دار الفكر، د.ت).
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ط ٤، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٨م).
- الإيضاح في علل النحو، أبي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، (دار العروبة، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).
- البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، تحقيق: محمد تامر، (دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الزّومي، ط ٤، (مكتبة التّوبة، الرياض، ١٤١٩هـ).
- بحوث محكمة في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد الطيّار، ط ٢، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ١٤٣٥هـ).
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشّوكاني، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
- بديع القرآن، ابن أبي الأصعب المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، (مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار التراث، د.ت).

(١) يعني الرّمز د.ت: دون تاريخ طباعة، والرّمز د.ب: لم يُذكر اسم البلد، والرّمز د.ن: لم يُذكر اسم دار النّشر.

- البرهان في متشابه القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، ط ٢، (بيروت، دار صادر، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصّعيدي، ط ١٧، (د.ب، مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان، المكتبة العصرية، د.ت).
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط ٣، (دمشق، دار القلم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري، محمد أبو موسى، ط ٢، (دار التضامن، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني، تمام حسان، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (الكويت، مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، (بيروت، دار الهلال، ١٤٢٣م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الملقّب بمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحقّقين، (د.ب، دار الهداية، د.ت).
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، أحمد بن عبد الله، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت).
- التّبيان في أيمان القرآن، ابن قيّم الجوزيّة، تحقيق: عبد الله بن سالم البطّاطي، (مكّة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ).
- التّحرير والتّنوير، محمد الطّاهر ابن عاشور، (تونس، دار سحنون للنشر والتّوزيع، ١٩٩٧ م).
- التّحرير في أصول التّفسير، مساعد بن سليمان الطّيار، (السّعودية، مركز الدّراسات والمعلومات القرآنيّة بمعهد الإمام الشّاطبي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تحرير التّحجير في صناعة الشّعر والنّثر، ابن أبي الإصبع، تحقيق: حفي محمد شرف، (د.ب، إحياء التّراث الإسلامي، د.ب).

- التّحف في مذاهب السّلف، محمّد بن علي الشّوكاني، تحقيق: طارق السّعود، ط ٢، (بيروت، دار الهجرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- تدبّر القرآن الكريم، عبد اللّطيف التويجري، (الرياض، دار المنهاج، ١٤٣٦هـ).
- تذكرة الحفاظ، الدّهبي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
- التّرادف في القرآن الكريم، محمّد نور الدين المنجّد، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
- التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، سيّد قطب، (دار الشّروق، القاهرة، د.ت).
- التعريف بكتاب معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر، مجد مكّي، (دار القلم، دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- التّعبير القرآنيّ، فاضل صالح السّامرائي، ط ٤، (دار عمّار، عمّان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- التّفسير ورجاله، محمّد الفاضل بن عاشور، (مصر، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- التّفسير الحديث، محمّد عزّت دروزة، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٨٣هـ).
- تفسير البحر المحيط، أبي حيّان الأندلسيّ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمّد رشيد رضا، (مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، عائشة عبد الرّحمن بنت الشّاطي، ط ٧، (د.ب، دار المعارف، د.ت).
- تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، علي بن سليمان العبيد، (الرياض، مكتبة التّوبة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م).
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، (د.ب، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
- التّفسير والمفسّرون، محمّد حسين الدّهبي، (الكويت، دار التّوادر، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
- تقريب الوصول إلى علم الأصول، ابن جزيّ الكلبيّ، تحقيق: محمّد المختار الشّنقيطي، ط ٢، (المدينة المنورة، د.ن، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، عبد الرّحيم الأسنوي، تحقيق: محمّد حسن هيتو، (مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ).
- التّناسب البيانيّ في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد، (الربّاط، مطبعة النّجاح الجديدة، د.ت).
- تهذيب الكمال، يوسف بن الزّكي المزّي، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، الرّماني، الخطّابي، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمّد خلف الله أحمد، محمّد زغلول سلام، ط ٣، (مصر، دار المعارف، د.ت).

- الجامع الصحيح المختصر، البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط ٣، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
- الجامع لأحكام القرآن، محمد أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلايني، ط ٣٩، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠١م).
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنشور، ضياء الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: مصطفى جواد، وغيره، مطبعة الجمع العلمي.
- حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصّبّان، ط ١، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
- حي الميدان الدمشقي تاريخه وتطوره، أحمد بوبس، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠١٤م).
- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النّجار، (عالم الكتب، بيروت، د.ت).
- خواطر الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (مصر، مطابع أخبار اليوم، د.ت).
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة، دار الحديث، د.ت).
- درة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، ط ٣، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م).
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط ٢، (صيدر اباد/الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، ط ٢، (القاهرة، دار التضامن، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، ٧٥، (دن، المطبعة الحميدية، ١٣٨٨هـ).
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد التنّجي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٥م)،
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمد، (القاهرة، دار التراث، د.ت).
- ديوان عنتر بن شدّاد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، (القاهرة، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤م).
- ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).
- سنن النسائي الكبرى، النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، (بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحيّ ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرنؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- شرح الأشموني عل ألفية ابن مالك، المسمّى "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"، علي بن محمّد الأشموني، ط٣، (مصر، مكتبة النهضة المصريّة، د.ت).
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدّين التفتازاني، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- شرح الكوكب المنير، تقي الدّين أبو البقاء المعروف بابن النّجار، تحقيق: محمّد الزحيلي وغيره، ط٢، (د.ب، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- الصّاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (لبنان، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ).
- الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي وغيره، (بيروت، المكتبة العصريّة، ١٤١٩هـ).
- الصّورة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، أحمد علي دهمان، ط٢، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠م).
- الضّوء اللامع لأهل القرن التاسع، السّخاوي، (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت).
- طبقات المفسرين، جلال الدّين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ).
- طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، تحقيق: محمّد حامد الفقي، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
- طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ).
- طبقات المفسرين، الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزري، (السّعوديّة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- طبقات الشافعيّة، ابن قاضي شهبه، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
- الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني، (بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت).
- عبد الرّحمن حبنكة الميدانيّ العالم المفكّر المفسّر زوجي كما عرفته، عائدة راغب الجراح، (دمشق، دار القلم، ٢٠٠١م).
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السّبكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (المكتبة العصريّة، بيروت، ٢٠٠٣م).

- العقيدة الإسلامية وأُسُسُها، عبد الرحمن حَبَّكة الميداني، ط ٥، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م).
- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، (دار ابن كثير، دمشق، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧ م).
- علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حمَّاد، (القاهرة، دار السلام، ١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م).
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨ م).
- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ط ٤، (الرياض، دار الشواف، ١٩٩٢).
- علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ط ٦، (دمشق، مطبعة الصَّباح، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م).
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، (السعودية، مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١ هـ).
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمِّي النَّيسابوري، تحقيق: زكريَّا عميرات، ط ١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ).
- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط ٢، (عمَّان، دار عمَّان، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م).
- الفاصلة القرآنية شكلاً وبلاغاً، عمَّار توفيق بدوي، (إصدار مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات والإفتاء، د.ب، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م).
- الفروق الدلالية بين النظرية والتطبيق، عمر عبد المعطي أبو العينين، (الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت).
- فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطَّيَّار، (الرياض، دار النشر الدولي، ١٤١ هـ-١٩٩٣ م).
- الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الدين الدهلوي، (دمشق، دار الغوثاني، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م).
- قاموس العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.ب، دار ومكتبة الهلال، د.ت).
- القرآن ونصوصه، عدنان زرزور، (مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م).
- القرآن الكريم والدراسات الأدبية، نور الدين عتر، (دمشق، المطبعة الجديدة، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م).
- القَسَم في القرآن الكريم، حسين نصَّار، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١ م).
- القَسَم في اللغة والقرآن، محمد مختار السَّلامي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩ م).
- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، (دار القاسم، الرياض، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م).
- قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكّر المبيدي، (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، طهران).
- قواعد التفسير جمعاً ودراسةً، خالد السَّبت، (د.ب، دار ابن عَقَّان، د.ت).
- القواعد الفقهية، يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، (الرياض، مكتبة ابن رشد، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م).
- قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات، عبد الرحمن الميداني، ط ١، (دار القلم، دمشق، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م).
- قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات، عبد الرحمن الميداني، ط ٤، (دمشق، دار القلم، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م).
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الجليل، د.ت).

- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، (دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التّهانوي، تحقيق: علي دحروج، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م).
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزّخشي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
- الكليّات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، ط٧، (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م).
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق: عبد الإله النبهان، (دمشق، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، (بيروت، دار صادر، د.ت).
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ).
- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، (عمّان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- اللّغة والأسلوب، عدنان بن ذريل، (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٠م).
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطّان، ط٨، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط٣، (دمشق، دار القلم، ١٤٢١/٢٠٠٠م).
- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة في العدول البياني، محمد ماجد العطائي، (دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، المكتبة العصريّة، ١٩٩٥م).
- المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (د.ب، دار ابن حزم، د.ت).
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، (بورسعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت)،
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، ط٢، (القاهرة، مكتبة السنّة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٨م).
- المستدرک علی الصّحیحین، الحاكم النيسابوري، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
- مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد السمیع حسنین، (الرياض، مكتبة المعارف، د.ت).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، (بيروت، المكتبة العلميّة، د.ت).
- المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ط ٢، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧م).
- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ط ٢، (القاهرة، شركة العاتك، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط ١، (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي وغيره، (مصر، دار الكتب المصريّة، د.ت).
- معجم البلاغة العربيّة، بدوي طبانة، (منشورات جامعة طرابلس، لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- معجم التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد محمد داود، (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م).
- معجم القواعد العربيّة في النحو والتصريف، عبد الغني الدقر، ط ٢، (دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة، محمد سمير البلدي، ط ٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، تحقيق مجمع اللغة العربية، (د.ب، دار الدّعوة، د.ت).
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك وغيره، ط ٦، (دمشق، دار الفكر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيّد الكيلاني، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
- المفصل في صناعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي بو ملحّم، (مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م).
- المفصل في علوم البلاغة العربيّة، عيسى علي العاكوب، (حلب، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وغيره، (القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ).

- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عدنان زرزور، ط ٢ (د.ب، د.ن، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
- من أساليب القرآن، إبراهيم السامرائي، ط ٢، (القاهرة، شركة العاتك، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م).
- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، سامر الرشواني، (حلب، دار الملتقى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
- منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد الدغامين، (عمّان، دار البشير، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- الموافقات في أصول الفقه، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
- موجز البلاغة، محمد الطاهر ابن عاشور، (تونس، المطبعة التونسية، د.ت).
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، فريد جبر وسميح دغيم وغيرهما، الطبعة الأولى، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م).
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، (الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٥م).
- التّجّوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الطّاهري، (مصر، دار الكتب، د.ت).
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الرّاضي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- النّسق القرآني دراسة أسلوبية، محمد ديب الحاجي، (دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- نظرية السّياق دراسة أصوليّة، نجم الدين قادر الزّنكي، (بيروت، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ).
- نظم الدّرر في تناسب الآي والسّور، برهان الدّين البقاعي، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٦م).
- التّكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، (بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت).
- نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، عبد الرحمن الميداني، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٠م).
- الوالد الدّاعية المرّبي الشّيخ حسن حبّنة الميداني، عبد الرّحمن الميداني، (دمشق، دار القلم، ٢٠١٢م).
- الوافي بالوفيات، الصّفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وغيره، (بيروت، دار إحياء التّراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوا العوا، (دار الشّروق، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- الوجيز في أصول الفقه، وهبة الرّحيلي، (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م).
- وظائف السّياق في التّفسير القرآني، عقيد العزّاوي، محمّد الكبيسي، (دار العصماء، دمشق، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).
- وظيفة الصّورة الفنيّة في القرآن الكريم، عبد السّلام أحمد الزّاغب، (حلب، فصلت للنشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أحمد بن محمد البرمكي ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (د.ب، دار الثقافة، ١٩٦٨م).

- وقوف القرآن وأثرها في التفسير، مساعد الطيار، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣١هـ).

ثانياً: الرسائل الجامعية

- أساليب التمكن في القرآن الكريم، بحث أعدّ لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بإشراف الدكتور أحمد محمد نتوف، إعداد الباحث حذيفة تقي الدين الخطيب، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- أسلوب الحذف في القرآن الكريم، بحث أعدّ لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، من قبل الباحث جبريل سالفو غانغو، بإشراف الدكتور عبد العزيز حاجي، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، لبنان، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، إعداد الباحث علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، بإشراف الأستاذ الدكتور فتحي عبد القادر فريد، المملكة العربية السعودية، جامعة أمّ القرى، كلية اللغة العربية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة نحوية أسلوبية، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، من قبل الباحث: إيلي كرم منجه، بإشراف الدكتور عبد البديع النيرباني، جامعة البعث، سوريا، بتاريخ ٢٠١٢م.

- التّضمن وأثره في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية نظرية، دراسة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، من قبل الباحث محمد البليمي، بإشراف الدكتور عبد العزيز عبد الحكيم، جامعة أمّ القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، بتاريخ ١٤٢٨هـ.

- التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، دراسة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، من قبل الباحث مشهور مشاهرة، بإشراف الدكتور محمد بركات أبو علي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، بتاريخ ٢٠٠١م.

- جهود محمّد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي دراسة وتحليل، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، من قبل الباحث: محي الدين بن عمّار، بإشراف الأستاذ الدكتور: منصور كافي، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، العام الدراسي ٢٠١١م-٢٠١٢م.

- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، من قبل الباحث محمد ياس الدوّري، بإشراف الدكتور خليل بنیان حسّون، جامعة بغداد، قسم اللغة العربية، للعام الدراسي ١٤٢٦هـ.

- السَّجْعُ القرآني دراسة أسلوبية، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير، إعداد الباحثة: هدى عطية عبد الغفار، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد المطلب، والأستاذ الدكتور عاطف جودة نصر، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠١م.

- الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني وآراؤه في العقيدة الإسلامية عرض ونقد، رسالة قدّمت لنيل درجة الماجستير في أصول الدين (العقيدة)، من قبل الباحث: مازن عطية إبراهيم مسالمة، بإشراف الدكتور: حافظ محمد حيدر الجعبري، كلية الدراسات العليا في جامعة الخليل، للعام الدراسي ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م.

- الصورة الفنية في القرآن الكريم، دراسة أعدت لنيل درجة الماجستير في الآداب من قبل الباحثة: ألما سليمان المحمّد، بإشراف: الأستاذة الدكتورة هناء دويدري، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، من العام الدراسي ١٤١٥هـ / ١٤١٦م.

- القرائن في علم المعاني، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في علوم اللغة العربية، من قبل الباحث: ضياء الدين القالش، بإشراف الدكتور: أحمد محمد نتوف، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، للعام الدراسي ٢٠١٠م - ٢٠١١م.

- قواعد التدبّر القرآني بين التنظير والتطبيق، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الباحث رشيد بوعافية، بإشراف الأستاذ الدكتور منصور كافي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩م.

- منهج الإمام أبي السعود في الترجيح في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير، في التفسير وعلوم القرآن، من قبل الباحث عجاج برغش، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز حاجي، جامعة دمشق، كلية الشريعة، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

- منهج عبد الرحمن حنكة الميداني في التفسير، رسالة قدّمت لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، من إعداد الباحث: نادي حسن صبرا، إشراف الدكتور: محمد خازر المجالي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، للعام الدراسي ٢٠٠٦م.

البحوث العلمية:

- قواعد التدبّر الأمثل للشيخ الميداني تحليل ونقد، بحث مقدّم من قبل الباحثين: روان الحديد وجهاد نصيرات، إلى كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، مجلّة علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦م.

- وقف البيان في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، محمود بن الجليل روزن، مجلّة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثالث عشر، السنة التاسعة.

- الدكتور نور الدين عتر وجهوده المبذولة في خدمة السنّة المطهرة، بحث مقدم لمؤتمر جامعة الشارقة، من قبل الدكتور نزار محمود قاسم الشيخ.

المواقع الإلكترونية:

. <https://www.youtube.com/watch?v=aX1KORDfdU>

https://www.naseemalsham.com/ar/Pages.php?page=mufthy&pg_id=1992

https://islamsyria.com/site/show_cvs/81

<http://islamiyyat.com/2009-02-03-05-19-05>

<http://www.odabasham.net/م۲۰۱۹/شباط07>

<https://shamela.ws/index.php/author/2456>

<https://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=156930>

https://islamsyria.com/site/show_cvs/478

<https://archive.islamonline.net/?p=5777>

<http://www.azhar.edu.eg/arabic-cairo>

<https://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id>

http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=555

- محادثة مع ابن الميداني (الدكتور وائل عبد الرحمن حبنكة الميداني) المقيم بجدة حالياً على بريدي الالكتروني الخاص بتاريخ ١٢/٩/٢٠١٨م.

فهرس المواضيع

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ
الفصل التمهيدي: مدخل إلى البحث	١
المبحث الأول: تعريف "قواعد التدبُّر" والمصطلحات ذات الصلة	٢
المبحث الثاني: حياة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني وجهوده العلمية.	١٥
المبحث الثالث: التعريف بكتاب "قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ، تأملات"	٢٥
المبحث الرابع: التعريف بكتاب "معارج التفكُّر ودقائق التدبُّر"	٤٢
الفصل الأول: قواعد التدبُّر البلاغية المتعلقة بالكلمة القرآنية	٦٢
المبحث الأول: الفروق الدلالية	٦٣
المبحث الثاني: الجمع بين الدلالات	٧٣
الفصل الثاني: قواعد التدبُّر البلاغية المتعلقة بالدراسة البلاغية للأساليب النحوية	٨٧
المبحث الأول: الاستثناء المنقطع	٨٨
المبحث الثاني: القسَم في القرآن الكريم	٩٧
المبحث الثالث: مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر	١١٢
الفصل الثالث: قواعد التدبُّر البلاغية المتعلقة ببلاغة الأسلوب القرآني	١١٨
المبحث الأول: خصائص الأسلوب القرآني	١١٩
المبحث الثاني: الإيجاز	١٩٩
المبحث الثالث: التكرير	٢١٥

٢٢٥	الفصل الرَّابِع: قواعد التَّدْبِيرُ البلاغِيَّة المتعلِّقة بالتَّنَاسُبِ القرآنيّ
٢٢٧	المبحث الأوَّل: وحدة موضوع السُّورة القرآنيَّة
٢٣٩	المبحث الثَّاني: الرِّبْط بين الآيات وخواتيمها
٢٤٥	المبحث الثَّالث: الفاصلة القرآنيَّة
٢٥٧	الخاتمة
٢٦١	فهرس الآيات
٢٧٩	فهرس الأحاديث
٢٨٠	فهرس الأعلام
٢٨٣	فهرس المصطلحات البلاغيَّة
٢٨٦	قائمة المصادر والمراجع
٢٩٩	فهرس المواضيع